Jihad: Liberation or Terrorism?
The Thought of Sayyid Qutb

Mohamed Mezzi

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

A thesis submitted in fulfilment of the requirement for the degree of Magister Artium (Arabic) in the Department of Foreign Languages, University of the Western Cape.

Supervisor: Prof. Yasien Mohamed
Co-Supervisor: Mustapha Saidi

November 2008

Jihad: Liberation or Terrorism?
The Thought of Sayyid Qutb

Mohamed Mezzi

KEYWORDS：

International relations

Islam

Muslim/non-Muslim relations

Islamic thought and movements

Fundamentalism

Jihad

Jihad groups

Sayyid Qutb

Liberation

Terrorism

Justice

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ABSTRACT

JIHAD: LIBERATION OR TERRORISM? THE THOUGHT OF SAYYID QUTB

M. Mezzi

M.A. Thesis, Department of Arabic, University of the Western Cape.

The events of 11 September 2001 not only placed Muslims under the spotlight, but saw politicians, reporters and scholars scrambling to explain the concept of jihad and terrorism. Jihad, incorrectly translated as a "holy war", was regarded as the main motivating factor of the perpetrators of this act. The key thinker whose ideas were blamed for providing the ideological basis of 9/11, was the respected Muslim scholar, Sayyid Qutb (d. 1966), one of the key figures of the Muslim Brotherhood. In fact, many analysts, critics, and journalists make a direct connection between Al-Qaeda and Qutb's works, particularly his writings on jihad and the West.

In this thesis, I contrast Qutb's approach towards jihad with that which is found in the primary sources of Islam and as espoused by the proponents of the four schools of thought, as well as key Islamic scholars. This study also attempts to explore the conceptual confusion between terrorism, jihad, and legitimate defense and resistance by comparing the legislation on jihad in Islam with that which exists in international law and conventions. I then turn my attention to the focal point of this study, the writings of Sayyid Qutb on jihad.

To avoid misunderstanding of his works, I firstly explore the context and milieu which gave birth to Qutb's views. Through textual analysis of the chapter on jihad in his most popular and oft-cited work, *Milestones* and his other writings, I present an analysis of his thinking on jihad. Qutb, in my view, was essentially a thinker seeking freedom, justice and liberation for all humanity, and not the father of terrorism as claimed by many. His writings represent a call to liberate humanity from the shackles of all forms of tyranny, oppression and servitude, towards submission to the sovereignty of God alone. Critics claim that Qutb's approach is one of religious coercion, when in fact it is a call for the removal of obstacles which deprive humanity from establishing a society based on Divine laws.

Qutb's noble defense of the freedom to live in and establish the Divine system, is taken up by contemporary global jihadist groups. However, his ideas have, in my opinion been grossly distorted on some occasions when cited as the basis for senseless acts of violence against innocents, while Sayyid Qutb has never sanctioned the deliberate killing of innocent civilians. It is my hope that this study will provide a deeper insight into the works of this great thinker who has been unfairly maligned as 'the philosopher of Islamic terror'.

November 2008

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

DECLARATION

I declare that *Jihad: Liberation or Terrorism? The Thought of Sayyid Qutb* is my own work, that it has not been submitted before for any degree or examination in any other university, and that all the sources I have used or quoted have been indicated and acknowledged as complete references.

Mohamed Mezzi November 2008

Signed: _____

بسم الله الرّحمن الرّحيم
والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين

الجهاد عند سيد قطب
تحرير مشروع أم إرهاب مذموم

إعداد الطالب:
محمد بن عبد القادر المزي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في شعبة اللغة العربية
بقسم اللغات الأجنبية
بجامعة الكاب الغربي

تحت إشراف:
البروفسور: ياســـــين محــمـد
الأســـتــاذ: مصطفى السعيدي

نوفمبر 2008

الكلمات المفاتيح

العلاقات الدولية

الإسلام

علاقة المسلمين بغير المسلمين

الفكر الإسلامي والحركات الإسلامية

الأصولية

الجهاد

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

الجماعات الجهادية

سيد قطب

التحرير

الإرهاب

العدالة

تعريف بعض الكلمات المفاتيح

* الجهاد: إن كلمة جهاد في اللغة العربية مشتقة من الجذر (ج، ه، د) وهذه المادة تدور معانيها على بذل الوسع والطاقة والمشقة.

فقد ورد في"القاموس المحيط والقبس الوسيط لما ذهب من كلام العرب شماميط" لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817 هـ). تحت حرف الدال من فصل الجيم ما يلي: "الجَهْدُ: الطاقَةُ، ويضمّ، والمَشَقَّةُ. واجْهَدْ جَهْدَكَ: ابْلُغْ غايَتَكَ... والجهاد القِتالُ مع العَدُوِّ، كالمُجاهَدَةِ. ... والتَّجاهُدُ: بَذلُ الوُسْعِ، كالاجْتهادِ"[1]. (بتصرف)

وقال علي الجرجاني في "التعريفات": "الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق"[2].

كما ورد تعريف حقيقة الجهاد اصطلاحا عند الراغب على النحو التالي:
"والجهاد القتال مع العدو كالمجاهدة، قال تعالى [وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ]. وفي الحديث الشريف: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية). يقال جاهد العدو مجاهدة وجهادا إذا قاتله. وحقيقة الجهاد كما قال الراغب: المبالغة واستفراغ الوسع في مدافعة العدو باليد واللسان، أو ما أطاق من شيء. وهو ثلاثة أضرب: مجاهدة الظاهر، والشيطان، والنفس. وتدخل الثلاثة في قوله تعالى: [وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ]"[3].(الحج:78).

---

[1]) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط والقبس الوسيط لما ذهب من كلام العرب شماميط**، ط 2، 1407 هـ / 1987م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، باب حرف الدال من فصل الجيم، ج 1، ص 198، (بتصرف). وانظر:
Edward William Lane, (1865). ***An Arabic-English Lexicon***. London: Williams and Norgate, Book 1: Vol 2, p 473.

[2]) علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، 1405هـ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج 1، ص 107.

[3]) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، الطبعة الرابعة، 1423هـ / 2002م، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، ج 16، ص 124.

والجدير بالذكر أن الاستعمال الشائع لمصطلح الجهاد في الأدبيات الإسلامية عادة ما يتصل بعبارة في سبيل الله فيقال "الجهاد في سبيل الله".

* الإرهاب: تعرّف الموسوعة البريطانية الإرهاب بأنه "الاستخدام المنهجي للعنف، لخلق مناخ عام من الخوف في السكان، وبالتالي من أجل تحقيق هدف سياسي معين"[4]. وقد استخدم الإرهاب كأداة سياسية، وشكل من أشكال التعبير من قبل العديد من المنظمات والجماعات والأفراد ومؤسسات الدولة.

* الأصولية: يعرّف قاموس أكسفورد الموجز الأصولية بأنها "الصيانة الصارمة للقديم أو المعتقدات الأساسية لأي دين أو أيديولوجيا"[5]. أما في الآونة الأخيرة ، فقد ارتبط هذا المصطلح بالإسلام حصريا.

* سيد قطب: ولد سيد قطب بالجنوب المصري في محافظة أسيوط في 1906/10/9م، وباشر تعليمه الابتدائي في قريته، قرية موشة. وقد عرف بنبوغه حيث حفظ القرآن كاملا وهو في سن العاشرة من عمره. ثم سافرلاحقا إلى القاهرة لإتمام دراسته في دار المعلمين، وتخرج من هناك في عام 1928م[6]. والتحق بدار العلوم التي سبقه إليها حسن البنا، الذي أصبح لاحقا المؤسس والمرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، وهي ذات الجماعة التي سوف ينضم إليها قطب رسميا في عام 1953م. وشغل منصب رئيس التحرير لجريدة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

---

[4]) http://www.britannica.com/eb/article-9071797/terrorism.
قارن هذا مع التعريف الوارد في:
Encyclopedia Britannica, (1977). **The New Encyclopedia Britannica**. Chicago: The University of Chicago, 15th ed, Vol 9, p 904.

[5]) Oxford University, 1999. ***The Concise Oxford Dictionary***. New York: Oxford University Press Inc, Tenth Edition, p 573.

[6]) Luke Loboda, 2004. ***The thought of Sayyid Qutb***. Ashbrook Statesmanship Thesis. Recipient of the 2004 Charles E. Parton Award. http://www.ashbrook.org/publicat/thesis/loboda/loboda.pdf

بعد سنة واحدة من الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين، اعتقل للاشتباه في إطار التآمر ضد النظام. وقد أفرج عنه بعد ذلك بوقت قصير، ولكن أعيد القبض عليه وقضى هذه المرة عشر سنوات في السجن (1954م - 1964م). وخلال هذه الفترة أعاد كتابة قسم كبير من تفسيره للقرآن "في ظلال القرآن". كما ألف أشهر مؤلفاته "معالم في الطريق" الذي انتشر على نطاق واسع في جميع في أرجاء العالم الإسلامي. وصدر عليه حكم بالإعدام مع سبعة أعضاء آخرين من جماعة الإخوان المسلمين في عام 1966م. ونفذ فيه حكم الإعدام شنقا فجر يوم الإثنين الموافق 1966/8/29م.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

خلاصة البحث

لم تضع أحداث 2001/9/11م المسلمين تحت بؤرة المجهر فحسب، بل أظهرت الساسة والمحللين ومحرري التقارير والعلماء في مشهد تدافع محموم لتفسير مفهوم الجهاد والإرهاب. الجهاد الذي ترجم خطأ على أنه "حرب مقدسة" (Holy war)، أعتبر الحافز الأساس ضمن العوامل الدافعة للقائمين على تنفيذ تلك الأحداث.

وقد اتجهت أصابع الاتهام إلى المفكر الإسلامي الشهير، والذي يعتبر أحد الوجوه الهامة في جماعة الإخوان المسلمين؛ سيد قطب (1906م - 1966م)، حيث اعتبرت آراؤه القاعدة الأيديولوجية لتلك الأحداث. وفي الواقع فإن العديد من المحللين والنقاد والصحفيين قد ربطوا بشكل مباشر بين تنظيم القاعدة وكتاباته، وخاصة مؤلفاته حول الجهاد والغرب.

وفي هذا البحث أحرر مفهوم الجهاد في النصوص الشرعية، وفي مقاربة سيد قطب، وفي الاجتهادات الفقهية ضمن المذاهب الأربعة وغيرها من أعلام فقهاء المسلمين. كما أن البحث يحاول الكشف عن الخلط المفاهيمي بين الإرهاب والجهاد والدفاع المشروع وحق المقاومة، من خلال مقارنة مبادئ الجهاد وآدابه مع التشريعات والمواثيق الدولية.

كما أتطرق للنقطة المركزية للبحث وهي مقاربة سيد قطب حول الجهاد. ولتجاوز سوء الفهم، فقد بادرت بالكشف عن البيئة والسياق الذي تولدت فيه أفكار سيد قطب. ثم من خلال عرض وتحليل ونقد ما جاء في فصل الجهاد في سبيل الله الوارد في "معالم في الطريق"؛ أحد أشهر كتبه وأكثرها ايراد عند الاستشهاد بأعماله. وأرى أن سيد قطب داعية حرية وعدل وتحرير للإنسانية جمعاء، وليس الأب الروحي للإرهاب كما يدعي البعض. فقد وفرت أعماله دعوة لتحرير البشرية من القيود وكل أشكال الطغيان والجور والعبودية لغير الله. وقد اعتبرت مقاربته إكراها في

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

الدين بينما هي في حقيقتها دعوة لإزالة كل العوائق التي قد تحرم الإنسانية من قيام المجتع المحتكم لشرع الله العادل.

إن الدفاع النبيل لسيد قطب عن الحرية وقيام النظام الإسلامي قد اختطفت أو صودرت من قبل الجماعات الجهادية العالمية. وأرى أن آراءه قد حرفت في بعض المناسبات، عندما اعتمدت كأساس لتبرير القتل العشوائي للإبرياء، رغم أنه لم يبرر في أي من أعماله القتل المتعمد للمدنيين الأبرياء.

يحدوني الأمل في أن يوفر هذا البحث فهما أعمق لأعمال هذا المفكر العظيم الذي افتري عليه بفرية "فيلسوف الإرهاب الإسلامي" ظلما وعدوانا.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

نوفمبر 2008

تمهيد

1-0 الخلفية

لم تضع أحداث 2001/9/11م المسلمين تحت بؤرة المجهر فحسب، بل أظهرت الساسة والمحللين ومحرري التقارير والعلماء في مشهد تدافع محموم لتفسير مفهوم الجهاد والإرهاب. الجهاد الذي ترجم خطأ على أنه حرب مقدسة (Holy war)، أعتبر الحافز الأساس ضمن العوامل الدافعة للقائمين على تنفيذ تلك الأحداث.

وعلى الرغم من الاستعمال الواسع النطاق لكلمة "إرهاب" (Terrorism) في مختلف وسائل الإعلام العالمية منذ أحداث 2001/9/11م، حيث لا توجد كلمة أكثر إثارة للجدل منها، فإنه ليس هناك اتفاق حول تعريف مقبول من كافة الدول والهيآت والشعوب لمفهوم هذا المصطلح. إذ لا يزال مصطلحا هلاميا فضفاضا رجراجا دون تعريف جامع مانع[7].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ولقد كان المفكر الإسلامي الشهير سيد قطب (1906م - 1966م) أهم من وجهت إليه أصابع الاتهام، حيث أتهمت آراؤه بأنها شكلت القاعدة الأيديولوجية لتلك الأحداث. وقد كان من آثار تلك الأحدث أن لم تستقر حياة المسلمين في جميع أنحاء العالم على حالها منذ ذلك اليوم.

بالإضافة إلى الدور الهام للقوانين والأعراف الدولية في تنظيم العلاقات بين الدول، فإن الدوافع الدينية تبقى واحدة من العوامل الأكثر تأثيرا في تحديد طبيعة العلاقات بين بني الإنسان. ولقد كان الجهاد أحد تلك المفاهيم الدينية المركزية التي ظهرت

---

[7]) محمد إمام، **الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية**، السبت 20 جمادى الأولى 1424 هـ / 19 يوليو 2003م، العدد 8999.

على السطح في السنوات الأخيرة. وتبدو مركزيته واضحة في عبارات النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، حيث ورد قوله: (أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد)[8].

ورغم أن فكرة اعتبار الجهاد ذروة سنام الإسلام، قد سادت فترة تزيد عن 1400 سنة من التاريخ الإسلامي، فإن العديد من التفسيرات الفقهية النظرية والمقاربات العملية المتباينة قد ظهرت حول هذا المفهوم. فاختلاف السياقات التاريخية والسياسية التي مرت بها الأمة الإسلامية، استوجبت الانخراط في إستراتيجيات متعددة. وذلك ما يمثل تحديا لكل باحث يروم تحديد نظرية واحدة وممارسة واحدة للجهاد عبر العصور[9].

غير أنه منذ القرن التاسع عشر، فإن خطابا ذا سمة محددة قد نشأ بين القادة المجددين والمصلحين مثل الأفغاني وعبده ورشيد رضا وحسن البنا، الذين غلب على خطابهم سمة النهج الاعتذاري عند الحديث عن الجهاد. لكن مقاربة سيد قطب شكلت نقطة تحول في هذا التيار. إذ لم يكتف بمحاولته دحض هذا الخطاب مستخدما المصادر الإسلامية، بل بالإضافة إلى ذلك فقد انتقد وبشراسة ما اعتبره نهجا استسلاميا انهزاميا لا يتفق مع طبيعة الدين وأهدافه.

وقد عزا سيد قطب أسباب هذا النهج الاعتذاري إلى الروح المهزومة لدى المفكرين المسلمين، نتيجة الهجمات الشرسة التي كانت - وما تزال - تواجههم من طرف الكتاب والمستشرقين حول مفهوم الجهاد، كما عزاه إلى حالة الضعف المهين الذي عرفته الأمة الإسلامية في عصره. وقال إنه "متى قام الإسلام بإعلانه العام لإقامة

---

[8]) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، 1411هـ / 1990م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 2، ص 86، حديث رقم 2408.

[9]) David Cook, 2005. ***Understanding Jihad***. Los Angeles: University of California Press, pp 49-72.

ربوبية الله للعالمين، وتحرير الإنسان من العبودية للعباد، رماه المغتصبون لسلطان الله في الأرض ولم يسالموه قط، وانطلق هو كذلك يدمر عليهم ليخرج الناس من سلطانهم ويدفع عن "الإنسان" في "الأرض" ذلك السلطان الغاصب"[10].

وبهذه المقاربة الداعية للانطلاق بجهاد التحرير للبشرية، يكون سيد قطب - وفقا للعقل الجمعي الغربي - قد أعاد تنبيه العقل الغربي إلى خطر الفتوحات الإسلامية. تلك الفتوحات التي - حسب زعمهم - أسرت العالم لعدة قرون. ولنقرأ ذلك جليا وفقا لكلمات المؤرخ برنارد لويس:

> لما يقرب من ألف عام ... كانت أوروبا تحت تهديد مستمر. ففي القرون الأولى، كان تهديدا مضاعفا، ليس تهديد الغزو والفتح فحسب، ولكن أيضا تهديد التحوّل (عن المسيحية) والتماهي (الاندماج في المسلمين). بل إن جميع المقاطعات الشرقية للعالم الإسلامي قد نزعت من الحكام المسيحيين. والغالبية العظمى من المسلمين الأوائل القاطنين إلى الغرب من إيران وبلاد العرب هم متحولون عن المسيحية. فشمال إفريقيا ومصر وسوريا، وحتى العراق الفارسي، كانت بلدانا مسيحية. حيث أن المسيحية كانت الأقدم عمرا والأعمق جذورا مما هي عليه في معظم أوروبا. لقد كانت خسارة تلك البلاد شديدة الوقع، وزادت المخاوف من أن مصيرا مماثلا كان في انتظار أوروبا[11].

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

أما اليوم، فإن الخطر- الحقيقي في مقابل ذلك المزعوم - يتجلى وبشكل مستمر في غزو البلدان الإسلامية، والحملات الإعلامية ضد المقاومة والجماعات الجهادية، والاضطهاد والسجن للمسلمين، تحت غطاء دعوى "الحرب على الإرهاب". حيث يجري تقاذف مصطلح الجهاد على نحو عشوائي. وهذا يبدو جليا في الأحداث التي وقعت إثر 2001/9/11م.

---

[10]) سيد قطب، **معالم في الطريق**، الطبعة الثالثة، 1983م، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، السالمية - الكويت، ص 68. (الطبعة الإنجليزية، 1977م، ص 117).

[11]) Bernard Lewis, 1993. ***Islam and the West***. New York: Oxford University Press, p 13.

مع نهاية الحرب الباردة وما نتج عنها من انهيار الإتحاد السوفيتي في عام 1991م، فإن الخارطة السياسية في العالم قد تغيرت تغيرا هائلا. إذ على إثر سقوط الإتحاد السوفيتي - القوة العالمية الثانية - تحول توازن القوى الدولية نحو قطب واحد. واستُبدل العدو القديم بالإسلام والمسلمين العدو الجديد، كما أشير إليه باعتباره الخطر الأخضر[12]. وأصبح التدخل الأجنبي في شؤون البلدان الإسلامية واضحا، وعلى نحو متزايد، خاصة من قبل الولايات المتحدة. ووفرت الأحداث التي وقعت صبيحة 2001/9/11م، ونسبت إلى تنظيم القاعدة، الذريعة الأساسية لإدارة بوش الابن لشن حربها على ما يوصف بـ"الإرهاب". فأمريكا لم تنتظر نتائج التحقيق، الذي لا يزال فيه العديد من الثغرات العصية على الفهم، بل سارعت إلى توجيه الاتهامات إلى المسلمين، وبالتعاون مع حلفائها، خاضت الحرب ضد أفغانستان، حيث يعتقد وجود مقر القاعدة هناك.

وبالإضافة إلى الحملات العسكرية التي تخوضها، فإن الحكومة الأميركية وحلفاءها، قد طغت عليهم رغبة متطرفة باتجاه فرض معاييرهم ونظمهم على العالم الإسلامي، فبدأت تحاول فرض قيمها وأنماطها الحضارية. الأمر الذي حدا ببعض الكتاب أن يصفوا العولمة بأنها انتهت إلى هيمنة أمريكية واستعمار في ثوب جديد[13]. ومما زاد الطين بلة أن هنالك جهلا فاحشا لدى البلاد الغربية بالإسلام وما يتوفر عليه من نظم وقيم.

وفي ذات السياق، قامت وسائل إعلام غربية بإلصاق وصمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، واصفين إياهم بالتخلف الحضاري والأصولية. بل استخدم بعض القادة الغربيين هذه المصطلحات على نطاق واسع، داعيا المسلمين إلى تغيير البرامج

---

[12]) Leon T. Hadar, 1992. The "Green Peril": Creating the Islamic Fundamentalist Threat. ***Cato Policy Analysis***, 177.
http://www.cato.org/pubs/pas/pa-177.html

[13]) صوفي حسن أبو طالب، **الكفاح المشروع للشعوب**، مؤسسة الفلاح للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ص 3.

التعليمية والمناهج، بما يجنبها "الإسلام الأصولي" على حد زعمهم. وحصل الكثير من هذا القبيل على أرضية من الخلط المفاهيمي بين الإرهاب والجهاد وحق الدفاع المشروع.

2-0 أهمية الموضوع ودواعيه

إن الجهاد قد كتبه الله على الأمة الإسلامية للدفاع عن استقرارها وأمنها، ودرء كيد الطامعين فيها[14]، وحفظ عزها وكرامتها ورفع الذل عنها. كما أراد الله المشرع الحكيم من الجهاد أن يكون حماية للمسلمين بل للمستضعفين في الأرض[15]، ولكن أعداء الأمة الإسلامية يصرون على جعل الجهاد مساويا للإرهاب، وذلكم في محاولة لخلق سوء فهم وخلط لهذين المفهومين، على الرغم من التمايز والاختلاف الواضح بينهما. ومن ثم ظهور صورة مشوهة للدين الإسلامي وللمسلمين. ولجلالة خطب تلك الصورة فقد أصبح الجهاد أحد أهم المفاهيم التي يتعين دراستها وتحليلها وبيان حقيقتها، وتجليتها من الغموض الذي شابها.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ذلك هو أحد الدواعي الرئيسة لمعالجة هذا الموضوع والبحث فيه، على أمل المساهمة في تشكيل أو إيجاد صورة أفضل لمفهوم الجهاد في الإسلام. والباحث يعتزم توضيح الفرق بين الجهاد والإرهاب وإزالة الالتباس عن طريق رسم الحدود، والفواصل الحاجزة بين كل من الجهاد والإرهاب. وشرح حقيقة الجهاد وجوهره، في مقابل ما التبس به مما ليس منه، وما لا يمت إليه بصلة. ومن الواضح أن هذا سيكون له تأثير على فهم وممارسة وتنزيل الجهاد في العالم اليوم. فالواجب الشرعي يحتم علينا اتباع الصراط المستقيم، ما أمكننا تبين ذلك. هذا ما يوضحه

---

[14]) محمد سعيد رمضان البوطي، **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟** الطبعة الخامسة، 2006م، دار الفكر، دمشق - سورية، ص 224-225.

[15]) عبد الله عزام، **إلحق بالقافلة**، 1992م، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ومكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن، ص 26 و28.

القرآن الكريم في قوله تعالى: [قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] (سورة البقرة: 256). وهكذا، فإن الذين يتبعون تفسيرا للجهاد مخالفا لما جاء به الإسلام، فلا ريب أنهم ينتهجون الطريق الخطأ.

وبما أن العديد من كبار المحللين والنقاد ورجال الإعلام، قد ذهبوا إلى وجود صلة مباشرة بين تنظيم القاعدة وأعمال سيد قطب، وخاصة كتاباته عن الجهاد، فإن الباحث يريد التركيز على النتاج الفكري لسيد قطب حول الجهاد. وفي الواقع، فإن بعض الكتاب زعموا أن سيد قطب هو والد الأصولية الإسلامية الحديثة، ومصدر إلهام لقادة بارزين في الجماعات الجهادية[16]. بل إن أرمسترونغ (Armstrong) تمضي إلى أبعد من ذلك، إلى حد القول بأن "ثمة مسوّغا وجيها لتسمية أعمال العنف التي يرتكبها البعض من أتباعه بـالإرهاب القطبي 'Qutbian Jihad'"، نسبة لسيد قطب[17].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

كما أن للموضوع علاقة وشيجة بالدوافع الشخصية للباحث، يأتي في مقدمتها اهتمامه بالفكر السياسي في الإسلام، وشغفه بأعمال سيد قطب. فالباحث قد قضى أوقاتا ممتعة، في الإطلاع على أعمال سيد قطب، منذ سن مبكرة؛ ولم يؤد به ذلك إلى تبني أفكار متطرفة، بل إلى حب للحرية والتحرير والسلام للبشرية جمعاء. وكذلك فإن الباحث يعتقد أن هناك سوء فهم كبير لأعمال سيد قطب، وأنه قد نُسب إليه الكثير مما لم يقم - هو ذاته - بالترويج له في كتاباته. يحدث سوء الفهم ذلك من قبل مخالفيه، بل وحتى من قبل بعض أولئك المؤيدين المتحمسين لمقاربته حول

---

[16]) A.G. Noorani, 2002. ***Islam & Jihad: Prejudice versus Reality***. London: Zed Books, p 70.
Sami Zubaida, 1993. ***Islam, the People and the State***. Essays on Political Ideas and Movements in the Middle East. London: I.B. Tausus & Co. Ltd., p 51.

[17]) Karen Armstrong, 2005. The label of Catholic terror was never used about the IRA. ***The Guardian***, 11 July 2005.

الجهاد، والقضايا المتصلة به. بالإضافة إلى ذلك، فإن الباحث سيستكمل ما ابتدأه من بحث عند إعداده لبحث موجز في مرحلة الـــ (Honours)، وذلك من خلال تغطية هذا الموضوع بمزيد من التعمق، وإضافة الجوانب التي لم يتمكن من التطرق إليها آنذاك.

ثم إن الوضع الدولي والتطورات اللاحقة لأحداث 2001/9/11م، التي شهدها العالم في مطلع سِنِيِّ هذا القرن، كان من بين الدوافع الأساسية لاختيار هذا الموضوع. علاوة على أن الاستجابة الثقافية والفكرية والسياسية المترتبة عن هذه الأحداث تحتم علينا بلورة فهم واضح للأفكار والمفاهيم الإسلامية الأصيلة، مثل الجهاد. وبشكل أكثر إلحاحا تلك المقاربات التي تبناها مفكرون مؤثرون في فكر الحركات الإسلامية وممارساتها مثل سيد قطب.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

3-0 أهداف البحث

هذه الدراسة محاولة لتحرير وتجلية مفهوم الجهاد مما علق به - وهو حقيقة منه براء - كاعتباره إرهابا أو إكراها في الدين. وذلك من خلال تحليل ما ورد في المصادر الأولية للتشريع الإسلامي؛ القرآن الكريم، والسنة النبوية؛ قولية وفعلية وإقرارية، كما ستتطرق لمختلف الآراء حول الجهاد ضمن أهم المذاهب الفقهية الإسلامية الأربعة، بالإضافة إلى مناقشة أهم آراء العلماء حول الموضوع. ثم عقد مقارنة موجزة بين مفهومي الجهاد والإرهاب في مقابل التشريعات الواردة ضمن مبادئ الأمم المتحدة.

بيد أن النقطة المحورية لهذه الدراسة هي بيان مفهوم الجهاد ضمن المقاربة التي تبناها المفكر الإسلامي المصري، سيد قطب. وهو أحد كبار الشخصيات ذات التأثير الواسع، والوجه الشهير في جماعة الإخوان المسلمين. سيد قطب الذي

اعتبرت كتاباته بمثابة دليل لدى الجماعات الإسلامية، وذلك في مصر وخارجها على حد سواء[18].

وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الدراسة سوف تكشف عن موقع مقاربة سيد قطب ضمن السياق الوطني والدولي الذي تشكلت فيه، ونشط وألف فيه المفكر أعماله. وذلك بقصد الوصول إلى تقويم أكثر موضوعية وتحليل بنّاء لنتاجه الفكري. كما أن الباحث يهدف إلى فهم هذه الشخصية الشهيرة والمؤثرة وهذا العلم البارز، الذي لا يزال يمارس تأثيرا قل نظيره في العالم الإسلامي، وذلك من خلال تعقب آثار رحلته الشخصية بدء من نشأته في قريته 1906م، وإلى غاية وفاته على حبال المشنقة في عام 1966م.

والمؤمل أن يؤدي هذا البحث إلى المساهمة في سد الهوة الناجمة عن محاولات القضاء على مفهوم الجهاد أو تهميشه، والمساهمة في إزالة سوء الفهم الذي نشأ حول أعمال سيد قطب.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

4-0 إشكالية البحث

هل تمثل مقاربة سيد قطب للجهاد دعوة متميزة أو ترويجا للإرهاب، باعتبارها قاعدة أيديولوجية لموجة الأعمال الموسومة بالإرهابية، والتي غالبا ما تنسب للجماعات الجهادية الدولية؟ أم أن كتاباته تمثل حقا دعوة لتحرير البشرية من القيود والأغلال التي ترسف فيها، في جميع أشكالها؛ طغيانا وظلما واضطهادا، ومن ثم فهي دعوة لتسليم قِيادِ تلك البشرية للسلطان العادل؛ سلطان الله وحده؟

[18]) Sayed Khatab, 2002. Citizenship Rights of Non-Muslims in the Islamic State of *Hakimiyya* Espoused by Sayyid Quṭb. ***Islam and Christian-Muslim Relations,*** 13(2), pp 151-161.

للإجابة على هذه الإشكالية فإن الباحث سوف يقارن مقاربة سيد قطب حول الجهاد مع تلك التي وردت في المصادر الأولية للتشريع في الإسلام، فضلا عن تلكم المقاربات الواردة في الكتابات الكلاسيكية والمعاصرة حول الجهاد والإرهاب على حد سواء.

5-0 المنهجية وتصميم البحث

ستتبنى هذه الدراسة مقاربة نوعية / كيفية (Qualitative) لتحليل الخطاب ومعالجة مضامينه. وبما أن الدراسة ستركز على تحليل فكر سيد قطب، فإن الباحث اعتمد "المنهج التحليلي" و"المنهج النقدي" كأنسب وسيلة لعرض ونقد نتاجه الفكري ومؤلفاته. بالإضافة إلى تسجيل بعض المقارنات حسب الحاجة.

وفيما يلي عرض تفصيلي لما يروم الباحث إنجازه مقسما على فصول البحث ومباحثه ومطالبه.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ستكون الخطوة الأولى لهذه الدراسة محاولة لتحرير وتجلية مفهوم كل من الجهاد والإرهاب من خلال تحليل ما ورد في المصادر الأولية للتشريع الإسلامي، القرآن الكريم والسنة النبوية؛ قولية وفعلية وإقرارية. يلي ذلك التطرق لمختلف الآراء حول الجهاد ضمن أهم المذاهب الفقهية الإسلامية الأربعة. ذلك، بالإضافة إلى مناقشة آراء العلماء البارزين مثل؛ ابن تيمية، وابن حزم، وحسن البنا، والبوطي حول الموضوع.

وإذ يضع الباحث في اعتباره أن تفسيرات مختلفة لنصوص المصادر الأولية في الإسلام ممكنة وحدثت بالفعل ولا تزال تحدث، وفيها "متسع كثير للخلاف، ومتسع

كثير بالتالي للفهم الخاطئ"[19]، فهي من ثم تحتمل الخطأ والصواب، وليست حجة في فهم النصوص، فلذلك وجب تسليط الضوء على مساحات الاختلافات تلك، مع بيان المعايير والقواعد التي تضبط أصول التأويل والتفسير. ومن ثم فإنه حري بالدراسة أن تعرج على بعضها عند مضائق الأنظار، وذلك لرفع اللبس والإشكال.

ولذلك فمن الضروري أن نحاول فهم هذا المفهوم في ضوء المصادر الإسلامية الأولية والكلاسيكية. إذ وفقا لتلك النصوص وتأويلاتها المنضبطة بالقواعد السليمة ما هو جوهر الجهاد؟ وما حقيقته في الواقع؟ وما هو تعريفه الجامع المانع؛ الذي يشمل جميع معانيه ويمنعه في الوقت نفسه من أن يتلبس بما ليس جزءا منه؟ وما هي حدوده، و ضوابطه؟ وما هي دوافعه وأسبابه؟ وما هي أهدافه وغاياته؟ ما هي أدواته ووسائله؟ وما مشروعية إعلان الجهاد وممارسته ضد الحكام في بلاد المسلمين وفي مواجهة أعدائهم من خارج حدود بلادهم؟ أم أن إعلان الجهاد الداخلي والخارجي أمران مختلفان تماما؟ وبعبارة أخرى هل أن مجاهدة الحكومات باستعمال القوة والعنف أمر شرعي[20] أم أن الجهاد يختص بمواجهة العدوان الخارجي فقط؟

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

وبقصد الحصول على تقويم موضوعي، وتشييد تحليل منهجي بنّاء لعوالم سيد قطب الذاتية والموضوعية، وخدمة للفهم المنهجي والسليم للعصر الذي كتب فيه أعماله، فإن أحد أهم المجالات التي ستركز عليها هذه الدراسة ستكون تخصيص مساحة من البحث لمناقشة وتوثيق نشأته وتربيته، والسياق والأحداث التي أثرت في فكره. مع الأخذ في الاعتبار السياق الوطني، والدولي، والحالة الاجتماعية والوضع السياسي. كما سيشمل ذلك سيرته الفكرية والثقافية والمهنية والبيئة التي عاش فيها.

---

[19]) سعيد حوّى، **جند الله ثقافة وأخلاقا**، الطبعة الثانية، 1418هـ / 1998م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر، ص 76.

[20]) سعيد حوّى، **جند الله ثقافة وأخلاقا**، ص 368 و 376-377.

وستكون الخطوة التالية هي إجراء عرض وتحليل ونقد لفصل 'الجهاد في سبيل الله'. ويرجع اختيار ذلك الفصل إلى وروده مكررا في تفسير سيد قطب "في ظلال القرآن" وفي كتابه "معالم في الطريق" الذي يعدّ أحد أشهر كتبه والكتاب الأكثر ذكرا عند سوق الاستشهادات حول أهم مميزات فكره. وهو (أي "معالم في الطريق") ليس إلا؛ "الكتاب الذي حكم على صاحبه بالإعدام"[21]. وكلا الكتابين بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه من أنهما أشهر كتب سيد قطب، وأكثرها تعبيرا عن خلاصات وعصارة فكره، حيث أن ذلك من آخر ما كتب ونقح وأخرج للناس من وراء القضبان في السجن في آخر مراحل حياته، فهما كذلك، أكثرها تداولا وطبعات، وفضلاً عن ذلك فقد ترجمت هذه الكتب إلى معظم لغات العالم[22]. بل ترجمت حتى من قبل علماء غير سنة، إذ ذكر أن آية الله سيد علي خامنائي بنفسه قام بترجمة أهمها باللغة الفارسية[23].

وبالرغم من تركيز الباحث على كتاب "معالم في الطريق" وتفسير "في ظلال القرآن" عند تحليل مقاربة الجهاد عند سيد قطب، فسيرجع إلى أعمال سيد قطب الأخرى مثل "العدالة الاجتماعية في الإسلام" و"السلام العالمي والإسلام" و"خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" وغيرها من أعماله، كلما استدعى النقاش أو التحليل أو المقارنة ذلك.

ومن ثم سيقوم الباحث بمقارنة آراء سيد قطب مع آراء بعض العلماء المعاصرين، بقصد الوقوف على بيان سبب اختلافهم وماهيته. وسيعرض الباحث النقد الموجه لقطب، والذي يشمل علماء الدين من خريجي الأزهر مثل القرضاوي، وبعض

---

[21]) صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 484.

[22]) عبد الله عزام، **عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)**، ص 60.

[23]) Zafar Bangash, 1999. Remembering Sayyid Qutb, an Islamic intellectual and leader of rare insight and integrity. [Online]. Available http://www.youngmuslims.ca/online_library/books/milestones/remember.asp

علماء السلفية مثل المدخلي، فضلا عن الكتاب والمفكرين المعاصرين الذين يكتبون عن الإسلام وفكره، مثل الغنوشي، وإروين، وأرمسترونغ في محاولة لفهم سبب اعتباره لدى بعضهم منحرفا عن الفهم السليم لتعاليم الدين حول الجهاد ومتعلقاته.

ولأنه اعتبر "أبو الأصولية المعاصرة" ومنظرها، واتهمت أفكاره بتوفير الأساس الأيديولوجي لأحداث2001/9/11م، فإن الباحث سيبحث في حقيقة اعتباره داعية إرهاب أم تحرير، ومدى تأثير هذا المفكر الشهير على الحركات الجهادية المعاصرة خاصة.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

الفصل الأول

الجهاد والإرهاب
في المصادر الأولية
للتشريع الإسلامي

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

1-1 تعريف الجهاد

أ- لغة:

جاء في "القاموس المحيط" للفيروز آبادي (ت: 817 هـ)، تحت حرف الدال من فصل الجيم تحت الجذر (ج ه د) ما يلي:

"الجَهْدُ: والجُهد بالضمّ، **الطاقةُ، والمَشَقَّةُ**. واجْهَدْ جَهْدَكَ: ابْلُغْ غايَتَكَ. وجَهَدَ، كمَنَعَ: جَدَّ، كاجْتَهَدَ، وجَهَدَ دابَّتَه: بَلَغَ جَهْدَها، كأَجْهَدَها، وجَهَدَ اللَّبَنَ: أخْرَجَ زُبْدَهُ كُلَّه، وجَهْدٌ جاهِدٌ: مُبالَغَةٌ. و[جَهاد] كسَحابٍ: الأرضُ الصُّلْبَةُ لا نَباتَ بها، وتَمَر الْأَرَاكِ، و[جِهاد] بالكسر: **القِتالُ مع العَدُوِّ**، كالمُجاهَدَةِ. وجُهاداكَ أن تَفْعَلَ: قُصاراكَ. والجُهَيْدَى، مُخَفَّفَةً: الجَهْدُ. وقولُه تعالى: [جَهْدَ أيْمانِهِمْ]، أي: بالَغُوا في اليمين، واجْتَهَدوا. والتَّجاهُدُ: بَذلُ الوُسْع، كالاجْتهادِ"[24] (بتصرف).

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

وجاء في "الموسوعة الفقهية" لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية ما يلي: "الجهاد مصدر جاهد، وهو من الجهدِ - بفتح الجيم وضمها -أي **الطاقةِ والمشقة**، وقيل: الجَهْدُ - بفتح الجيم - هو المشقة، وبالضم الطاقة"[25].

ب- اصطلاحا:

أما اصطلاحا فقد وردت فيه تعريفات كثيرة، نورد منها ما قاله علي الجرجاني (740هـ -816 هـ) في "التعريفات": "الجهاد هو **الدعاء إلى الدين الحق**"[26].

---

[24]) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط والقبس الوسيط لما ذهب من كلام العرب شماميط**، ج 1، ص 198، (بتصرف).
[25]) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ج 16، ص 124.
[26]) علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، ج 1، ص 107.

كما ورد تعريف حقيقة الجهاد اصطلاحا عند الراغب على النحو التالي:

والجهاد **القتال مع العدو** كالمجاهدة، قال تعالى: [وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ]. وفي الحديث الشريف: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية). يقال جاهد العدو مجاهدة وجهادا إذا قاتله. وحقيقة الجهاد كما قال الراغب: **المبالغة واستفراغ الوسع في مدافعة العدو** باليد واللسان، أو ما أطاق من شيء. وهو ثلاثة أضرب: مجاهدة الظاهر، والشيطان، والنفس. وتدخل الثلاثة في قوله تعالى: [وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ]. وكما كان حسان - رضي الله عنه - يهجو أعداء النبيّ - صلى الله عليه وسلم -[27].

وجاء في "الموسوعة الفقهية" الكويتية أن "الجهاد اصطلاحا: قتال مسلم كافرا غير ذي عهد بعد دعوته للإسلام وإبائه، إعلاءً لكلمة الله"[28]. وأحسب أن ابن حجر العسقلاني؛ (773هـ-852هـ) قد استوفى أكثرها. هذا إن لم يحط بها جميعا. وذلك عند مفتتح شرحه لكتاب الجهاد والسير من صحيح البخاري حيث قال:

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

الجهاد ... شرعا بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق. فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب، وقد روى النسائي ... في أثناء حديث طويل قال: "فيقول - أي الشيطان - يخاطب الإنسان: تجاهد فهو جهد النفس والمال" واختلف في جهاد الكفار هل كان أولا فرض عين أو كفاية[29].

---

[27]) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ج 16، ص 124.
[28]) **المصدر السابق**، ج 16، ص 124.
[29]) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، 1379هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ج 6، ص 3.

والواضح أن ابن حجر بهذا قد شمل أحكام الجهاد، ومراحله، وتراوحه بين الكفاية والعينية، فأتى على أنواعه ومجالاته ووسائله ومراتبه وغاياته. وربما كان بحق التعريف الجامع المانع، لولا أنه يَرِدُ عليه تحفظ حول تحرير محل النزاع في المقصود من قوله "مجاهدة الكفار"، إن كان ذلك لصفة الكفر فيهم فيجوز ابتداؤهم بالقتال بسببها، أم لمدافعة العدوان الصادر عنهم ابتداء، أم لوقوفهم عقبة في طريق انتشار **الدعوة لدين الحق** ووصولها للناس أجمعين؟ ومحل النزاع هذا سنخصص له مناقشة خاصة لاحقا فلا داعي للتكرار.

2-1 تعريف الإرهاب

أ- لغة

سنتطرق لتعريف الإرهاب في معاجم اللغة العربية المعتمدة، ثم نعلق عليها. ورد في لسان العرب لابن منظور(630هـ - 711هـ) "رَهِبَ بالكسر يرهَب رَهْبة ورُهْبا بالضم ورَهَبا بالتحريك أي **خاف**. ورَهِبَ الشيء رَهْبا ورَهَبا ورَهْبة: **خافه**. والاسم الرُّهْب والرُّهْبى ... وتَرَهَّب غيره إذا **توّعده** ... والرَّهْباء اسم من الرَّهَب؛ تقول الرّهباء من الله والرّغباء إليه. وفي حديث الدعاء (رغبة ورهبة إليك)، الرَّهْبة **الخوف والفزع** ... وأرْهَبه ورَهَّبه واسْترْهَبه **أخافه وفزَّعه**، واسترهبه **استدعى رَهْبَته** حتى رَهِبَه الناس، وبذلك فسر قوله عز وجل: [وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ] (الأعراف: 116) أي **أرهبوهم**.

وترهب الرجل إذا صار راهبا **يخشى الله**، والراهب **المتعبد في الصومعة** وأحد رهبان النصارى، ومصدره الرهبة والرهبانية والجمع الرهبان ... والرهبانية مصدر الراهب والاسم الرهبانية. وفي التنزيل العزيز: [وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ] (الحديد: 27) .

وقال أبو عبيد في باب البخيل يعطي من غير طبع جودٍ: قال أبو زيد: يقال في مثل هذا رهباك خير من رغباك يقول: **فرقه** منك خير من حبه، وأحرى أن يعطيك عليه"[30]. (انتهى بتصرف).

وقال الراغب الأصفهاني في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن": "الرَّهبة الرُهب والرَّهَب: مخافة مع تحرز واضطراب"[31].

وأورد الزمخشري (467 هـ - 538 هـ) في "أساس البلاغة" في فصل الراء ما يلي: "(ر - هـ - ب) رهبتـه وفـي قلبـي منه رهبة ورهب ورهبوت. وهو رجل مرهوب **عدوّه منه مرعوب** ... وأرهبتـه ورهبتـه واسترهبتـه: **أزعجت نفسـه بالإخافـة**. وتقول: يقشعرّ الإهـاب إذا وقـع منـه **الإرهـاب** ... ويقال: لم أرهب بك: لم أسترب بك"[32].

وقال في "الفائق": "رهب الرهابة غضروف كاللسان معلق بالقص مشرف على البطن، يقال له رأس الكلب. سميت بذلك إما لتحركها عند الرهبة، وإما لأنها مما يرهب عليه، لرقته ولطافته. ومنه قيل للبعير المهزول والنصل الرقيق رهب"[33].

---

[30]) محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت - لبنان، ج 1، ص 436-439، (بتصرف).

[31]) الراغب الأصفهاني, **مفردات ألفاظ القرآن**, بتحقيق صفوان عدنان داوودي, الطبعة الثانية, 1418هـ / 1997م, دار القلم, دمشق - سوريا / الدار الشامية , بيروت - لبنان, ص 366.

[32]) محمود بن عمر الزمخشري، **أساس البلاغة**، 1399هـ / 1979م، دار صادر, بيروت - لبنان، ص 260-261.

[33]) محمود بن عمر الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، ج 2، ص 96.

من خلال هذا العرض لما ورد في بعض المعاجم العربية المعتبرة، يستخلص الباحث أن مفهوم الإرهاب في اللغة العربية يدور حول هذه المعاني: **الخوف والخشية الباعثان على الاحترام والتعبد،** أو **ما يبعث على الفزع والرعب والفرَق**. كما يأتي بمعنى **التهديد والتوعّد** (الوعيد).

كان ما سبق آنفا تتبع لمادة رهب واشتقاقاتها في اللغة العربية. وسيعرض الباحث في ما يلي تعريف الإرهاب في اللغة الإنجليزية، ثم يتبعه بعقد مقارنة بين ما ورد في اللغتين.

فقد ورد في قاموس "أكسفورد" (Oxford) تعريفات كثيرة حسب اختلاف الطبعات ويلا حظ الباحث أنها في مجموعها[34] تتفق - إلى حد كبير- والتعريف الوارد في لسان العرب لابن منظور، في موضوع الخوف والفزع والتهديد. غير أن مساحة الاختلاف تبدو واضحة في أن التعريف العربي لم يحدد الجهة التي تمارس الإرهاب أو من يمارَس ضدها؛ فهو تعريف للفعل بقطع النظر إلى الفاعل والمفعول به. في حين حدد قاموس أكسفورد الجهة الممارسة للإرهاب وكذا الجهة الممارس ضدها. إذ ذكر أن هذا الإرهاب أي الخوف أو العنف أو الفزع قد يمارسه شخص أو منظمة ضد الحكومة أو ضد الأفراد أو الأطفال.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ب- اصطلاحا

نقول ابتداء إن هنالك شكوى عامة، ممن انكبوا حتى الآن على دراسة ظاهرة الإرهاب أن مصطلحات مثل "الإرهاب" و"الإرهابي" تعاني من الغموض، كما

---

[34]) قارن مع التعريفات الواردة في الطبعات المختلفة. انظر مثلا: منير البعلبكي، **المورد**، الطبعة السابعة والثلاثون، 2003م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ص 960. وانظر كذلك:
Oxford University, 1999. ***The Concise Oxford Dictionary***, p 1480.

تفتقر إلى درجة من اليقين[35]. وجدير بالذكر أن بعض الدول عمدت "إلى خلط الأوراق، واعتبار نضال الشعوب من أجل تقرير المصير بالاعتماد على القوة المسلحة إرهابا"[36].

"ومن أعظم الأخطار أن تترك هذه المصطلحات أو المفاهيم الخطيرة هلامية ـ رجراجة، يفسرها كل فريق بما يحلو له، وبما يخدم أهدافه ومصالحه الخاصة، دون رجوع إلى معيار ثابت مستند إلى أسس مقبولة من جهة المنطق المسلم به"[37].

بالإضافة إلى أن بعض الدول ترى في تعريف الإرهاب ضررا مباشرا بمصالحها الحيوية. "فكان كل ما توصلت إليه الأسرة الدولية هو وضع اتفاقات تقمع بعض صور الإرهاب وتمويله، دون أن تعرف الظاهرة ذاتها[38]، لتصف بعض الأعمال على أنها إرهاب، وبعضها الآخر على أنه دفاع عن النفس، أو دفاع استباقي"[39].

ومن حيث الاصطلاح فتعرّف الموسوعة البريطانية الإرهاب بأنه "الاستخدام المنهجي للعنف، لخلق مناخ عام من الخوف في السكان، وبالتالي من أجل تحقيق هدف سياسي معين"[40]. وقد استخدم الإرهاب كأداة سياسية، وشكل من أشكال التعبير من قبل العديد من المنظمات والجماعات والأفراد ومؤسسات الدولة. وفي

---

[35]) أمل يازجي؛ و محمد عزيز شكري, **الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن**، الطبعة الأولى، 2002م، دار الفكر، دمشق - سورية، ص 93.

[36]) **المصدر السابق**، ص 59.

[37]) محمد إمام، **الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية**، السبت 20 جمادى الأولى 1424 هـ / 19 يوليو 2003م، العدد 8999.

[38]) رابطة العالم الإسلامي، الأمانة العامة - مكة المكرمة، **موقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب**، بدون تاريخ، مكة - السعودية، ص 30-31. وانظر الترجمة الإنجليزية بذات المصدر.

[39]) أمل يازجي؛ و محمد عزيز شكري, **الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن**، ص 60.

[40]) http://www.britannica.com/eb/article-9071797/terrorism.
قارن هذا مع التعريف القانوني المقترح من Schmid A.P ,(1992) لفرع / قسم الجريمة بالأمم المتحدة. على الرابط: http://www.unodc.org/unodc/terrorism_definitions.html
وانظر:
Encyclopedia Britannica, (1977). **The New Encyclopedia Britannica**. Chicago: The university of Chicago, 15th ed, Vol 9, p 904.

قاموس أكسفورد تعريف آخر للإرهاب: بأنه "حكم عن طريق التهديد كما وجهه ونفذه الحزب الموجود في السلطة في فرنسا إبان ثورة 1789م - 1794م". ويلاحظ االنقاد مثل هاني السباعي " أن هذا التعريف:

- قاصر على الجهة الممارسة للإرهاب وهي الحكومة أو الحزب الموجود في حكومة فرنسا نظراً لاقترافه القمع وتصفية المعارضين وقتل وتدمير المدنيين في تلكم الحقبة.
- قد تأثر بهذه الحالة فاقتصر على الجهة الممارسة للإرهاب، ولم يبين الدافع أو الباعث على ذلك.
- لم يذكر الجهة الممارس ضدها الإرهاب.

غير أن بعض الطبعات قد تداركت هذا القصور وجاء فيها:

- كلام عام قد ينطبق على فرنسا أو غيرها.
- بيان الجهة الممارسة للإرهاب سواء الحكومة أو الأفراد أو المنظمات.
- ذكر الجهة الممارس ضدها الإرهاب (الأفراد / الأطفال).

وأغلب تعريفات أكسفورد ركزت على إرهاب الأفراد والأحزاب والمنظمات ولم تركز على إرهاب الحكومة ضد الأحزاب أو المدنيين. والخلاصة أنها تعريفات قاصرة غير جامعة رغم عموم بعض الألفاظ التي صيغت بها"[41].(انتهى بتصرف)

وقد غامر شميد بتقديم تعريف زعم أنه جامع مانع ضم فيه "العناصر المشتركة الواردة في أغلب التعريفات التي وضعها علماء ينتمون لمختلف فروع العلوم

[41]) هاني السباعي، تعريف الإرهاب في المنظومة الغربية، موقع المقريزي للدراسات التاريخية بلندن. على الرابط: http://www.almaqreze.net/articles/artcl005.html

الاجتماعية. وسجل شميد في كتابه «الإرهاب السياسي» مئة وتسعة تعريفات بنى عليها تعريفه الخاص"[42].

وقد ورد تحديد الجهة في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: [تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ] (الأنفال: 60). وفي السنة (نصرت بالرعب).. فالتعريف العام لكلمة "رهب" في اللغة العربية لم يحدد الجهة الممارسة ولا الممارَس ضدها الإرهاب.. أما القرآن الكريم فقد ذكر أن إدخال الرعب والفزع في قلوب الكفار أمر محمود يثاب المسلم عليه. وكذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (نصرت بالرعب) أي نصره الله على الكفار بإدخال الرعب والخوف في قلوبهم .. إذن السنة النبوية قد حددت الجهة الممارس ضدها الإرهاب[43].

ويبدو أن الدورة الحادية عشرة للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في استكهولم بالسويد قد جنحت إلى اعتبار الإرهاب استعمالا غير مشروع للعنف أو التهديد به بقصد إزهاق الأرواح البريئة. ومن ثم فهو حرام شرعا. فقد استعرضت البحوث والدراسات التي قدمت ضمن أعمال الدورة التي عقدت في الفترة من 1 - 7 يوليو (تموز) 2003م، قضية الجهاد ونفي علاقته بالإرهاب. وقد انتهت إلى أن الجهاد في الإسلام لا علاقة له بقتل الأبرياء وترويع الآمنين[44].

ومن الخلاصات التي رشحت عن تلك الدراسات، وعن غيرها من مثل بحوث رابطة العالم الإسلامي[45]، أن مفهوم الإرهاب بالمعنى المعاصر شبيه بما يسميه

---

[42]) انظر تعريفه عند: أمل يازجي؛ و محمد عزيز شكري, **الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن**، ص 93-94.

[43]) هاني السباعي، تعريف الإرهاب في المنظومة الغربية، موقع المقريزي للدراسات التاريخية بلندن. على الرابط: http://www.almaqreze.net/articles/artcl005.html

[44]) محمد إمام، **الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية**، السبت 20 جمادى الأولى 1424 هـ / 19 يوليو 2003م، العدد 8999.

[45]) انظر: التعريف المقدم من المجمع الفقهي الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي في دورته السادسة عشر التي عقدها في شهر شوال من عام 1423هـ، والوارد في بيان مكة المكرمة. رابطة العالم الإسلامي،

الفقهاء في المنظومة الشرعية الإسلامية "الحرابة وقطع الطريق". إذ أصل الفقهاء لمسألة الحرابة (الإرهاب) بجملة من النصوص منها قوله تعالى [إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ] (المائدة: 33).

ولا ريب في أن هذه المسألة لا تزال في حاجة ملحة إلى المزيد من محاولات الفهم، والتمحيص الدقيق، والتأصيل الشرعي، حتى يتسنى الوصول إلى أحكام شرعية حولها. غير أن الباحث يلح في هذا المقام على ضرورة تضافر كل الجهود من قبل الجميع لوضع تعريف متفق عليه نظرا لخطورة ترك الأمر دون حسم مما يقود إلى نتائج وخيمة. كما يؤكد الباحث على أن تحديد مفاهيم المصطلحات المثقلة بالمعاني المتضادة مثل الجهاد والإرهاب والأصولية وغيرها من المصطلحات التي شاع استخدامها في وسائل الإعلام المختلفة قد أصبح ضرورة علمية لا مندوحة عن القيام بها. ولذلك فلا يجوز لأي شخص أو جهة استغلال أي مصطلح منها في غير ما يدل عليه أو يراد به.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

3-1 الجهاد في الكتاب: نماذج من حديث القرآن عن الجهاد

رغم أن مصطلح الجهاد - على نطاق واسع - يشمل بذل جميع أشكال السعي والجهد[46]، ولا ينطبق حصريا على استخدام القوة العسكرية، فإن النماذج القرآنية التي سنوردها في هذا المبحث من هذه الدراسة ستركز في المقام الأول على الجانب العسكري من هذا المفهوم. ومعلوم أن القتال ضد الأعداء باستعمال وسائل وأدوات الحرب ليس شيئا غريبا على الإسلام ولا حكرا عليه دون غيره من الأديان. فما كان

الأمانة العامة - مكة المكرمة، **موقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب**، ص 10. وانظر الترجمة الإنجليزية بذات المصدر. ص 12.

[46]) راجع تعريفات الجهاد، ص 13 - 15، من هذا البحث.

الإسلام في هذا بدعا من اليهودية والمسيحية. واستنادا إلى القرآن فإن الكتب المقدسة السابقة له جاء فيها الحث على القتال والأمر به كذلك. نقرأ ذلك في السياق التالي:

[إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (سورة التوبة: 111).

فعلى سبيل المثال، دعا موسى قومه لدخول مدينة فلسطين، التي كان يحتلها العمالقة في ذلك الوقت، في حين أن المسيح قد دعا أتباعه على مر العصور للدفاع عن دينهم. وفي الإسلام، فإن مسألة الجهاد قد عولجت على نطاق واسع، في المصادر الأولية للتشريع الإسلامي؛ ممثلة في القرآن الكريم، وسنة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي كانت سيرته تجسيدا للتعاليم القرآنية.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

فالقرآن يحتوي على عدد كبير من الآيات المتعلقة بأسباب الجهاد (انظر سورة البقرة: الآيات 190 و 256 وسورة النساء: الآية 75 وسورة الأنفال: الآية 39). ومراحل الجهاد (انظر سورة النساء: الآية 77 وسورة التوبة: الآية 5). وما يترتب على الجهاد (انظر سورة الأنفال: الآيات 69 و141 وسورة الفتح: الآيات 19-21). وعلاوة على ذلك، فإن إحدى السور القرآنية، وهي السورة رقم 47 في ترتيب المصحف الشريف، تسمى سورة "القتال"، كما هو ثابت في بعض المصاحف وفي كتب التفسير[47]. في حين أن اثنتين من السور؛ الأنفال والتوبة وهما من السور الطويلة نسبيا (المئين)، تحتوي على 75 و113 آية على التوالي، وهما تصفان المعارك التي دارت رحاها زمن نزول الوحي. وفيهما يبسط القرآن ويناقش كيفية

[47]) انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، **مختصر تفسير القرآن العظيم** المسمى **عمدة التفاسير** عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر، أتمه أنور الباز، الطبعة الأولى، 1424هـ / 2003م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - مصر، ج 3، ص 279.

التصرف أثناء الجهاد والقتال. وعلى ذات المنوال، فإن السنة النبوية تزخر بالأقوال والأفعال المتصلة بالجهاد.

ومن ثم فإن الجهاد في الإسلام ليس مفهوما جديدا، بل هو إرث يستند إلى حقبة امتدت لما يزيد عن أربعة عشر قرنا من الزمن. ولذلك فإن الباحثين والعلماء يجدون أنفسهم في مواجهة تركة ضخمة - كمّا ونوعا- عن الجهاد. فهي تركة تعكس اختلافا و تنوعا هائلا في التفسير والتأويل ومحاور البحث والتركيز. فأوائل كتب التفسير القديمة للقرآن الكريم، والكتب المؤلفة في الحديث قد تطرقت إلى هذا المفهوم، وناقشت قضاياه ومسائله، باستفاضة وإطناب.

واستنادا إلى هذه التعاليم المستقاة من المصادر الأولية تلك، وقع السعي إلى تقديم توضيحات وتفسيرات للتطبيقات العملية. وهو ما وقع تناوله بتوسع أكبر في وقت لاحق، من قبل علماء الأصول والفقه، الذين وضعوا ودونوا لنا القواعد الأصولية الكلية، لضبط وانتظام تعاليم الإسلام العامة، وفروعه الفقهية بطريقة منهجية جامعة. وقد قام الأصوليون بدورهم بمناقشة مفهوم الجهاد[48].

وفيما يلي عرض شبه مفصل لبعض الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن الجهاد، متبوعة ببعض التعليقات التي استقاها الباحث من كتب التفسير المعتمدة، أو تعليقات العلماء أو ملاحظات شخصية له. ونبدأ هذا العرض ببيان فرضية الجهاد الواردة في قوله تعالى:

1 – [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ] (البقرة: 216).

[48]) كالعز بن عبد السلام، وابن تيمية، وابن كثير، والقرافي، والشاطبي، وغيرهم.

وهذه الآية دليل على حجيته في المصدر الأول من التشريع. وقد ذكر القرطبي (ت: 671 هـ)، في سياق شرحه لهذه الآية ثلاث مسائل:

"**الأولى**: قوله تعالى: [كُتِبَ] معناه فرض، وقد تقدم مثله (يعني في تفسيره). وقرأ قوم كتب عليكم القتل. وقال الشاعر:

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول[49]

هذا هو فرض الجهاد؛ بيّن سبحانه أن هذا مما امتحنوا به وجُعل وَصْلة إلى الجنة.

والمراد بالقتال قتال الكفار من الأعداء، وهذا كان معلوما لهم بقرائن الأحوال[50]، ولم يؤذن للنبي - صلى الله عليه وسلم - في القتال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أذن له في قتال من يقاتله من المشركين، فقال تعالى: [أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا] (الحج:39). ثم أذن له في قتال المشركين عامة. واختلفوا مَن المراد بهذه الآية فقيل: أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة، فكان القتال مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فرض عين عليهم، فلما استقر الشرع صار على الكفاية، قاله عطاء والأوزاعى. قال ابن جريج: قلت لعطاء: أواجب الغزو على الناس في هذه الآية؟ فقال: لا إنما كتب على أولئك. وقال الجمهور من الأمة: أول فرضه إنما كان على الكفاية دون تعيين، غير أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أستنفرهم تعين عليهم النفير لوجوب طاعته. وقال سعيد ابن المسيب: إن الجهاد فرض على كل مسلم في عينه أبدا، حكاه الماوردي. قال ابن عطية: والذي استمر عليه الإجماع أن الجهاد على كل أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فرض كفاية، فإذا قام به من قام [من] المسلمين سقط عن الباقين، إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عين ...

---

[49]) البيت للشاعر الشهير: أبو العلاء المعري.

[50]) يشير الباحث هنا إلى إن كلا من Gould و Peters يزعمان غموض القرآن في علة قتال الكفار؛ علة الكفر أم العلة العدوان؟ انظر:

Mark Gould, 2005. Understanding Jihad. ***Policy Review***, 129.

الثانية: قوله تعالى: [وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ] ابتداء وخبر، وهو كره الطباع. قال ابن عرفة: "الكره المشقة" ... وإنما كان الجهاد كرها لأن فيه إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس. فكانت كراهيتهم لذلك لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى. وقال عكرمة في هذه الآية: إنهم كرهوه ثم أحبوه، وقالوا سمعنا وأطعنا وهذا لأن امتثال الأمر يتضمن مشقة لكن إذا عرف الثواب هان في جنبه مقاسات المشقات ...

الثالثة: قوله تعالى: [وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا]. قيل عسى بمعنى قد، قاله الأصم. ... وقال أبو عبيدة عسى من الله إيجاب. والمعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من مشقة وهو خير لكم"[51]. (انتهى بتصرف).

2 – [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزّىً لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ] (آل عمران: 156-158).

قال ابن كثير(ت: 774)، معلقا على هذه الآيات:

> ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد، الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب: لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم. فقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ] أي عن إخوانهم. [إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ] أي سافروا للتجارة ونحوها. [أَوْ كَانُوا غُزّىً] أي كانوا في الغزو. [لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا] أي في البلد. [مَا مَاتُوا وَمَا

[51]) محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الثانية، 1372هـ، بتحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب ، القاهرة - مصر، ج 3، ص 38-39. (بتصرف).

قُتِلُوا] أي ما ماتوا في السفر وما قتلوا في الغزو. وقوله: [لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ] أي خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلاهم. ثم قال تعالى ردا عليهم: [وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ] أي بيده الخلق وإليه يرجع الأمر، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره، ولا يزاد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره. [وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] أي علمه وبصره نافذ في جميع خلقه لا يخفى عليه من أمورهم شيء. وقوله تعالى: [وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ] تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضا وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه. وذلك خير من البقاء في الدنيا وجميع حطامها الفاني. ثم أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فمصيره ومرجعه إلى الله - عز وجل - فيجزيه بعمله؛ إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا، فقال تعالى: [وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ][52].

وفي الآيات بيان حقيقة مهمة على المستوى النفسي والروح المعنوية، إذ الجهاد لا يقدم الآجال ولا يؤخر. كما أنه من أخلاق المؤمنين وشيمهم. كما تجدر الإشارة إلى اقتران المغفرة والرحمة بالقتل أو الموت في سبيل الله في الآية الثانية، وإلى خلو الآية الثالثة من ذلك لخلوها من معنى الجهاد، وفي الآيات إشارة إلى أن الجبن من أخلاق الكافرين لا المؤمنين.

3 – [وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ] (آل عمران: 169- 170).

وفي الآيتين بيان ثواب الجهاد، واستبشار أهله. وقد أورد شيخ المفسرين الإمام الطبري (224-310هـ)، تفاصيل عن رزقهم وفرحهم واستبشارهم حيث قال:

[52]) إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 1401هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان، ج 1، ص 420.

[وَلا تَحْسَبَنَّ] ولا تظنن. وقوله: [الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ]، يعني الذين قتلوا بأُحُد من أصحاب رسول الله. [أَمْوَاتاً]، يقول ولا تحسبنهم يا محمد أمواتا لا يحسون شيئا ولا يلتذون ولا يتنعمون، فإنهم أحياء عندي ... عن ابن عباس قال: قال رسول الله: (لما أصيب إخوانكم بأُحُد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش[53]. فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم، قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم). فأنزل الله عز وجل على رسول الله هؤلاء الآيات[54].

4 – [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُـذُواْ حِذْرَكُـمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أوِ انفِرُواْ جَمِـيعاً ۝ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّـئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُـن مَّعَـهُمْ شَهِـيداً ۝ وَلَئِنْ أَصَابَكُـمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ لَيَقُـولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُـن بَيْنَكُـمْ وَبَيْنَـهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَـنِي كُنتُ مَعَـهُمْ فَأَفُـوزَ فَوْزاً عَظِيماً ۝ فَلْيُقَـاتِلْ فِي سَبِـيلِ اللّهِ الَّذِيـنَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِـلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ۝ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُـونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِـينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْـدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ۝ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ۝ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ

---

[53]) تجدر الإشارة هنا أن سيد قطب قد استشهد بذكر نحو ألفاظ هذا الحديث. وكان ذلك عند سماعه خبر حكم إعدامه. انظر في ذلك: أحمد عبد المجيد، **الإخوان وعبد الناصر: القصة الكاملة لتنظيم 65**، الطبعة الأولى، 1412هـ / 1991م، الزهراء للإعلام العربي، ص 193-194.

[54]) محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 1405هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان، ج 4، ص 170-171.

يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَالِ هَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ۝ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً] (سورة النساء: 71- 78).

ففي هذه الآيات حض من الله - سبحانه وتعالى - للمسلمين على أخذ الحيطة والحذر، وممارسة القتال في جيوش أو عصابات أو فرادى حسب المصلحة والأحوال، وتوبيخ للقاعدين والجبناء والمخلفين والنفعيين. وتحذير من التثاقل عن القتال. كما تضمنت البيان الشافي لأحد أسباب الجهاد؛ إنه القتال في سبيل الله مقترنا بالدفاع عن الضعفاء وتخليصهم من الظالمين، وفي ذلك بيان لأحد أهم أغراض وأهداف الجهاد في الإسلام في معناه الإنساني. واصطفاف جنوده مع المستضعفين. قال الشوكاني (1173هـ - 1250هـ) في معرض تفسيره لهذه الآيات:

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

> [وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ] خطاب للمؤمنين المأمورين بالقتال على طريق الالتفات قوله: [الْمُسْتَضْعَفِينَ] مجرور عطفا على الاسم الشريف، أي ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وسبيل [الْمُسْتَضْعَفِينَ]، حتى تخلصوهم من الأسر وتريحوهم مما هم فيه من الجهد. ويجوز أن يكون منصوبا على الاختصاص أي وأخص [الْمُسْتَضْعَفِينَ]، فإنهم من أعظم ما يصدق عليه سبيل الله. واختار الأول الزجاج والأزهري. وقال محمد بن يزيد: أختار أن يكون المعنى وفي المستضعفين، فيكون عطفا على السبيل. والمراد بالمستضعفين هنا من كان بمكة من المؤمنين تحت إذلال الكفار، وهم الذين كان يدعو لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: (اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين) كما في الصحيح. ولا يبعد أن يقال إن لفظ الآية أوسع والاعتبار بعموم اللفظ لولا تقييده بقوله: [الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ

الظَّالِمِ أَهْلُهَا]، فإنه يشعر باختصاص ذلك بالمستضعفين الكائنين في مكة. لأنه قد أجمع المفسرون على أن المراد بالقرية الظالم أهلها: مكة[55].

وفي الآيات اعتبار القتال مثل الصلاة والصوم من أركان الإسلام. كما بين الله فيها كيف يفند شبهات المترددين، ويشجع الخائفين أكبر تشجيع، ويهون عليهم كيد أعدائهم، فهم - أي أعداؤهم - إنما يقاتلون في سبيل شيطان كيده ضعيف. ويطلب منهم الإقدام في جرأة وثبات، مبينا لهم أن الموت سيدركهم لا محالة، وعليهم اختيار الموتة التي تجعلهم من الفائزين يوم لا يظلمون فتيلا.

وفي الآية رصد لحقيقة المرحلية في إعداد الإسلام لجنوده، فلم يطلب منهم القتال في بداية مرحلة التربية. كما أنه لم يكن الوسيلة المناسبة لتلك الأحوال. فاستعمال القتال يدور مع مصلحة المسلمين من ورائه، وطبيعة الظروف المحيطة وجودا وعدما. فإنما أُخِّر لحكمة الحكيم سبحانه وتعالى.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

5 – [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ۝ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ] (الأنفال: 60-65).

---

[55]) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت - لبنان، ج 1، ص 487.

و في الآيات أمر واضح بالإعداد للقتال على قدر الاستطاعة، وألا يترك ذلك حتى يباغت الأمة أعداؤها. واستعمال للفظ الإرهاب وأنه موجه لأعداء الله أولا ولأعداء الأمة، فالقتال ليس لأعداء الأمة فقط. والسورة فيها حث على القتال وحض على الثبات فيه، وبيان لكثير من أحكامه كتوزيع الغنائم، وأحكام الأسرى. وعدم التنازع عند اللقاء فذلك مما يذهب الريح والقوة. ولهذا كانت نشيدا حربيا يتلوه المسلمون الأولون إذا اشتد الكرب وحمي الوطيس.

6 – [أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] (التوبة: 13-15).

وفيها أمر بقتال المشركين الناكثين للعهود كل مرة. قال السيوطي (ت: 911 هـ):

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

> زعموا أن ذلك عام عمرة النبي - صلى الله عليه وسلم - في العام السابع للحديبية، وجعلوا في أنفسهم إذا دخلوا مكة أن يخرجوه منها فذلك همهم بإخراجه. فلم تتابعهم خزاعة على ذلك، فلما خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة قالت قريش لخزاعة: عميتمونا عن إخراجه، فقاتلوهم، فقتلوا منهم رجالا. وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ عن عكرمة - رضي الله عنه - قال: نزلت في خزاعة [قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ] من خزاعة[56].

وفي الآيات كذلك تنبيه إلى أن أحد ثمرات الجهاد هو توبة من يشاء الله توبته.

---

[56]) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، دار الفكر، 1993م، بيروت - لبنان، ج 4، ص 134.

وسورة التوبة فيها حديث طويل عن الجهاد لا يتسع له المقام هنا وحسبنا أن ننبه إلى ما جاء فيها من ذكرٍ لقتال أصناف من الناس؛ المشركين، والذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ومن لا يدين دين الحق من أهل الكتاب. وما جاء فيها من بيان لأحد الأحوال التي يمكن أن ينتهي إليها القتال؛ وهي الجزية. وذلك في قوله تبارك وتعالى: [قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ] (التوبة: 29).

ثم إعلان النفير العام في قوله تعالى: [انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] (التوبة: 41).

ثم تبكيت للقاعدين والمخلفين الجبناء، وبيان لخور معادلاتهم. وأن من رضي بالقعود أول مرة يحرم من شرف الجهاد مع الرسول أبدا. في قوله تعالى: [فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ] (التوبة:81-83).

ثم إشادة بموقف المجاهدين الذين يبذلون كل وسعهم من وسائل الجهاد؛ المال والنفس. وبيان فوزهم العظيم إذ قدّموا الغالي والنفيس في قوله تعالى: [لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (التوبة: 88-89).

ثم بيعة بعد ذلك جامعة مانعة، لا تدع عذرا لمعتذر من رب خالق جواد كريم، ينعم بالنفس ويوسع في الرزق ويبسط في الجسم، ثم يشتري ما به تفضل وعلى عبده أنعم؛ وذلكم في قوله تعالى: [إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (التوبة: 111).

7 – [وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ۝ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ] (محمد / القتال: 20-21). سورة بأكملها في كتاب الله المشرع الحكيم العليم تسمى **"سورة القتال"**[57]. وفي الآية الثانية إشادة بالطاعة عند التلقي والصدق عند اللقاء.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

8 – [لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً] (الفتح: 18). وسورة الفتح هي أيضا كلها نزلت في غزوة من غزوات رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وفي هذه الآية المقتبسة منها الإشادة بموقف رائع من مواقف الجهاد العزيز، تحت ظل الشجرة المباركة، حيث أعطيت بيعة الثبات والموت، فأثمرت السكينة والفتح.

9 – [وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء

[57]) انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، **مختصر تفسير القرآن العظيم** المسمى **عمدة التفاسير** عن الحافظ ابن كثير، ج 3، ص 279.

الْكَافِرِينَ ۝ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] (البقرة: 190-194).

وفي الآية الأولى بيان بمفهوم المخالفة - على حد تعبير الأصوليين - على من يحرم قتله من أهل الحرب، من النساء وغيرهم. قال السرخسي: "لا ينبغي أن يقتل النساء من أهل الحرب ولا الصبيان ولا المجانين ولا الشيخ الفاني، لقوله تعالى: [وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ] وهؤلاء لا يقاتلون"[58].

ويقول سيد قطب تعليقا على هذه الآيات الواردة في شأن الجهاد: "وهذه الآيات تمثل قاعدة أحكام الجهاد في الإسلام.

وتبدأ الآيات بأمر المسلمين بقتال هؤلاء **الذين قاتلوهم** وما يزالون يقاتلونهم، وبقتال **من يقاتلهم في أي وقت وفي أي مكان**، ولكن **دون اعتداء**: [وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ].

وفي أول آية من آيات القتال نجد **التحديد الحاسم لهدف القتال**، والراية التي تخاض تحتها المعركة في وضوح وجلاء: [وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ] .. إنه القتال لله، لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة. القتال في سبيل الله. لا في سبيل الأمجاد والاستعلاء في الأرض، ولا في سبيل المغانم والمكاسب; ولا في سبيل الأسواق والخامات; ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس..

---

[58]) أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي، **شرح السير الكبير**، الطبعة الثانية, 1971م, بتحقيق صلاح الدين المنجد, مكتبة ابن تيمية, القاهرة - مصر , باب من يكره قتله من أهل الحرب من النساء وغيرهم، ج 4، ص 1415.

ومع تحديد الهدف، **تحديد المدى**: [وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ] .. **والعدوان يكون بتجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الآمنين المسالمين** الذين لا يشكلون خطرا على الدعوة الإسلامية ولا على الجماعة المسلمة، كالنساء والأطفال والشيوخ والعباد المنقطعين للعبادة من أهل كل ملة ودين .. كما يكون بتجاوز آداب القتال التي شرعها الإسلام، ووضع بها حدا للشناعات التي عرفتها حروب الجاهليات الغابرة والحاضرة على السواء .. تلك الشناعات التي ينفر منها حس الإسلام، وتأباها تقوى الإسلام.

والآيات بيان عن القتال بصفة عامة، وعن القتال عند المسجد الحرام وفي الأشهر الحرم بصفة خاصة[59].

ورد في بعض الروايات أن هذه الآيات هي أول ما نزل في القتال. نزل قبلها الإذن من الله للمؤمنين الذين يقاتلهم الكفار بأنهم ظلموا. وأحس المؤمنون بأن هذا الإذن هو مقدمة لفرض الجهاد عليهم، وللتمكين لهم في الأرض، كما وعدهم الله في آيات سورة الحج: [أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ]. (الحج: 39-41).

[59]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، الطبعة الشرعية الثالثة والثلاثون: 1425هـ / 2004م، دار الشروق، القاهرة - مصر / بيروت - لبنان، ج 1، ص 204.

ومن ثم كانوا يعرفون لِم أذن لهم بأنهم ظلموا، وأعطيت لهم إشارة الانتصاف من هذا الظلم، بعد أن كانوا مكفوفين عن دفعه وهم في مكة، وقيل لهم: [كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ] (النساء: 77).. وكان هذا الكف لحكمة قدرها الله"[60].

أقول: ولا شك ولا ريب ولا غموض، في أن هذا الكلام يفيد في منتهى الوضوح والجلاء، أن سيد قطب لا يتبنى قتل غير المحاربين المعتدين من الآمنين المسالمين الأبرياء والضعفاء والعباد. بل ويعتبر ذلك من الاعتداء الذي جاءت الآية سالفة الذكر بالنهي الصريح عنه. وإنما هو الجهاد للانتصاف من الظلم الواقع على المسلمين. كما أن في كلامه - كذلك - رفض قاطع لتجاوز آداب القتال التي شرعها الإسلام، وارتكاب الشناعات التي ينفر منها حس الإسلام، وتأباها تقواه.

10- [وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] (البقرة:195).

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

يقول سيد قطب عند تفسيره لهذه الآية: "والجهاد كما يحتاج للرجال يحتاج للمال. ولقد كان المجاهد المسلم يجهز نفسه بعدة القتال، ومركب القتال، وزاد القتال .. لم تكن هناك رواتب يتناولها القادة والجند. إنما كان هناك تطوع بالنفس وتطوع بالمال.

... ولكن كثيرا من فقراء المسلمين الراغبين في الجهاد، ... كانوا يجيئون إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلبون أن يحملهم إلى ميدان المعركة البعيد، الذي لا يبلغ على الأقدام. فإذا لم يجد ما يحملهم عليه [تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ] .. كما حكى عنهم القرآن الكريم[61].

---

[60]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 1، ص 204.
[61]) انظر سورة التوبة : 91-92.

من أجل هذا كثرت التوجيهات القرآنية والنبوية إلى الإنفاق في سبيل الله. الإنفاق لتجهيز الغزاة. وصاحبت الدعوة إلى الجهاد دعوة إلى الإنفاق في معظم المواضع. وهنا يعد عدم الإنفاق تهلكة ينهى عنها المسلمون: [وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] .. والإمساك عن الإنفاق في سبيل الله تهلكة للنفس بالشح، وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف. وبخاصة في نظام يقوم على التطوع، كما كان يقوم الإسلام.

ثم يرتقي بهم من مرتبة الجهاد والإنفاق إلى مرتبة الإحسان: [وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] .. ومرتبه الإحسان هي عليا المراتب في الإسلام. وهي كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[62].

وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة، فإنها تفعل الطاعات كلها، وتنتهي عن المعاصي كلها، وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة، وفي السر والعلن على السواء. وهذا هو التعقيب الذي ينهي آيات القتال والإنفاق، فيكل النفس في أمر الجهاد إلى الإحسان. أعلى مراتب الإيمان .."[63] (انتهى بتصرف).

ذلكم غيض من فيض من المواضع، التي ورد فيها ذكر الجهاد وأحكامه وبعض ما يلحق به. و جاء في القرآن من هذا الباب الكثير فمن تصفحه وتدبره، يرى العجب العجيب، ويدهش لغفلة المسلمين عنه، ويدرك مدى انحرافهم عن كتابهم المجيد. وقد آثرت تأخير الحديث عن بعض الجوانب الأخرى، التي وقع في تأويلها الاختلاف، وهي محل سجال؛ كتلك الآيات الواردة في مراحل الجهاد، وفي بيان طبيعته بين

---

[62]) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، 1407هـ / 1987م، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت - لبنان، ج 1، ص 27، حديث رقم 50. وانظر مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. ج 1، ص 37، حديث رقم 8.

[63]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 1، ص 213-214، (بتصرف).

الدفاع والانطلاق، وآية السيف وتحرير النزاع حول نسخها لما سبقها؛ إذ سيأتي الحديث - إن شاء الله - عن كل ذلك لاحقا فلا داعي للتكرار.

وإذا كان ما عرضناه فيما سبق آنفا يمثل جانبا من حديث القرآن عن الجهاد، عن فرضيته وفضله ومراحله وأهدافه وتحريض المؤمنين عليه ... إلخ، قد قادنا إلى أن القرآن أطنب في الحديث عن الجهاد وتوابعه اللغوية والاصطلاحية. وذلك بدوره مما يوطئ لنا القول مطمئنين بأن الجهاد أصل أصيل وركن ركين في المصدر التشريعي الأول في الإسلام. فهل في القرآن ذكر مماثل للإرهاب؟ أو لما له علاقة بمعانيه الاصطلاحية المتداولة اليوم؟ أو حتى لمعانيه اللغوية البعيدة عن المتبادر للذهن عند ذكر الإرهاب؟ وهل يسمح لنا حديث القرآن عن الإرهاب، بتأسيس نظرية في الإرهاب الإسلامي؟ ذلك ما سنحاول الكشف عنه في المبحث التالي.

4-1 الإرهاب في الكتاب: نماذج من حديث القرآن عن الإرهاب

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

لقد تتبعت الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر أحد مشتقات الجذر (ر- هـ - ب)، فألفيتها في اثني عشر موضعا بصيغة الفعل الماضي، والمضارع، والأمر، والمصدر[64]. وتدور حول معنى واحد هو: المخافة من شيء[65]. ولذلك قال الراغب الأصفهاني في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن": "الرَّهبة والرُّهْب والرَّهَب: مخافة مع تحرز واضطراب"[66].

---

[64]) محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، 1999م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ص 329-330.

[65]) عثمان بن جمعة ضميرية، **الإرهاب نظرات لغوية، وشرعية، وقانونية مقارنة (في المصطلح والمفهوم ودوافع التهمة)**، سلسلة كتاب البيان: 73، 2006م، دار الكتب المصرية - مصر، مكتب مجلة البيان، الرياض - السعودية، ص 30-35.

[66]) الراغب الأصفهاني, **مفردات ألفاظ القرآن**, بتحقيق صفوان عدنان داوودي, الطبعة الثانية, 1418هـ / 1997م, دار القلم, دمشق - سوريا / الدار الشامية , بيروت - لبنان, ص 366.

"وغالب استعمال الرهبة في القرآن الكريم إنما كان في الخوف من الله - تعالى - خشية له وفرقا من عذابه، كما في قوله - تعالى -: [وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ] (الأعراف: 154). قال البغوي في تفسير قوله تعالى: [لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ] أي للخائفين من ربهم. واللام في [لِرَبِّهِمْ] زيادة للتوكيد[67].

وقوله - تعالى -: [يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ] (البقرة: 40). أي فاخشوني وحدي، ولا تخشوا أحدا سواي.

وقوله - تعالى -: [وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ] (النحل: 51).

وقوله - تعالى -: [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ] (الأنبياء: 90). والمعنى أنهم يدعون ربهم في وقت تعبدهم، وهم بحال رغبة ورجاء وخوف في حال واحدة؛ لأن الرغبة والرهبة متلازمان.

وفي بعض الآيات الكريمة جاءت الرهبة بمعنى الخوف الطبيعي أو الغريزي مما يخاف منه المرء، كما في قوله - تعالى -: [اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ

[67]) الحسين بن مسعود الفراء البغوي، **معالم التنزيل (تفسير البغوي)**، الطبعة الثانية، 1407هـ / 1987م، بتحقيق خالد العك - مروان سوار، بيروت - لبنان، ج 2، ص 203.

وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ] (القصص: 32). قال ابن عباس: اضمم يدك إلى صدرك من الخوف يذهب عنك الرعب[68].

وفي بعضها الآخر جاء الحديث عن الرهبة والاسترهاب من شخص لآخر، كما في قوله - تعالى -: [قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ] (الأعراف: 116). أي: أن سحرة فرعون لما ألقوا سحرهم صرفوا أعين الناس عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل، [وَاسْتَرْهَبُوهُمْ] أي أرهبوهم، وأفزعوهم[69].

وكذلك المنافقون يرهبون المسلمين أشد من رهبتهم من الله - سبحانه وتعالى -؛ لأنهم لا يفقهون عظمته، كما جاء في قوله عنهم: [لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ] (الحشر: 13).

وفي آيات كريمة أخرى جاءت كلمتا الرهبان والرهبانية للدلالة على الترهب عند النصارى: وهو التعبد واستعمال الرهبة. والرهبانية هي الغلو في تنحل التعبد، كما في قوله - سبحانه وتعالى -: [ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ] (الحديد: 27).

وقوله: [لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ] (المائدة: 82).

---

[68]) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، الطبعة التاسعة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ج 2، ص 433.

[69]) الحسين بن مسعود الفراء البغوي، **معالم التنزيل (تفسير البغوي)**، ج 2، ص187.

وقوله - تعالى -: [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] (التوبة: 31).

وقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] (التوبة: 34).

تلكم هي الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها الرهبة ومشتقاتها، وتلك هي المعاني والتفسيرات التي قال بها العلماء قديما وحديثا.

وبقي بعد هذه الآيات آية واحدة، قد يتأولها بعضهم على وجه يفهم منه معنى قريبا من المعاني التي ألبست لهذه الكلمة في الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين، باسم محاربة الإرهاب. ولذلك نخصها بوقفة أخرى سريعة نستجلي فيها المعنى من خلال السياق.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

فقد جاءت كلمة [تُرْهِبُونَ] في آية كريمة واحدة، في سياق الأمر بإعداد العدة من السلاح ونحوه لتخويف الكفار والمنافقين، الذين يخاف المسلمون خيانتهم وغدرهم ونقضهم للعهود والمواثيق.

قال الله - تعالى -: [إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ۝ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ۝ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ۝ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ] (الأنفال:55-60).

قال شيخ المفسرين الإمام الطبري - رحمه الله - في تأويل الآية الأخيرة: "[وَأَعِدُّوا] لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم، أيها المؤمنون بالله ورسوله. [مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ] يقول: ما أطقتم أن تعدوه لهم، من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم، من السلاح والخيل. [تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ] يقول: **تخيفون** بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين ...". ونقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله - تعالى -: [تُرْهِبُونَ بِهِ] قال **تخزون به** عدو الله وعدوكم"[70].

وقال البيضاوي: "[وَأَعِدُّوا] أيها المؤمنون. [لَهُمْ] لناقضي العهد أو الكفار. [مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ] من كل ما يتقوى به في الحرب. وعن عقبة بن عامر سمعته - صلى الله عليه وسلم - يقول على المنبر(ألا إن القوة الرمي) قالها ثلاثا. ولعله - صلى الله عليه وسلم - خصه بالذكر لأنه أقواه. [وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ] اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ... [تُرْهِبُونَ بِهِ] تخوفون به، وعن يعقوب [تُرَهِّبُونَ] بالتشديد والضمير لـ[مَا اسْتَطَعْتُمْ] أو للإعداد. [عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ] يعني كفار مكة. [وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ] من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس. [لاَ تَعْلَمُونَهُمُ] لا تعرفونهم بأعيانهم. [اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ] يعرفهم"[71].

وقال عبد الحق ابن عطية الأندلسي في تفسيره: "الخطاب في هذه الآية لجميع المؤمنين، والضمير في قوله - تعالى - [لَهُمْ] عائد على الذين ينبذ إليهم العهد، أو الذين لا يعجزون - على تأويل من تأول ذلك في الدنيا - ويحتمل أن يعود على جميع

---

[70]) محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج 10، ص 29.

[71]) ناصر الدين البيضاوي، **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، 1416هـ / 1996م، بتحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت - لبنان، ج 3، ص 118-119.

الكفار المأمور بحربهم في ذلك الوقت، ثم استمرت الآية في الأمة عامة، إذ الأمر قد توجه بحرب جميع الكفار"[72].

والذي خلص إليه سيد قطب في سياق الآيات الكريمة، وما تضمنته من أحكام وتشريعات:

- "أن الذين يعاهدون المعسكر الإسلامي، ثم يخلفون عهدهم معه هم شر الدواب .. ومن ثم ينبغي أن يؤدبهم المعسكر الإسلامي تأديباً يلحظ فيه الإرهاب الذي يشردهم ويشرد من وراءهم ممن تراودهم نية نقض العهد أو نية مهاجمة المعسكر الإسلامي.

- أن المعاهدين الذين تخشى القيادة الإسلامية منهم نقض العهد والخيانة; فإن لهذه القيادة أن تنبذ إليهم عهدهم، وتعلنهم بإلغائه. ومن ثم تصبح في حل من قتالهم وتأديبهم وإرهاب من وراءهم من أمثالهم.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

- أنه يجب على المعسكر الإسلامي إعداد العدة دائماً واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة؛ لتكون القوة المهتدية هي القوة العليا في الأرض; التي ترهبها جميع القوى المبطلة؛ والتي تتسامع بها هذه القوى في أرجاء الأرض، فتهاب أولا أن تهاجم دار الإسلام؛ وتستسلم كذلك لسلطان الله فلا تمنع داعية إلى الإسلام في أرضها من الدعوة، ولا تصد أحداً من أهلها عن الاستجابة، ولا تدعي حق الحاكمية وتعبيد الناس، حتى يكون الدين كله لله ... إلخ"[73].

---

[72]) عبد الحق بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، بتحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد ابراهيم ومحمد الشافعي صادق العناني، الطبعة الأولى، 1404هـ / 1984م، مؤسسة دار العلوم، الدوحة - قطر، ج 6، ص 356.

[73]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1538.

والجدير بالذكر هنا: التأكيد على هذا الحكم الأخير والحكمة التي تتضمنه؛ لأنه يلقي ضوءا على موضوعنا، ويبدد كثيرا من الشبهات:

> ويحسن أن نعرف حدود التكليف بإعداد القوة. فالنص يقول: [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ]. . فهي حدود الطاقة إلى أقصاها. بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها. كذلك يشير النص إلى الغرض الأول من إعداد القوة: [تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ]. فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض؛ الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون; ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم. وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم. والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض; ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله[74].

وسيأتي - إن شاء الله تعالى - مزيد بيان من الباحث لهذا، عند الحديث عن مقاربة الجهاد لدى سيد قطب، وبالأخص عند محاولة تبين هل كان داعية تحرير مشروع أم أنه كان داعية إرهاب مذموم، وذلك في الفصل الرابع من هذا البحث.

5-1 الجهاد في السنة: نماذج من حديث السنة عن الجهاد

على ذات المنوال الذي سار فيه القرآن، فإن السنة النبوية تزخر بالأقوال والأفعال المتصلة بالجهاد، وذلك إلى حدٍّ جعَل العلماء المتقدمين الذين سجلوا حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكتبوا سيرته وجمعوا أقواله، يشيرون إلى فترة كبيرة من زمن نبوته، وهي الفترة الممتدة من السنة الثانية بعد الهجرة (624م) وحتى وفاته

[74]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1544.

(632م)، كل هذه الفترة يوردونها تحت عنوان المغازي والسرايا والبعوث[75]. ومن مجموع الغزوات والسرايا التي حصلت في حياته، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد شارك في ست وعشرين غزوة منها في حين بعث أصحابه في سبعة وثلاثين سرية[76]. وقاتل في تسع منها بنفسه: (بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف)، وهذا على قول من قال: مكة فتحت عنوة[77].

وسنورد في هذا المبحث بعض النماذج من الأحاديث النبوية الشريفة، التي تناولت الجهاد وفضائله وأهدافه ووسائله وآدابه وساحاته. حتى تَبين لنا منزلته في المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي. مما يمهد لنا الطريق بعد ذلك لرد المقاربات البشرية غير المعصومة، إلى النصوص التي كتب الله لها العصمة. وأمر سبحانه بالعودة إليها لتكون أحسن التأويل، والفرقان والفصل الذي لا معقب لحكمها، عند التنازع في أي شيء. حيث قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً] (النساء: 59).

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

أ- وجوب عرض الدعوة والبلاغ قبل القتال [78]

1- عن ابن عباس قال: "ما قاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قوما قط إلا دعاهم". رواه أحمد[79].

---

[75]) David Cook, 2005. ***Understanding Jihad***, p 6.

[76]) Mustafa Sibā'ī, 2004. ***The Life of Prophet Muhammad: Highlights and Lessons***. Saudi Arabia: International Islamic Publishing House, p 83.

[77]) عبد الله عزام، **إلحق بالقافلة**، ص 20.

[78]) محمد بن علي الشوكاني، **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار**، طبعة 2005م، دار الحديث، القاهرة - مصر، ج 7، ص 236.

[79]) أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، مصر، ج 1، ص 236، حديث رقم 2105.

2- عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا أمّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: (اغزوا باسم الله. ... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال -أو خلال- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم،ثم ادعهم إلى...). رواه مسلم[80]، والترمذي وصححه[81]، وأحمد[82]، وابن ماجة[83]، وابن منده[84].

ب- بيان فضله

1 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم بأن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل) رواه البخاري[85]، ومسلم[86]. والسرية: القطعة من الجيش لا يكون فيها القائد العام.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

2 - عن ابن أبي عميرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لأن أقتل في سبيل الله أحب إلي من أن يكون لي أهل المدر والوبر). رواه النسائي[87]. وأهل المدر والوبر: أي أهل الحواضر والبوادي.

---

[80]) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج 3، ص 1357، حديث رقم 1731.
[81]) محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج 4، ص 162، حديث رقم 1617.
[82]) أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج 5، ص 352، حديث رقم 23028.
[83]) محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، **سنن ابن ماجه**، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ج 2، ص 953، حديث رقم 2858.
[84]) محمد بن إسحاق بن منده، **الإيمان**، بتحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الثانية، 1406هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ج 1، ص 261، حديث رقم 120.
[85]) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، ج 3، ص 1030، حديث رقم 2644.
[86]) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج 3، ص 1497، حديث رقم 1876.
[87]) أحمد بن شعيب النسائي، **المجتبى من السنن**، بتحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، 1406هـ / 1986م، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب - سورية، ج 6، ص 33، حديث رقم 3153

3 - عَنْ سَهْلِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَال: (لأَنْ أُشَيِّعَ مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللهِ فَأَكُفَّهُ عَلَى رَحْلِهِ، غَدْوَةً أَوْ رَوْحَةً، أَحَبُّ إِليَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا). رواه الحاكم في المستدرك[88]. فأكفه على رحله: فأساعده عليه. غدوة: بالغدو وهو الصباح. روحة: بالرواح وهو المساء.

4 - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (وَفْدُ الله ثلاثة: الغازي والحاج والمعتمر). رواه البيهقي[89].

ت- الجهاد ذروة سنام الإسلام فكذلك مكان الشهيد الفردوس أعلى الجنان

1 - عن أم حارثة، سراقة أنها أتت النبي - صلى الله عليه وسلم- فقالت: "يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البكاء؟" قال: (يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى). أخرجه البخاري[90]. والسهم الغرب: الذي لا يعرف راميه. واجتهدت عليه في البكاء: بكيت بكاء شديدا.

2 - عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف). أخرجه مسلم[91]، وأبو داود[92]، وغيرهما.

ث- تحذير الأمة من تركه والعاقبة الوخيمة لذلك على الفرد والمجتمع

---

[88]) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، ج 2، ص 107، حديث رقم 2479.
[89]) أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان**، بتحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، 1410هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 3، ص 475، حديث رقم 4103.
[90]) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، ج 3، ص 1034. حديث رقم 2654.
[91]) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج 3 ، ص 1362. حديث رقم 1742.
[92]) سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود**، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ج 3، ص 42، حديث رقم 2631.

1 - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق). رواه مسلم[93]، وأبو داود[94]، ونظائره كثيرة.

2 - عن أبي هُرَيرَةَ قال: قال رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم -: (من لقي الله بغير أثرٍ من جهادٍ لقيَ الله وفيه ثلمة). رواه الترمذي[95]، وابن ماجه[96].

3 - عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم). رواه أبو داود[97]، والبيهقي[98].

4 - عن أبي عمران قال: "كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد. فحمل رجل من المسلمين على صف من الروم، حتى دخل عليهم. فصاح الناس وقالوا: 'سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة'، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنكم لتأوّلون هذه الآية هذا التأويل؛ وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه. فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه - صلى الله عليه وسلم- يرد علينا ما قلنا، [وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا

---

[93]) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج 3، ص 1517، حديث رقم 1910.
[94]) سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود**، ج 3، ص 10، حديث رقم 2502.
[95]) محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، ج 4، ص 189، حديث رقم 1666.
[96]) محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، **سنن ابن ماجه**، ج 2، ص 923، حديث رقم 2763.
[97]) سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود**، ج 3، ص 274، حديث رقم 3462.
[98]) أحمد بن الحسين البيهقي، **سنن البيهقي الكبرى**، بتحقيق: محمد عبد القادر عطا، 1414 هـ / 1994م، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة - السعودية، ج 5، ص 316، حديث رقم 10484.

الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم". رواه الترمذي[99].

ونلاحظ أن هذه الآية كثيرا ما يتترس بها المثبطون المتخاذلون المخذلون وهذا تصحيح من الصحابي لذلك التأويل الخاطئ.

ج- فضل الإعداد له وأن على الأمة أن تكون في حالة استعداد

1 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من احتبس فرسا في سبيل الله، إيمانا بالله، وتصديقا لوعد الله، كان شبعه وريّه وبوله وروثه حسنات في ميزانه يوم القيامة). رواه النسائي[100]. ومثل الفرس كل عدة في سبيل الله.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ح- فضل الشهداء وامتيازاتهم في الدنيا والآخرة

1 - عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (والذي نفسي بيده، لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة، وجرحه يثعب دما، اللون لون الدم، والريح ريح المسك). رواه ابن حبيب[101]، وأبو عوانة[102]. الكلم: الجرح، ويكلم: يجرح.

---

[99]) محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، ج 5، ص 212، حديث رقم 1668.

[100]) أحمد بن شعيب النسائي، **السنن الكبرى**، بتحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، 1411 هـ / 1991م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. ج 3، ص 40، حديث رقم 4423.

[101]) الربيع بن حبيب، **الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب**، بتحقيق: محمد إدريس، وعاشور بن يوسف، الطبعة الأولى، 1415هـ، دار الحكمة - بيروت ومكتبة الاستقامة - سلطنة عمان، ج 1، ص 184، حديث رقم 453.

[102]) يعقوب بن إسحاق أبوعوانة، **مسند أبي عوانة**، بتحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، الطبعة الأولى، 1998م، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ج 4، ص 454، حديث رقم 7312.

2 - عن راشد بن سعد رضي الله عنه عن رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلا قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال: (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة) أخرجه النسائي[103]، والضحاك[104]. وهذه من امتيازات الشهيد في الموقعة، وكم له من امتيازات كهذه ستأتي بعد.

3 - عن أبي هريرة رَضيَ اللهُ عَنهُ أن رَسُول اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم - قال: (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة) رواه الترمذي[105]. وقَال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وهذا امتياز آخر للشهيد.

4 - عن المقدامِ بنِ معدِ يكربَ قال: قال رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم -: (للشَّهيد عندَ اللهِ ستُ خصالٍ، يغفرُ لهُ في أوَّل دُفعةٍ من دمه، ويُرى مقعدهُ من الجنَّةِ، ويجارُ من عذابِ القبرِ، ويأمنُ من الفزعِ الأكبرِ، ويحلى حلة الإيمان، ويزوَّجُ من الحورِ العين، ويشفَّعُ في سبعينَ إنسانا من أقربائهِ). رواه ابن ماجه[106]، وعند الضحاك[107] نحوه.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

خ- الجهاد وفاء بالعهد مع الله

1 - عن أنس رضي الله عنه قال: "غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: ‘يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع’. فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: ‘اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء’، يعني أصحابه، ‘وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء’، يعني

---

[103]) أحمد بن شعيب النسائي، **المجتبى من السنن**، ج 4، ص 99، حديث رقم 2053.
[104]) أحمد بن عمرو الضحاك، **الجهاد**، بتحقيق: مساعد بن سليمان الراشد الجميد، الطبعة الأولى، 1409هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - السعودية، ج 2، ص 570-571، حديث رقم 230.
[105]) محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، ج 4، ص 190، حديث رقم 1668.
[106]) محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، **سنن ابن ماجه**، ج 2، ص 935، حديث رقم 2799.
[107]) أحمد بن عمرو الضحاك، **الجهاد**، ج 2، ص 532-533، حديث رقم 204.

المشركين. ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: 'يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد'، قال سعد: 'فما استطعت يا رسول الله ما صنع'، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين، حصول بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى، أو نظن: أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهـــــه: [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...[108]] إلى آخر الآية". رواه البخاري[109]. قوله من دون أُحد: أي من جهة جبل أحد [110]. وفي الآية، وقوله: "لِيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع"؛ إشارة واضحة إلى أن الجهاد وفاء بالعهد مع الله.

د- فضل الأعمال المعينة على الجهاد، ولا عمل بعد الفرائض يفضله

1 - عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا). رواه مسلم[111]، وأبو داود[112]، والخراساني[113]. ومعنى فقد غزا أي: له أجر الغازي.

2 - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد؟ قال: (لا تستطيعونه) قال: فردوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول: (لا تستطيعونه). فقال في الثالثة: (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم الذي لا يفتر من صلاة ولا

---

[108]) الآية كاملة إلى ختامها كما يلي: [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً] (الأحزاب: 23).

[109]) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، ج 3، ص 1032، حديث رقم 2651.

[110]) انظر شرح الحديث عند؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج 6، ص 23.

[111]) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج 3، ص 1506، حديث رقم 1895.

[112]) سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود**، ج 3، ص 12، حديث رقم 25092.

[113]) سعيد بن منصور الخراساني، **كتاب السنن**، بتحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، 1982م، الدار السلفية، الهند، ج 2، ص 160، حديث رقم 2325.

صيام، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله). رواه الترمذي[114]، وقال حديث حسن صحيح.

3 - عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: سمعت رَسُول اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم - يقول: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله) رواه الترمذي[115].

ذ- أجر الشهيد يقتله أهل الكتاب

1 - عن عبد الخبير بن ثابت بن قيس، عن أبيه، عن جده قال: جاءت امرأة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقال لها أمّ خَلاَّد وهي متنقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -: جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة ؟ فقالت: إن أُرْزأ ابني فلن أُرْزأ حَيائي، فقال لها النبي - صلى الله عليه وسلم -: (ابنك له أجر شهيدين) قالت: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: (لأنه قتله أهل الكتاب). أخرجه أبو داود[116]، في باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم.
أرزأ ابني: أفقده وأُصاب فيه.

ر- ساحات جديدة للجهاد لم يعهدها الصحابة ووجوب العناية بها

1 - عَنْ أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قَال: (غزْوَة في البَحْر مِثْل عشر غَزَوَاتٍ في البَرِّ. والذي يَسْدَرُ في البحر، كَالْمُتَشَحِّطِ في

---

[114]) محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، ج 2، ص 164، حديث رقم 1619.
[115]) **المصدر السابق**، ج 4 ، ص 175، حديث رقم 1639.
[116]) سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود**، ج 3، ص 5، حديث رقم 2488.

دمِه، في سَبيل الله سبحانه). رواه ابن ماجة[117]. ويسدر: يميل ويهتز وترتج به السفينة.

وفي الحديث إشارة لغزو البحر ولفت نظر الأمة إلى وجوب العناية بحفظ سواحلها وتقوية أسطولها، ويقاس عليه الجو فيضاعف الله للغزاة في الجو في سبيله أضعافا مضاعفة.

ز- هدف المجاهد هو ابتغاء ما عند الله لا القيام لما في أيدي الأعداء

1 - عن أنس رضي الله عنه قال: "انطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)، قال عمير بن الحمام: 'بخ بخ'، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما يحملك على قولك بخ بخ) قال: 'لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها'، قال: (فإنك من أهلها)، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: 'لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة'، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قتل". رواه مسلم[118].

2 - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(عجب ربنا من رجلٍ غزا في سبيل الله فانهزم يعني أصحابه، فعلم ما عليه، فرجع حتَّى أهريق دمه، فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبةً فيما عندي، وشفقةً ممَّا عندي حتى أهريق دمه، [أشهدكم أني قد غفرت له]) أخرجه أبو داود[119]، والحاكم[120]. شفقة: خوفا. و أهريق دمه: سال دمه.

---

[117]) محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، **سنن ابن ماجه**، ج 2، ص 928، حديث رقم 2777.
[118]) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج 3، ص 1510، حديث رقم 1901.
[119]) سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود**، ج 3، ص 19، حديث رقم 2536.
[120]) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، ج 2، ص 123، حديث رقم 2531.

وما جاء في كتب الحديث كلها في باب الجهاد والسير فوق الحصر في هذا البحث. وإنما ذكرنا هنا ما نبهنا به إلى موقعه في المصدر الثاني للتشريع الإسلامي. فإذا هو يحتل تلك المنزلة العالية التي أنزلته السنة النبوية. فهل في السنة ما يسمح بموقع للإرهاب فيها على غرار تلك المنزلة التي احتلها الجهاد؟ أم أن الأمر على خلاف ذلك؟ ذلك ما سنحاول البحث فيه في الجزء التالي من هذا البحث، والذي خصصناه لحديث السنة عن الإرهاب.

6-1 الإرهاب في السنة: نماذج من حديث السنة عن الإرهاب[121]

إذا رجعنا إلى أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - في كتب السنة المشهورة، (كالصحيحين، والسنن الأربعة، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن الدارمي)، نجد أن مادة (ر - هـ - ب) جاءت في أكثر من عشرين موضعا بصيغة الفعل الماضي (المجرد والمزيد)، والمضارع كذلك، وبصيغة اسمي الفاعل والمفعول، وبصيغة المصدر... الخ، وكلها تشير إلى الخوف والفزع من الله - تعالى -، وإلى التعبد. وبعضها يشير إلى معان أخرى، كما تقدم آنفا في معنى هذه الكلمة في القرآن الكريم.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

فمن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث الدعاء، عن البراء بن عازب رضي الله عنه: "اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك"[122]. الرهبة الخوف والفزع. أي: خوفا من عقابك وطمعا في ثوابك. وقد وردت جملة من الأحاديث النبوية الشريفة في هذا المعنى.

---

[121]) اعتمد الباحث في هذا العنصر على ما كتبه عثمان بن جمعة ضميرية، **الإرهاب نظرات لغوية، وشرعية، وقانونية مقارنة (في المصطلح والمفهوم ودوافع التهمة)**، ص 36-38.

[122]) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، ج 1، ص 97، حديث رقم 244.
وانظر مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، 4 ج، ص 2082، حديث رقم 2710.

ومنه أيضا ما يعني التعبد؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن أبي سعيد الخدري أن رجلا جاءه فقال أوصني فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض. رواه أحمد[123].

وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون؛ الذي كان ممن ترك النساء، بعث إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية أرغبت عن سنتي) قال لا يا رسول الله قال: (إن من سنتي أن أصلي وأنام وأصوم وأطعم وأنكح وأطلق فمن رغب عن سنتي فليس مني يا عثمان إن لأهلك عليك حقا ولنفسك عليك حقا). رواه الدارمي[124].

وفيما هو مشتهر على الألسن أنه: "لا رهبانية في الإسلام"، هي رهبنة النصارى - كما تقدم - بالتخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها؛ حتى إن منهم من كان يخصي نفسه، ويضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك من أنواع التعذيب، فنفاها النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام، ونهى المسلمين عنها، ففي الإسلام لا عمل أفضل من الجهاد[125]، ولهذا جاء عن معاذ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ذروة سنام الإسلام الجهاد). رواه أحمد، والترمذي[126].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

---

[123]) أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج 2، ص 82، حديث رقم 11791.

[124]) عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، **سنن الدارمي**، بتحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، الطبعة الأولى، 1407هـ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان. ج 2، ص 179، حديث رقم 2169.

[125]) المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 1399هـ / 1979م، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان. ج 2، ص 280-281.

[126]) أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج 5، ص 235، حديث رقم 22104. و محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، ج 5، ص 11، حديث رقم 2616.

ومن معاني الرهبة التي جاءت في بعض الأحاديث: الخوف الذي يمنع المرء من عمل أو قول، كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: (ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه، أو شهده، أو سمعه) رواه أحمد[127].

وجاءت الرهبة أيضا في الأحاديث بمعنى: الحالة التي تُرهِب، وبمعنى الرهابة التي هي عضو كاللسان معلق في أسفل الصدر كما تقدم في المبحث اللغوي للكلمة.

وليس في هذه الأحاديث أي إشارة إلى شيء من المعاني التي يلبسها الناس اليوم لهذه الكلمة، أو يسقطونها عليها، عندما يستعملونها بصيغة (الإرهاب)، المقصود به قتل الأبرياء والعنف العدواني، والتي لا نجد لها - بالمعنى الاصطلاحي الحديث - أي ذكر في القرآن الكريم، ولا في الحديث الصحيح ...، كما أن كتب اللغة تكاد تخلو من هذه الصيغة التي لم تشتهر وتدرج على الألسن والأقلام إلا في الآونة الأخيرة، وفي أعقاب وقائع وحوادث معينة"[128]. (انتهى بتصرف).

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ولذلك يؤكد الباحث على الفرق الكبير بين معاني مادة هذه الكلمة الواردة في المعاجم والقرآن والسنة وبين المعنى السياسي والاجتماعي المأخوذ عن اللغات الأجنبية والذي يمتد إلى عصر الثورة الفرنسية وما حدث فيها، كما سبق وبيناه في مبحث التعريف اللغوي والاصطلاحي للإرهاب.

وبناء على ما سبق بيانه يخلص الباحث إلى نتيجة مفادها أن ما ورد في القرآن والسنة لا يمكن بحال أن يوفر قاعدة لنظرية الإرهاب في الإسلام. غير أن السؤال الذي يرد علينا في هذا السياق، هو إذا كنا قد تأكدنا من خلال التتبع والإستقراء لنصوص الوحي بمصدريه القرآن والسنة، من خلوهما من نظرية للإرهاب، فهل

---

[127]) أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج 3: ص 50، حديث رقم 11492.
[128]) عثمان بن جمعة ضميرية، **الإرهاب نظرات لغوية، وشرعية، وقانونية مقارنة (في المصطلح والمفهوم ودوافع التهمة)**، ص 36-38.

أن ذلك ينطبق على القراءات والتأويلات والأفهام المختلفة عند الفقهاء لتلك النصوص؟ وبعبارة أخرى هل يحمل الفقه الإسلامي - باعتبارة جهدا بشريا غير معصوم من الخطا في الفهم - بذرة تلك النظرية تصريحا أو حتى تلميحا؟

ذلك ما سنحاول التطرق إليه في الفصل التالي من هذا البحث، والذي يحمل عنوان الجهاد والإرهاب في المقاربات التقليدية والمعاصرة.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

الفصل الثاني

الجهاد والإرهاب في المقاربات التقليدية والمعاصرة

WESTERN CAPE

1-2 الجهاد في الفقه: نماذج من حديث الفقهاء والعلماء

بعد أن تناول الباحث في الفصل السابق نماذج من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة حول الجهاد والإرهاب بشيء من الشرح والتحليل والتعليق مع رصد بعض الاستخلاصات الأولية، سيورد في هذا الفصل نقولا من أقوال بعض العلماء والفقهاء، المتقدمين منهم والمتأخرين. وذلك لفهم طبيعة الجهاد وحكمه، حالة الدفاع وحالة الطلب ونشر الدعوة، أو بعبارة أخرى حالة الدفاع وحالة "الانطلاق" بتعبير سيد نفسه. في ذات الوقت يحاول الباحث من خلال التتبع والاستقراء لمقارباتهم الوقوف على مدى تشبعها (مقارباتهم) ببذور الدعوة للتحرير أو للإرهاب. ومن ثم مقارنة إجماعاتهم واختلافاتهم تلكم بمقاربة سيد ذاتها. ذلك حتى يَبين موقف سيد قطب بالمقارنة مع جملة المواقف الفقهية الأخرى.

وطلبا للتبويب المنهجي مع السعي إلى الاختصار سيورد الباحث تمثيلا لكل مذهب من المذاهب الأربعة رأيا مستخرجا من الكتب المعتمدة لديه، مراعيا الترتيب الزمني لحياة أصحاب المذاهب. ثم المذهب الظاهري ممثلا بابن حزم. يلي ذلك رأي ابن تيمية من المتقدمين، ورأي حسن البنا والدكتور البوطي من المتأخرين. ثم ألقي نظرة على بعض أهم الكتب التي ألفت قديما، يليها نظرة نقدية لبعض أهم الكتب الصادرة حديثا ذات العلاقة بموضوع البحث وعناصره الرئيسة (الجهاد وسيد قطب والإرهاب).

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

أ- المذهب الحنفي

قال عبد الرحمان زادة (ت: 1667م) في كتاب "مجمع الأنهر"، مبينا أحكام الجهاد في مذهب الأحناف:

الجهاد في اللّغة بذل الوسع من القول والفعل، وفي الشريعة **قتل الكفار ونحوه**؛ من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم، والمراد الاجتهاد في **تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين إذا نقضوا والمرتدين الذين هم أخبث الكفار، للإنكار بعد الإقرار والباغين** ... بدءًا منا فرض كفاية، يعني يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة، وإن لم يقاتلونا، فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين، وعلى الرعية إعانته وإذا قام به بعض سقط عن الباقين، فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب، فالأقـرب، فإن لم تقع الكفاية إلا بجمـيع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة، أما الفريضة فلقوله تعالى: [فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ][129]، ولقوله - عليه الصلاة والسلام -: (الجهاد ماض إلى يوم القيامة)؛ أراد به فرضا باقيا ... وإنما فُرِضَ **لإعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه ودفع الشر عن العباد**. وإن تركه الكل أثموا ... فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام أو ناحية من نواحيها ففرض عين، فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى، وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه، والغريم بغير إذن دائنه. وفي كتاب البحر: ‹امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها ما لم تدخل حصونهم وحرزهم›[130].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ب- المذهب المالكي

وقال الإمام الصاوي (1175هـ - 1241هـ) في كتاب "بلغة السالك لأقرب المسالك". وذلك في معرض حديثه عن الجهاد في مذهب الإمام مالك:

الجهاد في سبيل الله **لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية** إذا قام به البعض سقط عن الباقي، **ويتعين (أي يصير فرض عين كالصلاة والصوم) بتعيين الإمام وبهجوم العدو** على محلة قوم، فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا، ويتعين

---

[129]) المقصود هنا قوله تعالى [فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ].**القرآن الكريم**، سورة التوبة: 5.

[130]) عبد الله بن الشيخ محمد بن سليمان [داماد]، **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ص 632-633.

على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولي والزوج والسيد ورب الدَّين إن كان مدينا، ويتعين أيضا بالنذر، وللوالدين المنع في فرض الكفاية فقط. وفك الأسير من الحربيين - إن لم يكن له مال يفك منه - فرض كفاية وإن أتى على جميع أموال المسلمين[131].

ت- المذهب الشافعي[132]

وأورد صاحب كتاب "مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج"، نقلا لكلام الإمام النووي الشافعي المذهب (631هـ - 676هـ) حيث قال:

كان الجهاد **في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرض كفاية وقيل عين،** وأما بعده **فللكفار حالان**: أحدهما- **يكونون ببلادهم ففرض كفاية،** إذا فعله من فيهم كفاية من سقط الحرج عن الباقين. والثاني- **يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن،** وإن أمكن تأهب لقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد وعبد بلا إذن[133].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ث- المذهب الحنبلي

وفي جاء في كتاب المغني، لابن قدامة الحنبلي (541هـ - 620هـ) قوله:

مسألة- والجهاد **فرض على الكفاية** إذا قام به قوم سقط عن الباقين، **ويتعين في ثلاثة مواضع**.

---

[131]) أحمد الخلوتي (الشهير بالصاوي)، **بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك**، دار المعارف، مصر، ص ؟.

[132]) انظر تفاصيل ذلك عند: حسن البنا، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، رسالة الجهاد، الطبعة الأولى 1423هـ / 2002م، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية - مصر، ص 274.

[133]) شمس الدين محمد الخطيب، **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، بدراسة وتحقيق وتعليق علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود, 1421هـ / 2000م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ج 6، ص 3-22.

أ- **إذ التقى الزحفان** وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام.

ب- **إذا نزل الكفار ببلدة تعين على أهلها** قتالهم ودفعهم.

ج- **إذا استنفر الإمام قوما لزمهم** النفير معه.

وأقل ما يفعل مرة كل عام.

قال أبو عبد الله - يعني الإمام أحمد بن حنبل -: ‘لا أعلم شيئا من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد، وغزوة البحر أفضل من غزوة البر"[134].

ج- المذهب الظاهري

وجاء في كتاب "المحلى" لابن حزم الظاهري:

مسألة: والجهاد **فرض على المسلمين، فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين، وإلا فلا**. قال الله - تعالى-: [انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ] [135]. ...عن محمد بن سيرين قال: كان أبو أيوب الأنصاري يقول: قال الله - تعالى -:[انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً] فلا أحد من الناس إلا خفيف أو ثقيل ... ولا يجوز إلا بإذن الوالدين، إلا أن **ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثا لهم**، أذِنَ الأبوان أم لم يأذنا، إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده، فلا يحل له ترك من يضيع منهما"[136].

ح- رأي ابن تيمية: (من العلماء المجتهدين المتقدمين)

---

[134]) موفق الدين عبد الله بن قدامة، **المغني**، الطبعة الرابعة, 1419هـ / 1999م, دار عالم الكتب, الرياض - السعودية, ج 13, ص 6 وما يليها.

[135]) وتمام الآية: [انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] (سورة التوبة: 41).

[136]) علي بن أحمد بن حزم، **المحلى بالآثار** ، بتحقيق عبد الغفار سليمان البنداري, 1408هـ / 1988م, دار الكتب العلمية, بيروت - لبنان, ج 5، ص 340-341.

وقال ابن تيمية في كتابه "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية": "**أهم أمر الدين الصلاة والجهاد** ولهذا كانت أكثر الأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة والجهاد وكان إذا عاد مريضا يقول: (اللهم اشف عبدك يشهد لك صلاة وينكأ لك عدوا)[137]. وقال أيضا: "الجهاد إما أن يكون **بالقلب** كالعزم عليه، أو **بالدعوة** إلى الإسلام وشرائعه، أو **بإقامة الحجة** على المبطل، أو **ببيان الحق وإزالة الشبهة**، أو **بالرأي والتدبير فيما فيه نفع المسلمين**، أو **بالقتال بنفسه**. **فيجب الجهاد بغاية ما يمكنه**. قال البُهوتي: 'ومنه هجو الكفار'"[138].

خ- رأي حسن البنا: (من العلماء المتأخرين)

يلاحظ الباحث هنا أن رأي الأستاذ حسن البنا مهم جدا من ناحية السياق، فقد نشر في فترة حياة سيد قطب (الربع الثاني من القرن العشرين). فهو لذلك مفيد في تحسس رأي معاصر لسيد قطب. فقد عايش كلاهما ذات الأحداث الواقعة على امتداد الفترة الزمنية الممتدة بين 1906م عام ميلادهما وحتى سنة 1949م عام وفاة البنا رحمه الله.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

يقول حسن البنا معلقا على مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي أوردها في رسالة الجهاد[139]:

> فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين، على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية، لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها.

---

[137]) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية**، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ج 1، ص 21-22.
[138]) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ج 16، ص 124.
[139]) وقد اقتبس الباحث منها بعض ما سبق إيراده آنفا.

والمسلمون الآن كما تعلمون مستذلون لغيرهم محكومون بالكفار قد ديست أرضهم وانتهكت حرماتهم، وتحكم في شؤونهم خصومُهم وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم، فضلاً عن عجزهم عن نشر دعوتهم، فوجب وجوباً عينياً لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوي على نية الجهاد وإعداد العدة له، حتى تحين الفرصة ويقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ولعل من تمام هذا البحث أن أذكر لك أن المسلمين في أي عصر من عصورهم، قبل هذا العصر المظلم الذي ماتت فيه نخوتهم، لم يتركوا الجهاد ولم يفرطوا فيه حتى علماؤهم والمتصوفة منهم والمحترفون وغيرهم، فكانوا جميعاً على أهبة الاستعداد، كان عبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد متطوعاً في أكثر أوقاته بالجهاد، وكان عبد الواحد بن زيد الصوفي الزاهد كذلك، وكان شقيق البلخي شيخ الصوفية في وقته يحمل نفسه وتلامذته على الجهاد.

وكان البدر العيني شارح البخاري الفقيه المحدث يغزو سنة ويدرس العلم سنة ويحج سنة، وكان القاضي أسد بن الفرات المالكي أميراً للبحر في وقته، وكان الإمام الشافعي يرمي عشرة ولا يخطئ. كذلك كان السلف رضوان الله عليهم، فأين نحن من هذا التاريخ؟[140].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

د- رأي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: (مستخرجا من "فقه السيرة")

يبادر الباحث بالقول أن هذا الرأي المنقول هنا للدكتور البوطي إنما اعتمد فيه على ما أورده في كتابه "فقه السيرة النبوية". وقد نشر في فترة قريبة من وفاة سيد قطب (الستينات من القرن العشرين). فهو لذلك مفيد في تحسس رأي كاتب وفقيه معاصرٍ لسيد قطب وعايش الأحداث نفسها. ومما تجدر الإشارة إليه أن كتاب "فقه السيرة النبوية" متقدم من حيث التأليف عن كتابه اللاحق "الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه وكيف نمارسه؟" والذي نشر في عام 1997م. واختلاف ظروف الكتابة يفيدنا في

[140]) حسن البنا، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، رسالة الجهاد، الطبعة الأولى 1423هـ / 2002م، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية - مصر، ص 274.

تحسس تأثيرها على اختلاف طبيعة الخطاب ونبرته في الكتابين. والذي يظهر للباحث من خلال المقارنة لما جاء فيهما أن البوطي في كتابه الذي أخرجه تحت عنوان "الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟" قد عدل عن رأيه فيما يتعلق بطبيعة الجهاد الدفاعية. وركز أكثر على نقد الجماعات التي تبنت الجهاد في خروجها على الحكام في بلاد المسلمين.

يقول الدكتور البوطي معلقا على حج أبي بكر - رضي الله عنه - بالناس سنة تسع، وتحت العنصر الثالث من العبر والعظات المتعلقة بذلك الحدث.

تأكيد آخر لحقيقة معنى الجهاد: وإنك لتلحظ في هذا تأكيداً جديداً على أن الجهاد في الشريعة الإسلامية **ليس حرباً دفاعية كما يصوّر المستشرقون!** ..

تأمل في قوله عز وجل وهو ينذر فلول المشركين وبقاياهم حول مكة، من أهل نجد وغيره. [بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۝ وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ](التوبة: 1-5).

إن هذه الآيات الواضحة القاطعة لم تبق في الذهن أي مجال لتصور ما يسمى بالحرب الدفاعية، أساساً لمعنى الجهاد في الإسلام.

وأنت تعلم أن سورة براءة من أواخر ما نزل من القرآن، فأحكامها - وأكثر أحكامها متعلق بالجهاد - مستقرة باقية.

ولست أرى ما يدعو إلى القول بأن هذه الآيات نسخت ما قبلها من الآيات التي تقرر الجهاد الدفاعي، كقوله تعالى: [أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ] (الحج: 39).

ذلك لأن **الجهاد في مشروعيته غير ناظر إلى هجوم أو دفاع**، إنما هو يهدف إلى **إعلاء كلمة الله تعالى، وإشادة صرح المجتمع الإسلامي السليم وإقامة دولة الله في الأرض، فأياً كانت الوسيلة المتعينة إلى ذلك وجب اتباعها**.

قد تكون الوسيلة، لظرف ما المسالمة وبث النصيحة والتعليم والإرشاد، وعندئذ لا يفسر الجهاد إلا بذلك.

وقد تكون الوسيلة، لظرف آخر، الحرب الدفاعية مع النصح والإرشاد والتوجيه، فهذا هو الجهاد المشروع حينئذ.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

وقد تكون الوسيلة المتعينة لظروف أخرى، الحرب الهجومية، فهي عندئذ ذروة الجهاد وأشرفه.

وإنما يقدر الظرف ويعين الوسيلة ويحددها الحاكم المسلم المتبصر الواعي المخلص لله ورسوله ولعامة المسلمين.

وهذا يعنى أن **جميع هذه الوسائل الثلاث مشروعة في تحقيق الجهاد، على أن لا يطبق منها إلا ما تقتضيه المصلحة الآنية التي يقدرها الحاكم المخلص، وتبادل التطبيق ليس من النسخ في شيء**.

ثم إن حج أبى بكر هذا كان تعليماً للمسلمين أصول المناسك وكيفية أدائها، ثم كان تمهيداً لحجة الإسلام وحجة الوداع التي كان قائدها محمد - عليه الصلاة والسلام - [141].

تلكم كانت مقاربات بعض كبار علماء الشريعة والفقه والفكر الإسلامي. وعند غيرهم - من أمثالهم - العديد من المقاربات الأخرى المفيدة وفيها إضافات نوعية إذ عمد كثير منهم إلى إفرادها بالتأليف فأتوا على جميع جوانب الموضوع مدارسة وتمحيصا.

ويهم الباحث هنا أن يسجل الملاحظات التالية على ما أورده من نقول: فقد جاء أغلبها صدى لظروف وحالة المسلمين من حيث التركيز على جهاد الطلب أو الدفع. ثم إن أغلبها تحدث عن النوعين من الجهاد وجعل ذلك يدور مع الظروف وجودا وعدما. كما يلاحظ أن ما كان منها قريبا من عصر سيد قطب كان أقرب لنظرته للجهاد التي سنتناولها بالعرض والتحليل والنقد والمقارنة لاحقا. ولا يفوت الباحث التوكيد على ملاحظة ورود بعض العبارات غير الدقيقة في تعريف الجهاد، وخاصة الألفاظ المطلقة كقول بعضهم: "قتل الكفار"[142] - إما قصدا وإما سهوا -، مما أوجب فهما خاطئا بأن قتالهم لعلة الكفر فيهم وليس لعدوانهم.

وفي الفقرة التالية إشارة إلى بعض المراجع التي يمكن العودة إليها لمن أراد التوسع.

ذ- المصنفات المفردة في الجهاد

[141]) محمد سعيد رمضان البوطي، **فقه السيرة النبوية**، الطبعة الرابعة عشر، 1424هـ / 2004م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر، ص 310-311.
[142]) وردت هذه العبارة في عرض المذهب الحنفي من هذا البحث, ص 58-59.

لقد أفرد كثير من العلماء مصنفات مستقلة في بيان أحكام الجهاد، وفضائله، وغير ذلك مما يتعلق به. وقد وقف الباحث على العديد منها، وهذه إشارة إلى أحد الكتب المصنفة قديما، وقد أورد مؤلفه قائمة تضم أهم سبعة وعشرين كتابا ممن سبقه بالكتابة في موضوع الجهاد فليعد إليه من أراد التوسع والإحاطة[143].

على أن النقاط الرئيسة التي طغت على مائدة السجال غالبا ما كانت تشمل ما يلي: حجية الجهاد، وفرضيته، وعلى من يجب، وأهدافه، وأنواعه؛ مثل الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر، وكذلك الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، ومراتبه؛ مثل الجهاد باليد والجهاد باللسان وجهاد القلب، وضوابطه وآدابه؛ كقواعد السلوك أثناء الجهاد والمعارك، وفضائله وأجره، وأحكام توزيع الغنائم عند الغزو والفيء.

ومن الأعمال الكثيرة المشهورة المؤلفة على ذلك النحو، والتي تمثل باكورات الأعمال في الموضوع، نذكر - على سبيل التمثيل لا الحصر-:

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

* كتاب "الجهاد"؛ لعبد الله بن المبارك (ت: 181هـ / 797م).
* كتاب "الجهاد"؛ لشيخ المفسرين الإمام القرطبي (ت: 318هـ / 930م).
* "أحكام الجهاد وفضائله" للفقيه العز بن عبد السلام (ت: 660هـ / 1261م).
* "الاجتهاد في طلب الجهاد" للمفسر المحدث ابن كثير (ت: 774هـ / 1372م)[144].

على أن أحد الاتجاهات الرئيسة في المساجلات الدائرة حول الجهاد - سواء قديما أو حديثا- عنيت في كثير من الأحيان بطبيعته؛ أدفاعية هي أم هجومية؟ أو بكلمات السلف؛ جهاد الدفع وجهاد الطلب، أوبألفاظ بعض المحدثين؛ الدفاع أو الاندفاع والانطلاق. ويسجل الباحث أنه غالبا ما أتى تحديد تلك الطبيعة متناغما وإلى حد

[143]) أبو بكر الشيباني، **كتاب الجهاد**، تحقيق مساعد الحميد، الطبعة الأولى، 1989م، دار القلم، دمشق - سوريا، ج 1، ص 110-113.
[144]) انظر: أبو بكر الشيباني، **كتاب الجهاد**، ج 1، ص 110-113.

كبير مع ظروف وأوضاع الأمة الإسلامية قوة وضعفا في ذلك الوقت. فقد لعبت السياقات المختلفة دورا هاما وحاسما في نشوء وتحديد هذا الاتجاه أو ذاك. فعندما كانت الأمة الإسلامية في انديا مستمر، باسطة نفوذها وسيطرتها على مناطق شاسعة، وجاءت الفتوحات تترا، تركز اهتمام العلماء والفقهاء على جهاد الطلب، وفقه فتح البلاد الأخرى. فكان ذلك استجابة طبيعية لفقه الواقع وأوضاع الأمة. فلما بدأت عوامل الانحطاط والانحدار تنخر في جسم الأمة، وواجهت الأمة أعداء أقوى من إمكانياتها؛ كالمغول وغزاة الحروب الصليبية - الذين شنوا الحروب في عقر ديار المسلمين -، فقد جاء خطاب العلماء والفقهاء صدى لهذه الظروف المستجدة، وليعكس وليواجه واقع الضعف والتراجع. فأصبح الحديث في الغالب منصبا على جهاد الدفع ورد العدوان والذود عن حرمات المسلمين وحماية بيضتهم. ومن ثم فقد كانت المقاربات ذات طبيعة دفاعية في أكثر الأحيان.

وقد استمر هذا النَّفَس الدفاعي، ضمن مساجلات ومناقشات وضع الحلول للتصدي للمشاريع الاستعمارية التخريبية في العالم الإسلامي. إذ لم يكن منطقيا ولا مستساغا - والحال هذه - أن يقفزوا على الواقع المعيش ويتطرقوا لمقارباتٍ للجهاد تتمحور حول طبيعته الهجومية والانطلاق نحو الآخر، بينما ديار المسلمين ترزح تحت نير الاستعمار، يحتل أراضيهم، وهو حاكم ذو نفوذ وشوكة وسلطان عليهم.

بل وإلى يومنا هذا، وحتى بعد استقلال البلاد الإسلامية من الاستعمار المباشر، فلا يزال المهيمن على خطاب العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي المقاربة التي ترى في الجهاد طبيعة دفاعية لا غير. وقد امتدت هذه الطبيعة لتهيمن على الخطاب المقاوم لدى باقي الشعوب غير الإسلامية، التي كانت تتقاسم همّ النضال من أجل كسر قيود الاستعمار وأغلاله. وذلك على امتداد القرنين؛ التاسع عشر والقرن العشرين.

بيد أن مقاربة سيد قطب (1906م - 1966م)، وثُلة قليلة من المفكرين، جاءت صوتا مميزا في عكس ذلك التيار الغالب والاتجاه العام، الذي اتسم في أغلب الأحيان بلهجة اعتذارية باطنية حينا وظاهرة أحيانا.

ومن المؤلفات التي كتبت حديثا بعد وفاة سيد قطب وتستحق وقفة نقدية لأهميتها، كتاب ديفيد كوك "***Understanding Jihad***"، وكتاب البوطي "الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه وكيف نمارسه؟". وقد خصصنا الفقرة التالية لعرضهما والتعليق عليهما.

ر- عرض لبعض أهم الأعمال الحديثة

فيما يلي سنعرض بإيجاز نظرة نقدية لبعض آخر الأعمال الحديثة المختارة، ذات العلاقة بموضوع البحث وعناصره الرئيسة (الجهاد وسيد قطب والإرهاب). باعتبارها الأعمال والأفكار الأكثر تميزا مقارنة بما قرأ الباحث وتوفر بين يديه في مرحلة القراءة إعدادا للبحث. وهي تعود في تأليفها إلى جمع مختلف المشارب واللغات، فقد كتبت من قبل مؤلفين مسلمين وغير مسلمين.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ولنبدأ مع عرض موجز لكتاب صدر باللغة الإنجليزية عام 2005م، ومن مؤلف غير مسلم. ونشر تحت عنوان: "***Understandig Jihad***"، أي (فهم الجهاد)، للمؤرخ الأميركي ديفيد كوك، المهتم بدراسات الشرق الأوسط. والذي تبنى مقاربة تأريخية من حيث المنهجية؛ فعالج الموضوع ضمن سياق التسلسل التاريخي. إذ تتبع الموضوع مبتدئا بأول آية نزلت من القرآن الكريم في شأن الجهاد، وحتى آخر بيان صادر عن الحركات الجهادية الدولية، وذلك بقصد فهم مكانة الجهاد في الإسلام. فقد حدد كوك مراحل وأطوار التاريخ الإسلامي، وكذلك أبرز المفكرين المؤثرين الذين أسهموا في اتجاه تشكيل مفهوم الجهاد.

ومن حيث المحتوى، فإن المؤلف قد جمع كمية كبيرة من المعلومات حول هذا الموضوع الهام، مسلطا عليها النقد والتحليل ومن ثم عرض استخلاصاته. مما يجعل الجهاد موضوعا في متناول غير الناطقين باللغة العربية ولدى غير المسلمين من القراء.

وأهم استخلاصاته وأخطرها على الإطلاق في نظر الباحث هو اعتباره أن ما تتبناه الجماعات الجهادية الدولية اليوم في موافقة تامة للتعاليم الإسلامية والتجربة التاريخية للمسلمين منذ صدر الإسلام، فيما عدا أنه ليس لديهم إذن من الخليفة (القائد الأعلى للمسلمين)[145]. وفيما يتعلق بمقاربة سيد قطب فإن كوك لم يبحثها في وقفة طويلة من التحليل والنقد والمقارنة. فقد كان همه منصبا على إيراد أهم إضافة تميز بها كل عالم ومفكر، ونظرا للكم الهائل من العلماء والفقهاء الذين أتى عليهم في بحثه، فقد كان من الطبيعي ألا يستوفي حق سيد قطب في وقفة خاصة . وهذه الوقفة الخاصة هي ما يروم الباحث فعله بشيء من التتبع الدقيق والبحث في ثناياه. مستفيدا في ذات الوقت من الجهد المقدر الذي بذله كوك في تحديد أهم الشخصيات المؤثرة في نحت مفهوم الجهاد، كما سيفيد الباحث من معالجته التأريخية للموضوع ويتخذها قاعدة للبناء عليها في مناقشته لمقاربة سيد للجهاد.

أما ثاني الكتب ذات الأهمية فقد أتت من العالم العربي وتحديدا من قبل الشيخ والأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وقد كتبه صاحبه ردا على تكثيف النشاط الجهادي في التسعينات. والكتاب أخرج تحت عنوان: (الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه وكيف نمارسه؟) والذي نشر في عام 1997م. ويهدف البوطي من كتابه إلى تصحيح ما اعتبره سوء الفهم لدى الحركات الجهادية في حينها، وخاصة تلك التي واجهت الحكومات بالعنف في مصر والجزائر. وقد اتهمها بسوء الفهم لطبيعة

[145]) David Cook, 2005. ***Understanding Jihad***, p 164.

مفهوم الجهاد على المستوى النظري، وانتهاك حدوده في الممارسة. وشدد على أن طبيعة الإسلام الأولى هي نشر الدعوة بدلا عن الفتح المسلح والغزو العسكري.

وقد اتسمت منهجيته بالاعتماد على نصوص القرآن، والسنة النبوية، والأدلة التاريخية. ومن ثم فقد عكس كتابه مقاربة فقهية متميزة في التعامل مع موضوع الجهاد. كما فصل القول في المصطلحات الفقهية الأخرى التي ارتبط ذكرها بالجهاد وأنواع أخرى من القتال، مثل الحرابة والبغي والصيال والتترس والتأهب والإعداد وقتل المرتدين وضوابط التكفير. ووضع الحدود الفاصلة بين أنواع القتال تلك والجهاد المشروع.

ولا ريب أن مناقشته للآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالجهاد جديرة بالاستفادة منها في هذا البحث. وخاصة إذا ما أردنا مقارنة آراء سيد قطب وتلك النصوص الواردة في القرآن والسنة وأقوال الفقهاء.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

2-2 الإرهاب في الفقه: نماذج من حديث الفقهاء والعلماء

أوردت الشرق الأوسط، في عددها 8999، الصادر بتاريخ 19 يوليو 2003، عرضا لبحث مقدم من قبل الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث عن "الجهاد والإرهاب". جاء ذلك في إطار تداول المجلس المذكور موضوع الجهاد ونفي علاقته بالإرهاب. ويمكن إيجاز أهم ما جاء فيه كنموذج لحديث علماء وفقهاء العصر الحاضر حول الإرهاب فيما يلي من النقاط:

يرى القرضاوي أن "الإرهاب **أنواع ومراتب**. فالإرهاب بمعنى **الإخافة** و**الترويع** أنواع متعددة، ومراتب متفاوتة، منها ما هو متفق عليه ومنها ما هو مختلف فيه.

أ- الإرهاب المدني

وهو من الإرهاب الذي اتفقت على محاربته كل الشرائع والقوانين. والذي يهدد حياة الناس المدنية والاجتماعية بواسطة العصابات الإجرامية، كقطاع الطرق ومن على شاكلتهم، ينهبون الأموال، ويسفكون الدماء، ويتحكمون في رقاب الناس وممتلكاتهم بقوة السلاح. وهذه الجريمة التي تقوم بها (جماعات مسلحة) ذات سطوة، هي التي سماها الإسلام: جريمة (الحرابة) أو (قطع الطريق) أو (السرقة الكبرى). وقد ندد بها القرآن، وشرع في عقوبتها حدا من أشد الحدود، ليردع مرتكبيها عن جريمتهم ويزجر غيرهم أن يفعل فعلتهم[146].

ب- إرهاب الاستعمار

وهو من أبرز أنواع الإرهاب التي شهدها العالم، ولا يزال يشهدها إلى اليوم. وبطبيعة الحال نجد الدولة التي تغزى من الاستعمار تقاوم بما تقدر عليه من وسائل محدودة، فتبطش بها القوة المستعمِرة، المستعلية بقوتها المادية، وتضربها بيد من حديد، ولا تبالي بما تزهق من أرواح، أو بما تدمر من ممتلكات، أو بما تهتك من حرمات، لتجبر أهل البلاد الأصليين على الإذعان والتسليم.

ت- إرهاب الدولة

من الإرهاب المذموم شرعا ووضعا، ودينا وخلقا: إرهاب الدولة لمواطنيها، أو لطائفة منهم يخالفونها في العرق أو اللغة أو الدين أو المذهب أو السياسة أو غير

[146]) قال تعالى في سورة المائدة وهي من أواخر ما نزل من القرآن: [إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] (سورة المائدة: 33-34).

ذلك، تستخدم قوتها المادية ـ بما تملك من عساكر وجنود ـ لقمع مخالفيها وقهرهم بإخراس ألسنتهم، أو ربما العمل على إبادتهم وتصفيتهم كليا أو جزئيا. وهذا نموذج قديم حديث ـ عرفه التاريخ من قديم الزمان ـ ولا يزال قائما في واقع الناس إلى اليوم.

ث- الإرهاب الدولي

فقد رأينا في عصرنا لونا من الإرهاب، أشد خطرا من كل أنواع الإرهاب المذكورة، وهو ما يمكن أن نسميه (الإرهاب الدولي)، لأنه يتم على مستوى العالم كله، والدول جميعا. وهو الإرهاب الذي تمارسه أميركا اليوم على دول العالم في الشرق والغرب، فهي تريد أن تكره العالم كله على السير في ركابها، والدوران في فلك سياستها ... والعجيب أنها تمارس هذا النوع من الإرهاب المكشوف بدعوى الحرب على الإرهاب. وما الإرهاب؟ إنه ما تراه أميركا إرهابا.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ج- الإرهاب السياسي

وهو الإرهاب في مواجهة الأنظمة السياسية الحاكمة. وهو أشهر أنواع الإرهاب، ويتمثل في كل عمل من أعمال العنف موجه إلى السلطة أو أحد رجالها أو مؤسساتها، بقصد الضغط عليها لتحقيق مطلب معين[147].

وهذا النوع من أنواع الإرهاب يختلف حكمه باختلاف هدفه ووسيلته، فقد يكون الهدف مشروعا، والوسيلة مشروعة. وقد يكون الهدف مشروعا، والوسيلة غير مشروعة. وقد يكون الهدف غير مشروع، والوسيلة غير مشروعة.

[147]) كفك أسرى، أو الإفراج عن مسجونين، أو الجلاء عن أرض محتلة، أو دفع فدية، أو غير ذلك من المطالب.

** الإرهاب المشروع (دفع المحتل وإعداد القوة)*

ففي الحالة الأولى ـ **مشروعية الهدف والوسيلة معا** ـ لا يكون هذا من الإرهاب المحظور، بل لا ينبغي أن يعد هذا من الإرهاب مطلقا. فمما لا خلاف عليه: أن المقاومة الوطنية للغازي المحتل، أمر مشروع لأهل الدار، لا ينكره شرع سماوي، ولا قانون وضعي، ولا ميثاق دولي، ولا اعتبار أخلاقي. وأضاف أنه من الإرهاب المشروع إعداد المستطاع من القوة ومن رباط الخيل، ويدخل في ذلك القوة البشرية المدربة، والقوة المادية بإعداد السلاح المتطور، وإعداد المركبات والآليات اللازمة لاستخدام السلاح وتفعيلة، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بـ [رِّبَاطِ الْخَيْلِ]. وخيل عصرنا هي: الدبابات والمصفحات وسائر المركبات البرية والبحرية والجوية، فهذه هي التي (تركب) في عصرنا، ويقاتل عليها، والحكم يدور مع علته وجودا وعدما.

** الإرهاب غير المشروع*

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

أما الإرهاب غير المشروع فهو أنواع: منه **ما لا يكون الهدف والوسيلة فيه مشروعين**، مثل ما يقوم به تجار المخدرات من عمليات ومقاومات، يقتلون فيها أبرياء وآمنين ... ومثل ذلك: ما تفعله جماعات (المافيا) في أوروبا وغيرها، من اختطاف بعض الناس، قضاة ومحلفين وزعماء وصحافيين، لإرهابهم، وليفرضوا مطالب خاصة بهم مثل الإفراج عن بعض مجرميهم، أو نحو ذلك مما لا يشك في عدم مشروعيته، فهؤلاء أهدافهم ووسائلهم غير مشروعة جميعا.

ومن الإرهاب غير المشروع: أن يكون **الهدف مشروعا والوسيلة غير مشروعة**، مثل خطف الطائرات، بركابها المدنيين الذين لم يقترفوا جرما ولم يكسبوا إثما، وليس بينهم وبين الخاطفين أي قضية أو مشكلة. يهددون بهم آخرين من خصومهم: إما أن يحققوا لهم مطالبهم، وإما أن يفجروا الطائرة بمن فيها، أو يقتلوا بعض من

فيها. والأصل الشرعي اليقيني: [أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى] (النجم: 38). ... ومثل ذلك: خطف الرهائن واحتجازهم، والتهديد بقتلهم، إذا لم يُستجب لمطالبهم. ومثل ذلك: قتل السياح، كما في حادث "مذبحة الأقصر" في صعيد مصر، وما حدث من قريب في جزيرة بالي في أندونيسيا. فهذه الأعمال كلها إرهاب غير مشروع، لان الوسيلة فيها غير مشروعة، لأنها تقوم على تعذيب أناس أبرياء بذنوب غيرهم، والقاعدة الشرعية المتفق عليها: [أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى] (النجم: 38)، وهذا إذا افترضنا أن الهدف نفسه مشروع على ما يدعيه هؤلاء"[148]. (انتهى، بتصرف).

3-2 الجهاد في الفكر العالمي: مبادئ الأمم المتحدة

مرت القواعد التي تنظم العلاقات الدولية بين الدول بعدة تطورات. إذ بعد أن كانت تعتمد أساسا على القوة وحق الفتح وضم الأراضي، مالت هذه القواعد نحو عقد المعاهدات وترسيخ أعراف دولية في ضبطها.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ثم اتجه العالم إلى محاولة الحد من استخدام القوة كوسيلة لفض ما يثور بين الدول من منازعات والالتجاء إلى الطرق السلمية. وعلى إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى اتجه العالم إلى إنشاء منظمة دولية تكون مهمتها المحافظة على السلم والأمن في العالم فكانت "عصبة الأمم". وقد نصت المادة الثانية عشر من ميثاقها على أن أعضاء العصبة ملزمون:

> إذا نشأ أي نزاع من شأن استمراره أن يؤدي إلى احتكاك دولي على أن يعرضوا الأمر على التحكيم أو التسوية القضائية أو التحقيق بوساطة المجلس، ويوافقون

[148]) محمد إمام، **الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية**، السبت 20 جمادى الأولى 1424 هـ / 19 يوليو 2003م، العدد 8999. (بتصرف).

على عدم الالتجاء للحرب بأية حال قبل انقضاء ثلاثة شهور على صدور قرار التحكيم، أو الحكم القضائي، أو تقرير المجلس[149].

فإن قبلت إحدى الدولتين المتنازعتين القرار أو الحكم امتنع على الدولة الأخرى الدخول في حرب ضد الدولة القابلة للحكم أو القرار. والدولة التي تخالف هذا النظام تعتبر مرتكبة لعمل من أعمال الحرب ضد كل دول "العصبة"، ويجب على دول العصبة تقديم المساعدة اللازمة للدولة القابلة للحكم أو القرار[150].

غير أن عصبة الأمم لم تنجح في تنزيل مواد ميثاقها على الواقع العالمي، للنزوع المستحكم لدى الدول العظمى إلى بسط نفوذها على الأمم المستضعفة والتعويل على القوة فيصلا في النزاعات. فقد فشلت عصبة الأمم فشلا ذريعا في إقامة مبادئها.

نتيجة لهذا الفشل اتجهت العديد من الدول - من جديد- إلى عقد اتفاقات دولية فيما بينها تدين اللجوء إلى الحرب لفض المنازعات. ومن أهم هذه الاتفاقيات "ميثاق باريس" أو ميثاق "بريان كيلوج" الذي أُبرم سنة 1929م. غير أنها لم تزد على أن تكون حبرا على ورق إذ لم يكن لها مصداقية واقعية.

وفي عام 1945م وبعد أن ذاقت البشرية ويلات الحرب العالمية الثانية،

أنشئت منظمة الأمم المتحدة وظهر لأول مرة في تاريخ البشرية نظام دولي يحرم الالتجاء إلى القوة لفض ما يثور بين الدول من منازعات ... فقد نصت الفقرة الرابعة من المادة الثانية[151] صراحة على ذلك. واستثنى ميثاق هيئة الأمم المتحدة

---

[149]) عبد الرحمان بن إبراهيم الضحيان، **وثائق المنظمات الدولية والإسلامية والعربية (المجموعة الأولى)**، الطبعة الأولى، 1411هـ / 1991م، دار العلم للطباعة والنشر، جدة - المملكة العربية السعودية، ص 23.

[150]) صوفي حسن أبو طالب، **الكفاح المشروع للشعوب**، ص24.

[151]) انظر عبد الرحمان بن إبراهيم الضحيان، **وثائق المنظمات الدولية والإسلامية والعربية (المجموعة الأولى)**، ص 37.

من هذا المبدإ بضعة حالات؛ أهمها حالتي الدفاع الشرعي [م51][152]، وحق تقرير المصير [م2/1 + م55][153]. فأجاز للدولة المعتدى عليها استخدام القوة دفاعا عن نفسها - سواء بمفردها أو بمساعدة الدول الأعضاء في تنظيم إقليمي تدخل فيه الدولة المعتدى عليها - وذلك حتى يتولى مجلس الأمن نظر موضوع النزاع، واتخاذ ما يراه لازما من تدابير سلمية أو عسكرية إذا ما قدر المجلس أن النزاع يهدد أو يخل بالسلم الدولي[154].

وهذا وغيره من القواعد والمبادئ التي نظمتها الاتفاقات الدولية التي عقدت بعد الحربين العالميتين، كاتفاقات لاهاي واتفاقات جينيف الأربع عام 1949م، مما يتلاقى تلاقيا واضحا مع ما سبقت الشريعة الإسلامية إليه من السعي إلى السلام مع استفراغ الوسع في تطلبه، أو خوض الحرب ضمن مبادئ الجهاد ودوافعه وأسبابه وضوابطه وآدابه.

واعتبار الحرب في نظر الإسلام ضرورة اجتماعية أو شرا لا بد منه، إلا لما يرجى من ورائه من خير على حد قول الشاعر العربي[155]:

والشـــر إن تلـقه بالخير ضقت بـه ** ذرعا وإن تلـقه بالشـــر ينـحسم
والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا ** فالحرب أجدى على الدنيا من السلم[156]

فقد نادى الإسلام بالجنوح للسلم وعدم الوهن والاستسلام. كما حرص على العدل وعدم الظلم والتعدي في رد العدوان، حتى وإن ملك المسلمون القدرة على ذلك،

---

[152]) انظر: **المصدر السابق**، ص 48.
[153]) انظر: **المصدر السابق**، ص 36 و ص 49.
[154]) صوفي حسن أبو طالب، **الكفاح المشروع للشعوب**، ص 25.
[155]) انظر: حسن البنا، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، الطبعة الأولى، 1428هـ / 2007م، أفريقيا للنشر والتوزيع، أكرا- غانا، ص 399.
[156]) الأبيات لأحمد شوقي.

فعليهم لزوم مبادئ دينهم ومواثيقه التي نزل بها القرآن. كما دلهم إلى التحالف مع قوى الحق والمستضعفين أخذا لحقهم المغصوب من الطغاة الغاصبين.

والمسلمون أمة تنشد السلم وتعمل على نشره. وتنزع فتيل البغي بين الناس وتصلح بينهم بالعدل والقسط والصلح خير. فأما إذا بغت طائفة على أخرى، قاتلوا التي تبغي[157] حتى تفيء وتؤوب وتعود إلى الحق الذي أتى من الله، حتى لو اضطروا إلى استعمال القوة والحديد الذي أنزل ليقوم الناس بالقسط. ولا يجرمنهم في فصل النزاع شنآن قوم على ألا يعدلوا، فالعدل عندهم أقرب للتقوى التي بها يتفاضلون.

ففي الدعوة للسلم قال تعالى: [وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] (الأنفال: 61).

وفي اعتماد وسائل الدعوة أرشد إلى الحكمة والموعظة والمجادلة بالأحسن، فقال تعالى: [ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] (النحل: 125). وهذه الأحكام على حد تعبير الأستاذ الدكتور صوفي حسن أبو طالب "تتفق مع ما قرره ميثاق هيئة الأمم المتحدة بتحريم اللجوء إلى القوة كأصل عام [م4/2]"[158].

وفي رد العدوان مع الحرص على عدم التعدي قال تعالى: [وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] (البقرة: 190). و قال تعالى: [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ] (النحل: 126).

---

[157]) محمد بن إسماعيل الصنعاني، **سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام**، بتحقيق عصام الصبابطي وعماد السيد، 1994م، دار الحديث، القاهرة - مصر، انظر "باب قتال أهل البغي"، ج 3، ص 373-378.

[158]) صوفي حسن أبو طالب، **الكفاح المشروع للشعوب**، ص 25.

وبين الله حقهم في التصدي للظالمين دفاعا عن الأرض المغتصبة في أول آية نزل فيها الإذن بالقتال؛ وذلك في قول الله تعالى: [أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ] (الحج: 39-40).

وفي نصرة المستضعفين عامة قال تعالى: [وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ] (النساء: 75).

وفي إغاثة المظلومين من المؤمنين خاصة والانتصار لهم من الظالمين، يقول: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] (لأنفال: 72).

وهذا الحكم شبيه بحق تقرير المصير الذي أقرته هيئة الأمم المتحدة بالعديد من قرارات الجمعية العامة وحق الشعوب في طلب النصرة من الدول الأعضاء.

وفي الإصلاح بين الناس [وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] (الحجرات: 9).

وفي التناصر على الفئة الباغية قال تعالى: [فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] (الحجرات: 9).

وفي استعمال القوة لإقامة العدل والقسط بين الناس قال تعالى: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] (الحديد: 25).

وبالإضافة إلى تجنب الحرب وحصر أسبابها، نظم الإسلام ضوابط للمقاتلين عليهم التزامها[159]، وهي مجانبة الإفساد في الأرض والتخريب. ففي وصايا القرآن والرسول و الخلفاء للجند الكثير في هذا المعنى.

فعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله إذا أمَّر أميراً على جيش أو سريَّةٍ أوصاه في خاصَّته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغلوا ولا تغدِروا ولا تُمثّلوا ولا تقتلوا وليداً) رواه أحمد[160]، ومسلم[161]. وقال أبو بكر رضي الله عنه لأحد قواد الجند: "... وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيا، ولا هرما، ولا تقطعن شجرا مثمرا، ولا نخلا، ولا تحرقها، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة، ولا تجبن، ولا تغل" [162].

---

[159]) انظر بعض تلك الضوابط في: رابطة العالم الإسلامي، الأمانة العامة - مكة المكرمة، **موقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب**، ص 13. وانظر الترجمة الإنجليزية بذات المصدر.

[160]) أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج 5، ص 358، حديث رقم 23080.

[161]) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج 3، ص 1357، حديث رقم 1731.

[162]) مالك بن أنس، **موطأ مالك**، ج 2، ص 447، حديث رقم 965. وانظر: أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي، **شرح السير الكبير**، ج 1، ص 39 وما يليها.

وذلك ما يتطابق إلى حد كبير مع ما نصت عليه اتفاقيات جينيف الأربعة في 1949/08/13م الخاصة بضحايا الحرب. فقد ورد في المادة 147 من الاتفاقية الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، منع القيام بالأعمال الآتية ضد المدنيين الذين تحميهم هذه الاتفاقية: (القتل العمد، التعذيب أو المعاملة البعيدة عن الإنسانية، بما في ذلك التجارب الخاصة بعلم الحياة. الأعمال التي تسبب آلاما شديدة أو إصابة خطيرة للجسم، أو النفي أو الإبعاد غير القانوني للأشخاص المحميين، أخذ الرهائن، والتدمير الشامل للممتلكات...).

كما استحدث الإسلام نظام الإعلان المسبق عن الحرب. والآيات والأحاديث ناطقة بذلك مفضلة إياه في مثل قول الله تعالى: [وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ] (الأنفال: 58).

كما نص الإسلام على إحسان معاملة الأسرى، "وذلك حتى جاء عند أواخر عهد التنزيل سدّ باب طروء الاسترقاق بيد المحاربين مماثلة لعرف الحرب، وخُيّر المسلمون إذا وضعت الحرب أوزارها بين الإطلاق والتسريح للأسرى مناً أو فداء، وعلى ذلك سرت سنة النبي - صلّى الله عليه وسلّم - في فتح مكة"[163]؛ فقال تعالى [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً] (الإنسان: 8-9). وقال - تعالى -: [فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا] [164] (محمد: 4).

---

[163]) حسن عبد الله الترابي، **السياسة والحكم: النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع**، الطبعة الأولى، 2003م، دار الساقي، بيروت - لبنان، ص 156.

[164]) انظر ما أورده الطبري في تأويل الآية من اختلاف العلماء حول اعتبارها محكمة أو منسوخة. محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج 26، ص 40. وانظر في ذات الشأن، إسماعيل بن عمر بن كثير، **مختصر تفسير القرآن العظيم** المسمى **عمدة التفاسير** عن الحافظ ابن كثير، ج 3، ص 280.

لكن في المقابل ما بال القوى العظمى التي شرعت ورعت ميثاق الأمم المتحدة ومبادئها ومواثيقها، تنقض غزلها كل مرة أنكاثا. فتبطش باسم الرد على العدوان. وتنتصر وتصطف في خندق الباغين، تمدهم بكل قوة على المستضعفين، وتصم هؤلاء الأخيرين بالإرهابيين. وبدل أن تحكم بالقسطاس المستقيم بين المتنازعين نراها تنحاز إلى الجزارين.

ذلك بالإضافة إلى أن الأمم المتحدة قائمة أساسا على قسمة ضيزى؛ غير عادلة بين الدول العظمى دائمة العضوية في مجلس الأمن من جهة، وباقي الدول الأعضاء من جهة ثانية. فالأولى تتمتع بحقوق أكثر من غيرها، ولها حق النقض للقرارات التي تنبثق عن المنظمة. مما يهدد العديد من القرارات التي لا توافق هواها، فتتعرض للوأد قبل الولادة فتولد ميتة غير مقبورة. مما ولد حالة من الاحتقان لدى الشعوب ضد من يسيطر على القرارات ظلما وعدوانا.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ومما تجدر الإشارة إليه، أن حق الدفاع المشروع ذاته قُصِر ابتداء على الدول ذات السيادة أعضاء هيئة الأمم المتحدة. ولم يعط هذا الحق للشعوب والأقاليم المحتلة - آنذاك - في الدفاع عن نفسها. كما أن الميثاق لم ينظم كيفية ممارسة الشعوب لحقها في تقرير مصيرها. ولذلك اضطرت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إصدار مجموعة من القرارات أكدت فيها حق الشعوب في تقرير مصيرها.

الفصل الثالث

سيد قطب
من النشأة إلى المشنقة

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

1-3 عصره

أ- الواقع والظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية

عاصر سيد قطب وتفاعل مع أحداث جسام ومخاضات عالمية ومحلية كبرى. فقد شهد العالم تطورات عالمية بالغة الأهمية والتأثير في حياته (1906م - 1966م). حيث "إن القرن العشرين قرن عجيب حقا، من أكثر قرون التاريخ البشري مفاجآت وتطورات وتغييرات، ظهر هذا في نصفه الأول، وكان أكثر ظهورا في نصفه الثاني"[165].

وحيث أن المجال لا يتسع للتفصيل فقد فضلت الإيجاز عرضا لأهم المفاصل التاريخية الرئيسة التي وقعت على امتداد المسافة الزمنية لحياة سيد قطب ولو على شكل نقاط لعدم الإخلال:

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

* حالة الاستعمار التي كانت ترزح تحتها مجمل الدول المستضعفة.
* الحرب العالمية الأولى 1914م - 1919م.
* ثورة عرابي في مصر 1919م.
* سقوط الخلافة 1924م.
* تأسيس جماعة الإخوان المسلمين 1928م.
* الحرب العالمية الثانية 1939م - 1944م.
* احتلال اليهود لفلسطين 1948م.
* اغتيال حسن البنا 1949م.
* سقوط الملكية بقيام ثورة الضباط الأحرار 1952م.

---

[165]) صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2000م، دار القلم، دمشق - سوريا، ص 27.

* انقلاب عبد الناصر على نجيب، واستلامه الحكم 1954م.
* محنة الإخوان ودخولهم المعتقلات والسجون 1954م ثم 1965م.

ب- مدى تأثير الواقع على شخصيته وموضوع البحث

أبادر بالقول إنه لما كان سيد قطب يؤمن بالعلاقة بين البيئة السياسية وتأثيرها على الكاتب، "حيث لا يعتقد في جدوى الكتابات النظرية إذا كانت بمعزل عن مشاكل المجتمع والواقع"[166]، لذلك فإن إنتاجه الفكري لم يكن طوباويا كما أنه ليس بمعزل عن الزمان والمكان والأحوال. ومن ثم فهو غير قابل للخلود، وغير مطلق لا زمانا ولامكانا ولا أحوالا. بل يستمد بقاءه من بقاء الظروف التي ولدته.

غير أن ما لا تخطئه عين الملاحظ في كثير من الكتابات حول فكر الرجل أن العديد منها يتسم بقراءة منعزلة عن السياق الذي كتب فيه. وتلك آفة المنزع الإطلاقي الذي يميل إلى التعميم لدى الكثير من النقاد. إذ وفقا لعبارة الكاتب السوري معتز الخطيب فإن:

> الكثيرين يقرؤونه بمعزل عن سياقه زمانًا ومكانًا وظروفًا، وتكوينًا شخصيًّا. وهذا يرتد إلى النزعة الإطلاقية السائدة لدى كثير من الإسلاميين حين يتصورون الأفكار متعالية تهبط من السماء، لا تنبع من الأرض. وهذه الملحوظة المنهجية لها تأثيرها الكبير في الموقف الذي سنتخذه مع أو ضد، ومن الأفكار التي سنناقشها سواء وصفناها بالتطرف أم بالاعتدال، فهما وصفان غير كافيين بذاتهما؛ دون النظر إلى بيئة تشكل ذلك الفكر، وروافده، وفي مواجهة من وماذا؟. هذا النظر سيؤدي بنا - على مستوى الفكرة - إلى مسألة أخرى لصيقة به وهي: هل يصلح

[166]) Ahmad S. Moussalli, 1992. ***Radical Islamic Fundamentalism: The Ideological and Political Discourse of Sayyid Qutb***. Beirut-Lebanon: American University of Beirut, p 239.

لزماننا هذا كلاً أو جزءًا؟ وإن كان يصلح جزئيًّا فما التعديل الواجب عليه؟ وما الذي تغيّر؟[167]

يقول حمدي عبد العزيز مخبرا عن تأثر سيد بواقع ما قبل ثورة عرابي: "كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة 1919م أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في المجامع والمساجد"[168].

وشارك الناس همومهم من خلال مقالاته؛ إذ "كان فكره واقعيا حيا حركيا ناميا. أي أنه كان يعالج ويناقش مشكلات عصره، وقضايا واقعه. وكان ينصرف عن القضايا النظرية القديمة ... كما كان ينصرف عن المباحث والمسائل الافتراضية الفقهية والتشريعية التي ليس لها بعدٌ واقعي ... فقد كان حريصا على بحث ما يعيشه الناس ويدركونه ويعانونه، وتقديم الحلول الإسلامية لحياتهم الواقعية"[169].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ونظرا لانتشار الفساد، فقد كان "هدف سيد قطب الأساس معالجة مظاهر الفساد والانحراف في حياة مصر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، على أساس ما يعتبره "الإسلام الصحيح"[170]. ومن ثم هاجم المسئولين عن ذلك الفساد. "فكان - بهذا وغيره - رجلا اجتماعيا، ذا حظور دائم في حياة مصر الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والإصلاحية. وكان يعد الإنجليز، وعملاءهم وأعوانهم من رجال القصر

---

[167]) معتز الخطيب، سيد قطب.. وجماعات العنف، 2004م، على الرابط:
http://www.islamonline.net/arabic/contemporary/2004/07/article01b.shtml

[168]) حمدي عبد العزيز، سيد قطب .. الأديب والمصلح الاجتماعي، على الرابط:
http://www.islamonline.net/arabic/famous/2000/12/article3.shtml

[169]) صلاح عبد الفتاح الخالدي، ***سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد***، ص560، (بتصرف).

[170]) Ibrahim M. Abu-Rabi', 1996. ***Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World***. New York: SUNY Press, p 108.

والحكومات المتعاقبة، ورجال الأحزاب والإقطاع وكبار التجار السبب في تخلف مصر"[171].

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، ازدادت الأحوال المعيشية والسياسية سوءاً. ولعبت حركة الإخوان المسلمين دوراً بارزاً في عجلة الإصلاح والتوعية. واستقطبت - حركة الإخوان الإصلاحية - المثقفين وفي هذا السياق بدأت علاقة سيد قطب بالإخوان المسلمين في عام 1946م، وتطورت بشكل أكبر في حرب 1948م. وفي هذا الإطار، ألف سيد قطب كتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام" وأهدى الكتاب إلى "جماعة الإخوان المسلمين" التي أصبح من أهم أعضائها في وقت لاحق[172].

وبعدما احتك احتكاكا مباشرا بالحياة والحضارة الغربية والرجل الأبيض، سجل لنا سيد انطباعاته الأولى، وبيّن فيها الفصام الذي لاحظه على المجتمع الأمريكي عندما عقد المقارنة بين رقيه العلمي ونموه ورفاهه. رقيا ونموا يناطح فيه العلياء، من جهة، وبين تخلفه وانحداره في القيم، من جهة أخرى. ففي حين أعرب عن بالغ إعجابه بالتقدم العلمي والتقني في الولايات المتحدة، فإن إطلاعه على المجتمع الأمريكي أقنعه بالإفلاس الروحي والأخلاقي للمجتمع الغربي[173].

فها هو ذا يصف ذاك العالم الذي انبهر به - وانصدم في ذات الوقت - فكان يوازن ويجري التقويمات بميزان يُلاحظ عليه النصفة والعدل، اعترافا بالفضل. ولكن ذلك

---

[171]) عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، الطبعة الأولى، 1423هـ / 2002م دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر، ص 658.

[172]) Ussama Makdisi, 2003. "Anti-Americanism" in the Arab World. In Meyerowitx, J. (ed). ***History and September 11th***. Philadelphia: Temple University Press, p 138.

[173]) صلاح عبد الفتاح الخالدي، **أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب**، الطبعة الثامنة، 1423هـ / 2002م، دار القلم، دمشق - سوريا، والدار الشامية، بيروت - لبنان، انظر الحلقات الثلاث عن أمريكا في ميزان القيم الإنسانية، ص 97-123.

الانبهار لا يحجب النقد، ولا يوقعه في شراك عقلية طه حسين التي سبق أن عارضه فيها أشد المعارضة، ودحض مقولته في الأخذ من الغرب حلوه ومره.

إذ لمّا حصل سيد على بعثة للولايات المتحدة في عام 1948م لدراسة التربية وأصول المناهج، كتب عدة مقالات جمعت ونشرت فيما بعد في كتاب حمل عنوان "أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب" يقول فيه:

> وإن الباحث في حياة الشعب الأمريكي ليقف في أول الأمر حائرا أمام ظاهرة عجيبة، قد لا يراها في شعب من شعوب الأرض جميعا: شعب يبلغ في عالم العلم والعمل، قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك، بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك!
>
> ولكن هذه الحيرة تزول بعد النظرة الفاحصة في ماضي هذا الشعب وحاضره، وفي الأسباب التي جمعت فيه بين قمة الحضارة وسفح البدائية[174].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

وهنا يرد علينا سؤال هام، ألا وهو: هل كانت الفترة القصيرة تلك التي قضاها سيد قطب في أمريكا، مع اطلاعه على مؤلفات بعض الكتاب هناك، كافية لتحصيل نظرة شاملة ونقد موضوعي للحضارة الغربية؟ أم أن من نتائج ذلك أن اقتصرت تقويماته على الجانب الظاهري القيمي والأخلاقي، ولم تغص إلى أعماق أزمة الحضارة الغربية وأسبابها وعللها الباطنة؟ ومن ثم فإن على الناقد إعادة النظر في منهجه الحركي للطليعة المؤمنة، باعتبار ذلك المنهج مؤسسا على تلك المقدمة.

وعند عودته إلى مصر من الولايات المتحدة عام 1950م، شهد سيد قطب "العجزَ العربي عن التصدي لمنع ضياع فلسطين وتشتت الشعب الفلسطيني، حيث وقع

---

[174]) صلاح عبد الفتاح الخالدي، **أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب**، ص 99.

تبرير الأول، وأهمل الثاني بشكل واسع من قبل الغرب"[175]، و(شهد) فسادَ الأنظمة العربية التي خلفت الاستعمار الأجنبي، وتواطُأ علماء الدين مع تلك الحكومات. ويشاطر الباحث الرأي القائل بضرورة النظر إلى أعمال سيد قطب في الخمسينات وما تلاها على أنها رجع صدى لتركيبة مهاراته و"استمرار خلفيته ككاتب وناقد، وكذلك صدى للخلفية السياسية والفكرية لمصر"[176] والعالم آنذاك. فقد استأنف جهوده في كتاباته ومقالاته على حد تعبير عبد الله عزام:

> ليخوض معارك سياسية ضد طغيان فاروق، وفساد الأحزاب، وهيمنة المستعمر الإنجليزي ... واستقطبت هذه الكتابات فيمن استقطبت ضباط انقلاب "23 يوليو"، فأعجبوا بها، وتعرفوا على كاتبها، وقامت بينهم وبينه علاقات، وتم اختياره بعد نجاح الانقلاب مستشاراً لمجلس قيادة الثورة، ثم أميناً عاماً مساعداً لهيئة التحرير، وكان مرشحاً ليكون وزيراً للمعارف أو للإعلام. لكنه رفض الوزارة والجاه عندما لمس سوء نوايا قادة الانقلاب، وأدرك بأنهم ليسوا جادين في تحكيم شرع الله، وارتاب - رحمه الله - في اتصالاتهم المشبوهة[177].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

2-3 مولده ونشأته

أ- مولده

"ولد سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي في قرية "موشة" الزراعية التابعة لمحافظة أسيوط في صعيد مصر في 9- 10- 1906م. ومعظم سكان القرية من المسلمين،

---

[175]) Ussama Makdisi, 2003. "Anti-Americanism" in the Arab World. In Meyerowitx, J. (ed). ***History and September 11th***, p 145.

[176]) Ibrahim M. Abu-Rabi'. 1996. ***Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World***, p 163.

[177]) عبد الله عزام، **عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)**، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، مركز شهيد عزام الإعلامي، بيشاور - باكستان، ص 51-52.

وقليل منهم كانوا نصارى، ولهم فيها كنيسة"[178]. وهي ذات السنة التي ولد فيها حسن البنا (1906م - 1949م) مؤسس جماعة الإخوان المسلمين؛ الجماعة التي سينتمي إليها سيد قطب ولكن بعد استشهاد مؤسسها الذي لم يجتمع به في حياته قط [179]، رغم التوازي في قصة حياتيهما[180].

ب- نشأته

كان سيد قطب هندي الأصل؛ فجده السادس وهو"الفقير عبد الله" قد سافر من الهند إلى مكة لأداء مناسك الحج، ثم توجه إلى مصر[181]. كما كان "الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة، يقول سيد عنها في كتابه الأطياف الأربعة: "لقد كنت تصورينني لنفسي كأنما أنا نسيج فريد، منذ ما كنت في المهد صبيا"[182].

كما كانت تزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلمًا مثل أخواله. كما كان أبوه راشدًا عاقلاً، وعضوًا في لجنة الحزب الوطني، وعميدًا لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياة القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيِّنًا في سلوكه.

---

[178]) صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 49. (بتصرف). وقد أشار سيد إلى قريته في كتابه **"طفل من القرية"**. انظر: ص 86 و144 و182-184 و204-205.

[179]) عبد الله عزام، **عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)**، ص 16-17."دخل الأستاذ سيد دعوة الإخوان المسلمين سنة 1951م وكان يعبر عن هذا بأعمق تعبير قائلا: ولدت سنة 1951م، وقد جاء سيد على قدر، ولكل أجل كتاب فلم يحفل سيد بالدعوة في بداية الأمر ولم يكن يعني نفسه للقاء بقائدها البنا". وانظر: يوسف القرضاوي، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، الطبعة الأولى، 2006م، دار الشروق، مدينة نصر - مصر، ج 3، ص 52.

[180]) Paul Brykczynski, 2005. Radical Islam and Nation: The relationship between Religion and Nationalism in the political thought of Hassanal-Banna and Sayyid Qutb. ***History of Intellectual Culture***, 5(1). http://www.ucalgary.ca/hic.

[181]) أبو الحسن الندوي، **مذكرات سائح في الشرق العربي**، الطبعة الثانية، 1975م، مؤسسة الرسالة، ص 153. وانظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 50-51.

[182]) سيد قطب وإخوته، **الأطياف الأربعة**، الطبعة الثانية، 1967م، بدون ناشر، ص 167و168.

ولما كتب سيد قطب إهداء كتابه "مشاهد القيامة في القرآن" قال عن أبيه:

> لقد طبعتَ فيّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكراه في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مُخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات[183].

هذا وقد تحدث سيد قطب عن نشأته في قريته "موشا" في كتابه "طفل من القرية"، وعن ظروف دراسته فيها وحرصه على حفظ القرآن، ودفاعه عن عرض وشرف بنات المدرسة، وغيرته عليهن، وكيف كوّن مكتبة لا مثيل لها في هذه القرية، وهو لا يزال طالباً في المرحلة الابتدائية .. كما تحدث عن العقلية التي يفكر بها أهل قريته، وما كان يعشعش فيها من الخرافات والسحر والجن، والبؤس الذي يلف الطبقات الكادحة من أجل توفير الحد الأدنى من العيش. ولا شك أن سمات شخصيته كطفل وظروف نشأته قد بقي لها آثار واضحة في كتاباته وتوجهاته وهو كبير؛ فقد حافظ على تعلقه بالقرآن وغيرته وشغفه بالمطالعة واصطف إلى جانب المستضعفين يطالب بالعدالة الإجتماعية لهم. "كان هذا الذي ذكره في كتابه المهم شأن القرى كلها لا نقول في صعيد مصر وحده، وإنما في العالم الإسلامي كله"[184].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

3-3 أهم مراحل حياته

أ- التعليم

---

[183]) حمدي عبد العزيز، سيد قطب .. الأديب والمصلح الاجتماعي، على الرابط:
http://www.islamonline.net/arabic/famous/2000/12/article3.shtml

[184]) عبد الله عزام، **عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)**، ص 50.

"دخل المدرسة الابتدائية في القرية عام 1912م حيث تخرج فيها عام 1918م ثم انقطع عن الدراسة لمدة عامين بسبب ثورة 1919م.

ثم سافر إلى القاهرة للدراسة، حيث التحق بمدرسة المعلمين الأولية عام 1922م، ثم التحق بمدرسة "تجهيزية دار العلوم" عام 1925م. وبعدها التحق بكلية دار العلوم عام 1929م، حيث تخرج فيها عام 1933م حاملا شهادة الليسانس في الآداب"[185].

وبذلك التخرج بدأ رحلته في التدريس التي امتدت حتى الفترة ما بين عام 1948م و1950م، عندما أوفدته وزارة المعارف إلى أمريكا للإطلاع على مناهج التعليم ونُظُمه، وبقي فيها حوالي سنتين. درس سيد قطب في معهد ولسون للمدرسين (Wilson's Teachers' College)، على الساحل الشرقي، قبل أن ينتقل غربا ليحصل على درجة الماجستير في التربية (Education) من "جامعة كولورادو الشمالي" (University of Northern Colorado)[186].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ولقد كان لتلك الرحلة بصماتها الواضحة في نقد سيد قطب للحضارة الغربية وإفلاسها في مجال القيم. مما شكل المقدمة الرئيسة التي بنا عليها كتابه "معالم في الطريق" فيما بعد.

و لا يفوت الباحث هنا أن يلفت نظر القارئ إلى أن سيد قطب كان قارئا نهما، وطلعة شغوفا بالقراءة فيما يلي تخصصه وما ليس من تخصصه. ومن ثم فقد كانت كتاباته تحمل بصمات واضحة من أثر التحصيل العلمي الأكاديمي وكثرة المطالعة، وهي بصمات لا تخطئها عين المطلعين على أعماله.

---

[185]) عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، ص 657-658.

[186]) Luke Loboda, 2004. ***The thought of Sayyid Qutb***. Ashbrook Statesmanship Thesis. Recipient of the 2004 Charles E. Parton Award. http://www.ashbrook.org/publicat/thesis/loboda/loboda.pdf

ب-الوظيفة

عين بعد تخرجه مدرسا في وزارة المعارف، وفي عام 1940م نقل إلى وزارة المعارف، ثم مفتشا في التعليم الإبتدائى، ثم عاد إلى الإدارة العامة للثقافة بالوزارة عام 1945م. وفى هذا العام ألف أول كتاب إسلامي وهو"التصوير الفني في القرآن" وابتعد عن مدرسة العقاد الأدبية.

عندما عاد إلى مصر في 20-8-1950م - قادما من رحلته إلى أمريكا - عين في مكتب وزير المعارف بوظيفة مراقب مساعد للبحوث الفنية. واستمر حتى 18-10-1952م حيث قدم استقالته.

ج- التوجه الأدبي

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

تتلمذ الأستاذ سيد قطب أدبيا على يد العقاد، وكان يتردد على طه حسين، وحمل لواء المعارضة للأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي، وكان هجومه على الرافعي عنيفا، حتى أن الرافعي لم ينج منه بعد موته، فلقد نقد الرافعي إثر موته نقدا لاذعا. فقام علي الطنطاوي يدافع عن الرافعي فقابله الأستاذ سيد برد مقذع حاد[187].

ونراه ناقدًا منصفًا كذلك في كتابه "نقد مستقبل الثقافة في مصر"، الذي صدر في ثمانين صفحة، عرض فيه رأيه في كتاب طه حسين الذي أثار ضجة حينذاك بدعوته إلى الأخذ من حضارة الغرب "حلوها ومرها خيرها وشرها". وأبرز الشهيد سيد قطب في نقده لهذا الكتاب المغالطات التي أوردها طه حسين في هذا

[187]) عبد الله عزام، **عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)**، ص 8.

الشأن بصورة واضحة لا لبس فيها، كما قدم في مجال النقد أيضًا كتابه "النقد الأدبي أصوله ومناهجه"[188].

هذا وقد وصل سيد قطب في النقد والأدب إلى القمة. حتى قال فيه إبراهيم أبو ربيع والقرضاوي وغيرهم من النقاد ما قالوا[189]. وبشر بنظرية نقدية جديدة في النقد الأدبي، أطلق عليها "نظرية الصور والظلال". كما دعا إلى "المنهج المتكامل في النقد الأدبي" وذلك بالجمع بين المنهج الفني والمنهج التاريخي والمنهج اللغوي والمنهج النفسي[190].

وفي حين يميل كثير من النقاد إلى تقسيم حياة سيد قطب إلى مراحل مختلفة، فإن الباحث يسجل هنا أن ذلك قد يفيدنا منهجيا، ولكن لا يجوز بحال أن يحجب عنا خصلة النقد العنيف التي رافقت جميع تلك المراحل.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

د- التوجه الفكري والدعوة للإصلاح

لقد حدثنا المستشار عبد الله العقيل حول الأمر فأفاض - ولا ينبئك مثل خبير - فالرجل قد عاصره والتقى به وتتبع توجهه وسيقتطف الباحث هنا منه ما يخدم العنصر بتصرف وبدون إسهاب.

---

[188]) النهضة نت، الشهيد "سيد قطب" نقلا عن إخوان أون لاين، 2003/08/29. على الرابطين:
http://www.hamasna.com/SS.HTM, و http://nahdha.net/library/qutb.htm

[189]) نذكر هنا بما قاله أبو ربيع مثلا: "... ومن الضروري أن نسأل من هو سيد قطب! هل كان مؤلفا، أم كاتبا، أم ناقدا، أم مفكرا، أم منظرا، أم هو كل ما ذكر أعلاه؟ وليس ثمة ريب أنه في الخمسينات، كان في الواقع، كل ما ذكر أعلاه". انظر:
Ibrahim M. Abu-Rabi', 1996. ***Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World***, p 163.

[190]) عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، ص 659.

عمل سيد قطب في الصحافة منذ شبابه ونشر مئات المقالات في الصحف والمجلات المصرية، كالأهرام والرسالة والثقافة، وأصدر مجلتي "العالم العربي" و"الفكر الجديد". ثم ترأس جريدة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية عام 1953م. وهي السنة التي انتسب فيها إلى الإخوان المسلمين رسميا، وكان قبل ذلك قريبا من الإخوان متعاونا معهم[191].

والمتتبع لسيرة سيد قطب وأعماله، لا يجد عناء كبيرا في ملاحظة التحولات الرئيسة في شخصية الرجل وطبيعة أعماله. فهو في أعين محبيه من الإسلاميين، أول ما ظهر، ظهر أديبا شاعرا، ثم ناقدا أدبيا، ... والمرحلة الثانية، "هي مرحلة الدعوة إلى الإسلام، بوصفه عقيدة ونظام حياة، يقيم العدالة الاجتماعية في الأرض ويرفع التظالم بين الناس، ويرعى حقوق الفقراء والمستضعفين"[192]. فقد اتجه إلى الإسلام وغدا مصلحا إسلاميا ثم صار من أبرز رواد الفكر الإسلامي وأكثرهم تأثيرا في العالم الإسلامي المعاصر[193].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

في حين أنه في أعين منتقديه "يبدو أنه تحول من موقع 'المسلم العلماني' في الثلاثينات، إلى 'الراديكالية الإسلامية المعتدلة' في أواخر الأربعينات، ومن ثم إلى مواقع 'الراديكالية الإسلامية المتطرفة' في السنوات الأخيرة من حياته"[194]. أو بتعبير القرضاوي 'مرحلة الثورة الإسلامية'[195].

---

[191]) عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية** ، ص 661-662.

[192]) يوسف القرضاوي، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، ج 3، ص 53.

[193]) Luke Loboda, 2004. ***The thought of Sayyid Qutb***. Ashbrook Statesmanship Thesis. Recipient of the 2004 Charles E. Parton Award. http://www.ashbrook.org/publicat/thesis/loboda/loboda.pdf

[194]) Ibrahim M. Abu-Rabi', 1996. ***Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World***, p 109.

نقلا عن التالي:

William Shepard, 1992. "The Development of the Thought of Sayyid Qutb as Reflected in Earlier and Later Editions of 'Social Justice in Islam'". ***Die Welt Des Islams***, vol. 32(2), p 201.

[195]) يوسف القرضاوي، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، ج 3، ص 56.

ولقد كان لمحاضراتة الإسلامية التي قدمها في بلاد الشام حين حضوره المؤتمر الإسلامي للقدس، أكبر الأثر في نفوس الجماهير خاصة شباب الجامعات، الذين هللوا لهذا التوجه الإسلامي عند الأديب الكبير[196].

"ودعا إلى بعث إسلامي طليعي، وإلى استئناف الحياة على أساس الإسلام ولهذا فسر القرآن الكريم تفسيرا جديدا في كتابه الضخم "في ظلال القرآن". وكان فيه صاحب مدرسة جديدة في التفسير، هي مدرسة التفسير الحركي لما أضافه من معاني وأفكار حركية وتربوية على تفسيره.

ودعا سيد قطب إلى العزلة الشعورية المتعلقة بإحساس المسلم ومشاعره، لا العزلة المادية الحسية المتعلقة بالأعضاء والجوارح ...

هذا و لم يصدر سيد قطب أحكام شرعية على الناس ولم يقم بتكفير الناس، ولذلك نجده يؤكد ذلك بقوله: 'إن مهمتنا ليست إصدار الأحكام على الناس، ولكن مهمتنا تعريفهم بحقيقة "لا إله إلا الله" لأن الناس لا يعرفون مقتضاها الحقيقي وهو التحاكم إلى شريعة الله'"[197]. وذلك رأي المستشار العقيل، غير أن الكثير من النقاد يرى غير ذلك. ومن هؤلاء الذين لا يشاطرون العقيل رأيه أحد المؤلفين الفرنسيين الذي يرى أن سيد قطب قد انحرف عن الخط الأصيل للإخوان المسلمين. إذ أن وصم المجتمع بالجاهلي "يعني أن أفراد المجتمع عامة ما عادوا مسلمين"[198]. وفي حين دافع كل من المرشد العام الثاني الهضيبي، ومن بعده المرشد العام الثالث الأستاذ

---

[196]) عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، ص 660.

[197]) **المصدر السابق**، ص 660.

[198]) Gilles Kepel, 2006. ***Jihad: The Trial of Political Islam***, Translated by Anthony F. Roberts. London-UK: I.B. Tauris & CoLtd, the 4th edition, pp 31-32.

عمر التلمساني[199]، وشقيقه محمد قطب[200]، ومعاصرته في السجن زينب الغزالي، والخالدي عن سيد قطب، وحاولوا جميعا دحض تهمة التكفير عنه، فإن بعض علماء الأزهر والوجوه القيادية التاريخية البارزة في الإخوان كالدكتور يوسف القرضاوي مثلا، تمسك بشدة أن هنالك نصوصا واضحة الدلالة على التكفير عند سيد قطب[201]. ونُشر ذلك على صفحات الشبكة العالمية للمعلومات تحت عنوان "كلمة أخيرة حول سيد قطب". وعلل ذلك بأنه ناجم عن البعد عن مخالطة الناس في السجن. وهي حياة غير طبيعية، ولو قدر له أن يعايش الناس في حياة طبيعية لتغيرت نظرته.

يقول الدكتور القرضاوي: "وأعتقد - والعلم عند الله - أن الشهيد، لو قدر الله أن ينسأ في أجله، ويعايش الناس في حياة طبيعية، ويتحدث إليهم ويسمع لهم، ويناقشهم ويناقشوه لغير رأيه فيهم، وعدل مما كتبه من قبل. فقد عرفنا من خلائقه: أنه كان رجلا صلبا في دين الله شجاعا في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يبالي أن يقول: أخطأت، فيما أخطأ فيه"[202].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

عقيدة سيد قطب عقيدة السلف الصالح وفكره فكر سلفي خالي من الشوائب، وتركز حول موضوع التوحيد الخالص وبيان المعنى الحقيقي لـ"لا إله إلا الله"، وبيان المواصفات الحقيقية للإيمان، كما وردت في الكتاب والسنة[203]. غير أنه اتهم بالشذوذ في تفسير كلمة التوحيد، فقد أورد ربيع بن هادي المدخلي، في واحد من أشهر كتبه، - والتي خصصها للطعن في عقيدة سيد قطب وفكره - عناوين صارخة،

---

[199]) عمر التلمساني، **ذكريات لا مذكرات**، 1985م، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر، ص 280-281.

[200]) محمد قطب، **مجلة الشهاب اللبنانية**، بتاريخ 25 شعبان 1395هـ، لبنان، العدد 5، السنة 9.

[201]) يوسف القرضاوي، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، ج 3، ص 56-58.

[202]) يوسف القرضاوي، **القرضاوي: كلمة أخيرة حول سيد قطب**. على الرابط:
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173694966860&pagename=Zone-Arabic-Shariah%2FSRALayout.
الكلمة كتبها حول السجال الذي دار حول ذكر سيد في مذكراته. وفيها عقد مقارنة بين حسن البنا وسيد قطب.
وانظر: يوسف القرضاوي، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، ج 3، ص 36.

[203]) عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، ص 660.

مثل: "شذوذ سيد في تفسير لا إله إلا الله عن أهل العلم"، وعنوان آخر "سيد وتكفير المجتمعات الإسلامية"[204]. واعتبر الخالدي كلام المدخلي وغيره ممن نحا نحوه، اتهامات قد توفرت فيها الأخطاء المنهجية في تعامل بعض النقاد والكتاب مع سيد قطب وفكره[205].

كما ركز في كتاباته حول مسألة الحاكمية، والولاء ليكون خالصا لوجه الله تعالى وحده.

واجه سيد قطب الجاهلية المعاصرة فيما كتب، وأظهر حقيقتها، وبين أنها ليست حالة فردية، بل يتحرك أفرادها ككائن عضوي بعضهم أولياء بعض، وطالب المجتمع المسلم بأن يواجه هذه الجاهلية بذات الخصائص، ولكن بدرجة أقوى وأعمق، حتى لا تقع الفتنة بظهور الفساد في البر والبحر.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ومن غياهب السجون، وفي فترة قمع نظام جمال عبد الناصر للحركة الإسلامية، عرف سيد القطب الجاهلية الحديثة[206]. فقد حدد العدو بوضوح، وهو كل نظام جاهلي، "ودعا بصراحة إلى إزالة تلك الجاهلية. ووسيلة تلك الإزالة هي الجهاد، الذي هو في الحقيقة دفاع عن العقيدة الإسلامية"[207]. كما دعا إلى العمل على بناء النظام الإسلامي على أنقاضها. كما عرف في بداية الفصل الخامس الذي حمل عنوان "الإسلام هو الحضارة"، كلا من المجتمع الإسلامي والمجتمع الجاهلي، حيث قال:

---

[204]) ربيع بن هادي المدخلي، **أضواء على عقيدة سيد قطب وفكره**، 1993م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة - السعودية.

[205]) انظر تفاصيل تلك الأخطاء المنهجية الستة في كتاب: صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 565-584.

[206]) Gilles Kepel, 2006. ***Jihad: The Trial of Political Islam***, p 31.

[207]) Yasien Mohamed, 2006. 'Muslim Fundamentalism: The Case Of Sayyid Qutb'. Presented at the conference 'Defining fundamentalism and religious conservatism in South Africa', Department of Religion and Theology, University of the Western Cape.

الإسلام لا يعرف إلا نوعين اثنين من المجتمعات ... مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي ..

المجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام .. عقيدة وعبادة، وشريعة ونظاماً، وخلقاً وسلوكاً .. و المجتمع الجاهلي هو المجتمع الذي لا يطبق فيه الإسلام، ولا تحكمه عقيدته وتصوراته، وقيمه وموازينه، ونظامه وشرائعه، وخلقه وسلوكه ..[208].

4-3 مؤلفاته.

ألف سيد قطب رحمه الله عددا كبيرا من المؤلفات، غلبت عليها الوجهة الأدبية من نقد وأدب وشعر وقصص في بداية حياته العلمية، ثم تحول بشكل جذري إلى العطاء الفكري الإسلامي، وهذا التطور يمثل التحول العميق في حياته المستمرة وسيرته[209].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ويرى الباحث أن سيد قطب رغم تأثره بالعقاد في الأدب والسياسة، حيث دافع عن آرائه الأدبية، كما انتمى كلاهما إلى الحزب السياسي ذاته (حزب الوفد)، واعتزله في ذات السنة التي اعتزل فيها العقاد، إلا أن ما يميز مؤلفاته أنها غادرت مواقع الكتابة من البروج العاجية المجردة عن الفعل. فقد دافع العقاد وكثيرون غيره عن الإسلام، ولكن من خلال الكلمة فقط ودون أن يتعدوها إلى العمل مع الجماهير والالتصاق بما يدعون إليه إلى حد التعبير العملي عن الاستعداد للتضحية بالنفس من أجله، وذلك أحد أسرار بقاء الكلمة حية. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ أحمد حسن في مقدمة كتاب "فقه الدعوة": "... ويسجل التاريخ أن سيد قطب سقى تربة الدعوة

---

[208]) سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص 105. وانظر تعريفا آخر للمجتمع الجاهلي في فصل لا إله إلا الله منهج حياة، ص88-89:

Sayyid Qutb, 1977. ***Milestones***. Kuwait: International Islamic Federation of Student Organizations, pp 93-140.

[209]) عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، ص 660.

بدمه وغذاها بفكره وأطعمها من وقته وأعصابه وراحته، لقد مات سيد قطب ولكن آثاره لم تمت، فقد خلف من بعده كتبا وآثارا ستبقى خالدة على مر التاريخ لأنه كتبها مرتين: مرة بمداد العالم، ومرة بدم الشهيد"[210].

وكان يرمي من وراء هذه الكتب أن ينقل الناس إلى جو القرآن من جديد بحيث يتذوقونه غضا طريا كما أنزل. واستطاع الرجل بأسلوبه العذب، وإدراكه العميق لما وراء الكلمات والحروف أن يكشف للناس أسرارا ومعاني لم يسبق إليها، وأن يضع المسلم في مناخ قرآني يشم عبيره ويستروح نسماته ويعيش - وهو في القرن العشرين - في ظلال القرآن حيث كان يكتب في مشكلات الساعة وقضاياها الملحة التي يعيشها الناس ويعانون من شرورها وآثامها. ووضع الحلول الصالحة التي يعتقد صوابها وجدواها.

ففي مواجهة شرور الشيوعية والرأسمالية كتب أعماله الثلاثة التالية: "العدالة الاجتماعية في الإسلام" و"السلام العالمي والإسلام" و"معركة الإسلام والرأسمالية". وفى مواجهة انحرافات الحضارة وأخطاءها كتب "الإسلام ومشكلات الحضارة".

وفى مواجهة العقائد والتصورات والمناهج الضالة كتب "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" و"هذا الدين" و"المستقبل لهذا الدين". وفى منطلقات العمل وخطواته الحركية كتب "معالم في الطريق"[211]، وهذا الأخير يعتبر الكتاب "الأكثر مبيعا في كل الوطن العربي"[212].

---

[210]) عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، ص 661.

[211]) للوقوف على سياق مؤلفاته انظر كتاب عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، ص 661-662.

[212]) Gilles Kepel, 2006. ***Jihad: The Trail of Political Islam***, p 26.

وهذا ثبت بتواريخ تأليفه لكتبه، لتعين على تتبع مراحل إنتاجه نوعا وكما. حسبما وردت في كتاب "عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)" بقلم: الشيخ الدكتور عبد الله عزام رحمه الله.

1- الأطياف الأربعة: 1945م. وقد كتبه بالاشتراك مع إخوته.
2- التصوير الفني في القرآن: 1945 م. (وللخالدي[213]، كما لإبراهيم أبو ربيع[214] تعليقات مفيدة على هذا الكتاب)
3- طفل من القرية: 1946م.
4- كتب وشخصيات: 1946م.
5- المدينة المسحورة: 1946م.
6- أشواك: مايو 1947م.
7- مشاهد القيامة في القرآن: 1947م.
8- النقد الأدبي (أصوله ومناهجه): 1948م.
9- العدالة الاجتماعية: 1949م[215]. (ومن التعليقات الجديرة بالإشارة إليها تعليق البروفيسير ياسين محمد[216] على هذا الكتاب؛ حيث اعتبره نقلة من الاهتمامات الأدبية المحضة إلى القضايا الاجتماعية في مصر. وكذلك تعليق كل من الخالدي[217] وإبراهيم أبو ربيع[218]).

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

---

[213]) صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 362-376.

[214]) Ibrahim M. Abu-Rabi', 1996. ***Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World***, p 103-106.

[215]) عبد الله عزام، **عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)**، ص 5.

[216]) Yasien Mohamed, 2006. 'Muslim Fundamentalism: The Case Of Sayyid Qutb'. Presented at the conference 'Defining fundamentalism and religious conservatism in South Africa', Department of Religion and Theology, University of the Western Cape.

[217]) صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 385.

[218]) Ibrahim M. Abu-Rabi', 1996. ***Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World***, p 109.

وفي مرحلة قمة نضجه السياسي كانت الكتب الإسلامية السياسية التي أصدرها في المرحلة التي سبقت دخوله السجن. أي من عام 1950م وهو تاريخ عودته من الولايات المتحدة حتى عام 1954م. وهذه الفترة وحدها كانت كافية لتكوين نضج سياسي لديه، و أكبر دليل على ذلك كتبه التالي ذكرها:

1- معركة الإسلام والرأسمالية: فبراير 1951م. (انظر تعليق الخالدي على هذا الكتاب، في كتابه: سيد قطب الأديب الناقد، والداعية المجاهد، والمفكر المفسر الرائد، ص: 396).
2- السلام العالمي والإسلام: أكتوبر 1951م. (انظر تعليق الخالدي على هذا الكتاب، في كتابه: سيد قطب الأديب الناقد، والداعية المجاهد، والمفكر المفسر الرائد، ص: 399).
3- دراسات إسلامية: 1953م[219]. (انظر تعليق الخالدي على هذا الكتاب، في كتابه: سيد قطب الأديب الناقد، والداعية المجاهد، والمفكر المفسر الرائد، ص: 404). (وانظر كذلك تعليق الخالدي على هذا الكتاب، في كتابه: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص: 549).

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

وقد تتبع الخالدي كتبه وعلق عليها وقدم لها ولخص فصولها في كتابه القيم، المشار إليه في الفقرة السابقة. وقال في سياق ذكر هذه الكتب الأربعة المذكورة آنفا: "والملاحظ أن كتبه الإسلامية الفكرية الأربعة التي كتبها قبل سجنه عام 1954م كتب صريحة عنيفة قوية، شديدة اللهجة، حادة الأسلوب، لأنه كان عاملا على إصلاح المجتمع، ومقاومة الفساد والطغيان، وحريصا على إزالة المظاهر الاجتماعية والسياسية السيئة"[220].

---

[219]) عبد الله عزام، **عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)**، ص 58. وقارن مع صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 404.

[220]) صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 406.

ودخل سيد السجن عام 1954م مع عدد من قادة الإخوان المسلمين، ثم أفرج عنه وعنهم بعد قليل، ثم عاد إلى السجن في العام نفسه 1954م. وذلك بعد حادث المنشية، حيث حكم بخمسة عشر عاماً من الأشغال الشاقة. وأفرج عنه في "مايو" من عام 1964م، بعد توسط الرئيس العراقي عبد السلام عارف، ثم أعيد اعتقاله في "أغسطس" عام 1965م، وقدم للمحاكمة، وتم إعدامه في 1966/8/29م. رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى.

ومن أهم مؤلفاته على الإطلاق تلك المؤلفات التي أصدرها وهو في السجن. حيث ضمنها زبدة تجربته وسعة اطلاعه، كما جاءت نبرة الكلام فيها أكثر حدة نظرا لظروف الاعتقال وطول مدته، ولما تخلله من وحشية في التعذيب. كما مثلت رجع صدى للظروف المحلية والدولية: مثل المد القومي الناصري وما رافقه من دعوات للاشتراكية، والعدوان الثلاثي على مصر (1956م)، حيث حل النفوذ الأمريكي - و"الرجل الأبيض" بتعبير سيد نفسه - كوريث للدول الاستعمارية في المنطقة. وبداية مظاهر الحرب الباردة بين أمريكا والإتحاد السوفياتي. وكان مما ألفه في فترة السجن تلك:

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

1- في ظلال القرآن.
2- هذا الدين.
3- المستقبل لهذا الدين.
4- خصائص التصور الإسلامي.
5- معالم في الطريق.
6- الإسلام ومشكلات الحضارة.

7- مقومات التصور الإسلامي، وقد صدر هذا الكتاب بعد إعدامه بوقت متأخر (20 سنة)[221].

ومن مؤلفاته ومقالاته التي لم تذكر فيما سبق وأتى على ذكرها حمدي عبد العزيز وغيره:

- كيف وقعت مراكش تحت الحماية الفرنسية؟
- الصبح يتنفس (قصيدة).
- قيمة الفضيلة بين الفرد والجماعة.
- حدثيني (قصيدة).
- الدلالة النفسية للألفاظ والتراكيب العربية.
- هل نحن متحضرون؟
- هم الحياة (قصيدة).
- وظيفة الفن والصحافة.
- شيلوك فلسطين أو قضية فلسطين.
- أين أنت يا مصطفى كامل؟
- هتاف الروح (قصيدة).
- تسبيح (قصيدة).
- فلنعتمد على أنفسنا.
- ضريبة الذل.
- أين الطريق؟ [222].
- نحو مجتمع إسلامي[223].

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

---

[221]) مقال مجددون معاصرون في مجلة البيان ورد - بدون إحالة مفصلة - ملحقا لكتاب عبد الله عزام، **عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)**، وانظر صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 427.

[222]) حمدي عبد العزيز، سيد قطب .. الأديب والمصلح الاجتماعي، على الرابط:
http://www.islamonline.net/arabic/famous/2000/12/article3.shtml

- قصص الأنبياء.
- الشاطئ المجهول.
- حلم الفجر.
- قافلة الرقيق.
- نقد مستقبل الثقافة في مصر.
- في التاريخ فكرة ومنهاج[224].
- أفراح الروح.
- أمريكا التي رأيت.
- دراسات إسلامية.
- لماذا أعدموني؟
- فقه الدعوة[225].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

وقد اتسمت كتابات سيد قطب بالعديد من الخصائص والمميزات التي تزيد عن العشرين خصلة. وأهمها القوة والتحدي والشمول والخلود والمستقبلية ... إلخ[226]. كما أنها تعكس سعة إطلاعه التي حدثنا عنها حيث قال:

> إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة. كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية .. ما هو من تخصصه وما هو من هواياته .. ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره . فإذا هو يجد كل ما

---

[223]) من هنا وإلى نهاية القائمة انظر النهضة نت، الشهيد "سيد قطب"، نقلا عن: إخوان أون لاين، 2003م. على الرابطين:
http://www.hamasna.com/SS.HTM, و http://nahdha.net/library/qutb.htm

[224]) هذا الكتاب لسيد قطب قد اطلع عليه الباحث، ولم يذكر فيما سبق من المراجع، وقد أثبته أحمد موصلي في ثبت مراجع كتابه، انظر:
Ahmad S. Moussalli, 1992. ***Radical Islamic Fundamentalism: The Ideological and Political Discourse of Sayyid Qutb***, p 247.

[225]) Ahmad S. Moussalli, 1992. ***Radical Islamic Fundamentalism: The Ideological and Political Discourse of Sayyid Qutb***, pp 247-248.

[226]) يوسف العظم، **رائد الفكر الإسلامي المعاصر، الشهيد سيد قطب**، الطبعة الأولى، 1400هـ / 1980م، دار القلم، دمشق - سورية، ص 193-201.

قرأه ضئيلاً ضئيلاً إلى جانب ذلك الرصيد الضخم - وما كان يمكن أن يكون إلا كذلك - وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره . فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها، وعلى انحرافها، وعلى ضآلتها، وعلى قزامتها ... وعلى جعجعتها وانتفاشها، وعلى غرورها وادعائها كذلك!!![227].

ولا شك أن الغزارة الواضحة والتنوع الملحوظ في أعمال سيد قطب، يعد دليلا لا مراء فيه ولا جدال على تنوع جوانب ملكاته المختلفة، أديبا، وقاصا، وشاعرا، ومفكرا، ومؤلفا إسلاميا، وداعية[228]. واجتماع تلك الملكات إلى جانب راديكالية خطابه وقطعه مع الروح الطوباوية - التي غلبت على الخطاب القومي حينها - قد لعب دورا هاما في اجتذاب العديد من القراء الشباب في السبعينيات[229] وما تلاها. ومن ثم فقد أخذت كلماته طريقها إلى التنفيذ من خلال محاولات المتحمسين من الشباب؛ فحافظت كلماته على الحياة التي بثها فيها كاتبها، فلم تمت بإعدامه. بل مثل إعدامه العنصر الأساس في بقائها.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

5-3 وفاته

سبقت الإشارة إلى أنه قُدم للمحاكمة يوم 1954/11/22م، وحكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة خمسة عشر عامًا، وأُفرج عنه بعفو صحي عام 1964م[230].

وأوشكت المحنة على الانتهاء، غير أنه عندما قبض على أخيه محمد قطب يوم 1965/7/30م، بعث سيد قطب برسالة احتجاج إلى المباحث العامة؛ فقبض عليه

---

[227]) سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص 131.

[228]) لمزيد التوسع يمكن الرجوع إلى المراجع التالية: "**الشهيدان**" للأستاذ صلاح شادي، و"**سيد قطب بين العاطفة والموضوعية**" للمستشار سالم البهنساوي، و"**الموسوعة الحركية**" إشراف الأستاذ فتحي يكن، و"**سيد قطب حياته وأدبه**" للأستاذ عبد الباقي محمد حسين.

[229]) Gilles Kepel, 2006. ***Jihad: The Trail of Political Islam***, p 26.

[230]) النهضة نت، الشهيد "سيد قطب"، نقلا عن إخوان أون لاين، 2003/08/29م. على الرابطين:
http://nahdha.net/library/qutb.htm و http://www.hamasna.com/SS.HTM,

هو الآخر في 1965/8/9م. وقدم مع كثير من الإخوان للمحاكمة، وحكم عليه وعلى 7 آخرين بالإعدام، ونفذ فيه الحكم في فجر الإثنين الموافق 1966/8/29م[231]. وفي حين "نشر الخبر في الصفحات الداخلية للإعلام العالمي"، وربما نُسي سريعا من قبل البعض، غير أن الإعدام كان له رمزيته في الصراع بين القوميين العرب؛ الذين اعتبر سيد قطب دولتهم جاهلية[232]، والإسلاميين؛ الذين كان سيد منظرهم بامتياز منذ مطلع الخمسينات وحتى وفاته في منتصف الستينات.

ومن كتابيه "في ظلال القرآن"، و"معالم في الطريق"؛ أشهر كتبه وأكثرها تعبيرا عن خلاصات وعصارة فكره، كان اقتباس النص موضوع البحث والدراسة في الفصل التالي.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

[231]) حمدي عبد العزيز، سيد قطب .. الأديب والمصلح الاجتماعي، الرابط:
http://www.islamonline.net/arabic/famous/2000/12/article3.shtml

[232]) Gilles Kepel, 2006. ***Jihad: The Trail of Political Islam***, p 25.

الفصل الرابع

الجهاد عند سيد قطب
تحرير أم إرهاب

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

1-4 توطئة

في ضوء الإرث الضخم والأعمال الهائلة حول الجهاد وسيرة سيد قطب وأعماله، يتساءل المرء لماذا لا نزال في حاجة إلى مناقشة مقاربة الجهاد عند سيد قطب، وتناولها بالدراسة والتمحيص؟ غير أن سجالا فكريا قد طغى على الساحة، حتى جعل من موضوع الجهاد وشخصية سيد قطب إشكالية جدلية ومعضلة يصعب الاتفاق حولها.

إذ أن الباحث والمطلع على الأدبيات المتوفرة، بقصد محاولة فهم الجهاد، يصل إلى نتيجة مفادها؛ أنه كلما حاول زيادة الفهم، كلما ازداد قناعة أن "كلمة 'الجهاد' هي أكثر الكلمات التي فهمت خطأ"[233]. والواقع شاهد على أن الجهاد قد غدا القضية الأكثر إلحاحا وحساسية، ضمن الجدل والمساجلات الدائرة حول علاقة المسلمين بغير المسلمين. وازداد الأمر إلحاحا، خاصة بعد إعلان تدشين ما أصبح يعرف بـــ "الحرب على الإرهاب" (War On Terror).

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ثم إن الجهاد - بمفهومه الشرعي الأصيل أو المشوه - قد اعتبر القاعدة الأيديولوجية لأحداث 2001/9/11م من قبل قادة البيت الأبيض، وكذلك في خطابات بعض الجماعات التي توسم بالعنف والتطرف في صفوف أتباع الدين الإسلامي. ففي خطابه الموجه بمناسبة مرور خمس سنوات على تلك الأحداث، تحدث الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن قائلا: "منذ رعب 9/11 تعلمنا الكثير عن العدو. لقد تعلمنا أنهم أشرار ويقتلون بدون رحمة، ولكن ليس من دون هدف. تعلمنا أنهم

[233]) Azzam Tamimi, 2006. 'Jihad: The Most Misunderstood Word.' Presented at the Conference, 'Jihad in Islam: Theology and Politics'. Muslim Educational Centre of Oxford, Oxford University, 13 May. Unpublsihed Paper. [Online] Available. http://www.meco.org.uk/conference.htm.

يشكلون شبكة عالمية لمتطرفين انساقوا وراء رؤية منحرفة للإسلام: أيديولوجية شمولية، تكره الحرية، وترفض التسامح، وتحتقر كل معارضة "[234].

وفي حين اعتبر بوش الإبن ما حدث انسياقا وراء رؤية منحرفة للإسلام، فإن بعض الباحثين الغربيين المعاصرين - من غير المسلمين كذلك - يصر على أن رد الجماعات الإسلامية المنخرطة في الجهاد يتفق مع مفهوم الجهاد كما ورد في الآثار الإسلامية[235]. إذ يرى David Cook مثلا أنه: "من وجهة نظر محايدة، فإن الحركات الجهادية المعاصرة، إنما هي شرعية كشرعية غيرها مما وجد قديما في الإسلام. وذلك باستثناء قضية واحدة، ألا وهي إغفالها وجوب قيام الخلافة ..."[236].

وفي مقابل ذلك الانقسام في التقويم في العالم الغربي، فإن المسلمين أنفسهم قد انقسموا فيما بينهم حول قراءة ما حدث صبيحة أحداث 2001/9/11م. ويمكن رصد اختلافاتهم وتقسيمها إلى ثلاث مجموعات مع شيء من التجاوز في التفاصيل على الوجه التالي:

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

* المجموعة الأولى: اعتبرت الأحداث فعلا شرعيا. وأحسن ممثل لهذة المجموعة هم الجماعات الجهادية العالمية، التي استندت إلى تأويلاتها لمفهوم الجهاد، وانتصبت للدفاع عن شرعية ما حصل. فحسب سليمان أبو غيث، المتحدث الرسمي باسم القاعدة، فإن ما حدث لأمريكا كان أمرا طبيعيا[237]؛ حيث أن العديد من الأمم

---

[234]) CNN. 2006. Bush: A war unlike any we have fought before. 11 September 2006.
http://www.cnn.com/2006/POLITICS/09/11/bush.transcript/

[235]) David Cook, 2005. ***Understanding Jihad,*** p 164.
& Mark Gould, 2005. Understanding Jihad. ***Policy Review***, 129.

[236]) David Cook, 2005. ***Understanding Jihad,*** p164.
والجمهور على اعتبار الرجوع إلى الخليفة، وإن كان بعض الفقهاء ومنهم ابن حزم لا يراه واجبا ثابتا بكتاب الله، عند الهجوم ومن باب أولى عند الدفاع. انظر: حسن أيوب، **فقه الجهاد في الإسلام**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر، ص 40.

[237]) David Cook, 2005. ***Understanding Jihad,*** p 189.

والشعوب قد ذاقت طعم الطغيان والإرهاب والظلم الأمريكي. ويمضي قائلا في هذا الصدد:

> أبعد كل هذا، يذرف البعض دموع التماسيح على ما جرى لدولة الكفار، ويحاول أن يبرّئ الإسلام مما حدث لتلك الدولة، ويناشدها أن تكون متعاطفة ولطيفة في معاملتها للمسلمين. ويرسل المبعوثين والخطابات للمجاهدين، طالبين منهم إيقاف منازلتهم للسفهاء!! فهل حقا يتوقعون منا ذلك؟!![238].

* المجموعة الثانية: التي جاء موقفها في سياق رد الفعل على موقف البيت الأبيض، فقد دافعت عن الجهاد في مقابل حملات التشويه لصورة الإسلام والمسلمين ولمفهوم الجهاد في وسائل الإعلام الغربية. ومع ذلك، فلم تقبل بشرعية أحداث 2001/9/11م، ودافعت عن الجهاد باعتباره وسيلة للمقاومة. وهو بهذا الوصف مشروع بقوانين الأرض والسماء، حيث أن الحرب والاحتلال قد تم نقلهما إلى ديار المسلمين وأراضيهم. بيد أن هذه المجموعة قد نأت بنفسها عن منفذي أحداث 2001/9/11م. ثم اتهمتهم بالغباء والحماقة، واعتبرتهم في تناقض جلي مع مفهوم الجهاد في الإسلام، والتشريعات الإلهية السمحة التي لا تبيح قتل المدنيين الأبرياء. بل ذهب بعض المفكرين في هذه المجموعة أبعد من ذلك واعتبر ما حدث عملا إرهابيا. فقد كتب رئيس حركة النهضة التونسية مبينا الانعكاسات السلبية لتلك الأحداث على الإسلام في الغرب، ومما أورده في هذا الصدد قوله:

> أما أعمال الإرهاب التي خطط ويخطط لها من لا فقه لهم ... فهي الحماقة التي قد تصل مبلغ الجناية. وبمقياس مبادئ الإسلام وأخلاقياته في الجهاد، فإن مثل هذا القتل العشوائي وإزهاق الآلاف من الأرواح ممن ليست طرفا مباشرا في الحرب على الإسلام، يعد عملا مخالفا للشرع ولا يندرج تحت مسمى الجهاد[239].

---

[238]) David Cook, 2005. ***Understanding Jihad***, p 192.

[239]) راشد الغنوشي، انعكاسات 11 سبتمبر على الإسلام في الغرب، 2003م. الرابط:

ومن بين هذه المجموعة من يرى أن الجهاد إنما شرع لغرض وحيد؛ هو الدفاع (والدفاع فقط)، أي لدفع الظلم ودحر العدوان. والأستاذ الدكتور- البروفسور- محمد سعيد رمضان البوطي من جامعة دمشق، خير ممثل لهذا الاتجاه في كتابه المثير للجدل[240]، "الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟". فقد حاول البوطي أن يؤطر خطابه فيما يتعلق بمسألة القتال المشروع من أجل أن تتوافق مع القوانين والمعايير المعاصرة[241]. فالجهاد، حسب قوله: "إنما شرع دفاعا عن شيء موجود"[242] (الأرض، والدولة أو النظام) ضد العدوان. و"لم يشرع يوما ما لإيجاد هذا الحق أو هذه الثروة من العدم"[243]. وهذه النظرة للجهاد يشاركه فيها نخبة من المفكرين العرب وغيرهم، ولا سيما أولئك الموجودين في الغرب ممن يكتبون لغير العرب من القراء. حيث تشمل قائمتهم علماء وأعلاما بارزين في الفكر والثقافة[244].

وقد انتُقد كتاب هذا العالم والمفكر السوري محمد سعيد رمضان البوطي، بشكل خاص لتأكيده على أن "(جهاد الدعوة) فوق (جهاد القتال) وأعلى شأنا"[245].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

* المجموعة الثالثة: أسست موقفها على أفكار سيد قطب وغيره من العلماء، الذين قالوا إن الجهاد في الإسلام "لم يكن حركة دفاعية - بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح "الحرب الدفاعية" كما يريد المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين الماكر أن يصوروا حركة الجهاد في الإسلام - "[246].

---

http://www.islamonline.net/Arabic/Daawa/2003/09/article09.shtml

[240]) David Cook, 2005. ***Understanding Jihad***, p 123.

[241]) Ibid. p 123.

[242]) محمد سعيد رمضان البوطي، **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟** ص 196.

[243]) **المصدر السابق**، ص 197.

[244]) انظر ما كتبه الدكتور جمال بدوي، مثلا.

[245]) محمد سعيد رمضان البوطي، **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟** ص 20 و21 و46 و291.

[246]) سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص 64.

إن هذا الفريق يعترف بأن الدفاع أمر ضروري وواجب، ولكنه يوسع مجال أسباب الجهاد ودواعيه، لتشمل مجالات أخرى، وهي عنده ضرورية جدا بسبب طبيعة الدين الإسلامي ذاتها. فهذا الفريق يجادل قائلا: إن "طبيعة الإسلام ذاتها، هي أنه إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد، وتقرير ألوهية الله وحده وربوبيته للعالمين"[247].

ثم "إن من طبيعة الوجود الإسلامي ذاته أن يتحرك إلى الأمام ابتداء لإنقاذ الإنسان في الأرض من العبودية لغير الله، ولا يمكن أن يقف عند حدود جغرافية، ولا أن ينزوي داخل حدود عنصرية، تاركا الإنسان .. نوع الإنسان .. في الأرض .. كل الأرض .. للشر والفساد والعبودية لغير الله"[248].

هذه المجموعة الأخيرة تجد لها أحسن تمثيل وأفضل صدى في فكر وحياة المفكر الإسلامي المصري سيد قطب، الذي ولد في بداية القرن العشرين، وصدع بآرائه حول الجهاد في الإسلام في النصف الثاني من ذات القرن. ولكن أعماله تلك لا تزال تقوم بدور هائل في نحت وتشكيل فهم الكثيرين للجهاد وممارساتهم له في القرن الحادي والعشرين.

والسؤال الملح الذي لا يزال يبحث عن الجواب الشافي والكافي هو: أين تلتقي تلك المقاربات والتقويمات مع الرؤية الشرعية للجهاد ومفهومه الحقيقي؟ وهل أن ما حدث جهاد مشروع أم إرهاب مذموم وانحراف عن رسالة الجهاد في الإسلام وغاياته ووسائله؟

---

[247]) سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص 65.
[248]) **المصدر السابق**، ص 78.

في البحث عن تلك الإجابات من مظانها تكمن أهمية الموضوع وحيويته فيما يتعلق بالجهاد. ولكن هل تزداد تلك الأهمية والحيوية إذا تعلق الأمر بمقاربة سيد قطب بالذات؟

إذ لماذا مقاربة سيد قطب بالذات؟ لماذا هو وليس غيره، في حين أنه لم يكن طرفا في أحداث 2001/9/11م أو حتى مراقبا لها من وراء ستار!! تلك الأحداث التي دفعت بالجهاد إلى بؤرة التركيز تحت الأضواء في مطلع فجر القرن الحادي والعشرين؟

الجواب يأتي من الكتاب والنقاد والمحللين المعاصرين، الذين يعتبرون سيد قطب، وهو الرفات في قبره، الرجل الذي ألهم أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، و"أبا الأصولية الإسلامية الحديثة[249]" عامة، وأبا الجماعات الجهادية على وجه أخص. فقد عدت مؤلفاته توفيرا للخلفية الفكرية للأصولية الإسلامية[250].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ويستحق سيد قطب الاهتمام من زوايا أخرى، نجملها في ما يلي من النقاط:

* أولا: من أقدر منه على مواجهة المقاربات الاعتذارية والخطاب الانهزامي السائد هذه الأيام عند بسط هذا الموضوع ومناقشته؟

* ثانيا: من أكثر منه تأثيرا فيما يتعلق بفكر وعقيدة جيل الشباب المسلم، وخاصة فيما يتعلق بإعادة بث الوعي بثقافتهم واكتشاف المفاهيم الإسلامية الأساسية؟ فوفقا لبسام الطيبي، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة Gottingen، فإن كتاباته "يمكن

[249]) Robert Irwin, 2001. Is this the man who inspired Bin Laden? ***The Guardian***, 1 November 2001.
http://www.guardian.co.uk/g2/story/0,3604,584478,00.html

[250]) Mark Hartwig, no date. ***Spread by the Sword?***
http://www.answering-islam.org/Terrorism/by_the_sword.html

مقارنتها، من حيث الانتشار والتأثير، ببيان الحزب الشيوعي"[251]. وقد كان قطب أيضا عضوا شهيرا وقائدا رمزا في أحد أكبر وأعظم الحركات الإسلامية، وهي ذات حضور مؤثر على جميع المستويات في العالمين: الإسلامي، والدولي. تلك هي جماعة الإخوان المسلمين، التي لا تزال تمارس تأثيرا كبيرا في استراتيجيات الحركة الإسلامية في معناها الأوسع.

* ثالثا: من أجدر بالحديث عن الجهاد، والدفاع والمحاماة نيابة عن الشعوب المظلومة، والانتصار لمظلمتها، ممن قضى أكثر من عقد كامل من عمره في سجون الظلم؟ فكانت كتاباته من الخندق وساحات القتال، لا من الأبراج العاجية، مما زاد من رصيد الصدق في لهجته وواقعيتها. فعلى حد تعبير أحمد مصلي فقد:

> وضع إعدامه عليه اللمسات الأخيرة للتضحية والإخلاص، لأنه يفترض في أولئك الذين يموتون من أجل قضية، أن معتقداتهم لا يمكن التشكيك فيها. ثم إن مقام الشهادة في الإسلام هو واحد من أسمى وأعلى درجات الإيمان والعبادة؛ وقطب في عيون الأصوليين وغيرهم، قد دفع ثمن ما آمن به[252].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

* رابعا: من ذا الذي يمكن أن يباري قطب وهو يتحدث عن الجهاد باعتباره سبيلا لتحقيق السلام العالمي، ونشر رسالة الإسلام - (الإسلام الذي يعني لغةً السلام، والاستسلام الطوعي الحر لإرادة الله وسلطانه وأوامره) - ودعوته؟ وهو الذي عايش الحربين العالميتين الأولى والثانية وراعه شقاء الإنسانية - حينها - وما ذاقت من ويلات البؤس والحرمان.

---

[251]) Mark Hartwig, no date. ***Spread by the Sword?*** http://www.answering-islam.org/Terrorism/by_the_sword.html

[252]) Ahmad S. Moussalli, 1992. ***Radical Islamic Fundamentalism: The Ideological and Political Discourse of Sayyid Qutb***, p 244.

ونتيجة لذلك الرصد، وشوقا منه لرؤية عالم خال من الظلم والجور، مليء بالعدل والسلام، فقد كتب أعماله ليقدم الخلاص للبشرية التائهة الحائرة، في "العالم البائس المكدود، الذي دفعته حضارته المادية الخاوية من الروح، إلى حربين عالميتين في ربع قرن من الزمان؛ والذي ما زال يتخبط في طريقه إلى حرب ثالثة تنذر حضارته كلها بالبوار"[253]. فكتابه "السلام العالمي والإسلام" يمكن أن يعد ستارا خلفيا لما كتب لاحقا عن الجهاد. إذ أن السلام والجهاد - عند سيد قطب - إنما هما مفهوما صنوان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر بحال.

* خامسا: إن ما سطره سيد قطب من "النقد الفلسفي العميق للقوتين العظميين في حياته (الولايات المتحدة الأمريكية، والإتحاد السوفيتي)، كان ولا يزال ذو فعالية إلى اليوم، حيث يشهد العالم آثار الأعمال الجامحة للقوى الغربية أمريكا وأوروبا"[254].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

* أخيرا: من يماثله أو يدانيه، وهو الذي جمع في مقاربته بين السلفية والإحياء الإسلامي المعاصر؛ حيث استند إلى علمين بارزين شهيرين يمثلان تلكما المدرستين في الفكر الإسلامي؛ ابن القيم والمودودي (1903م - 1979م). وكلاهما مؤسسان بارزان، والمدرستان بدورهما تشكلان جزءا من هذا الطيف السياسي في حاضر العالم الإسلامي. وعلاوة على ذلك، ما زالت أعمالهما مصدر إلهام عند أتباعهما، بل حتى لدى غيرهم. فأما ابن القيم فمحقق ومدقق، لا يضاهى في أسلوبه. وأما المودودي فقد نجح في قيادة تحول كبير في شبه القارة الهندية عموما.

---

[253]) سيد قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، الطبعة الشرعية الثالثة عشر: 1413هـ / 1993م، دار الشروق، القاهرة - مصر / بيروت - لبنان، ص 19.

[254]) Luke Loboda, 2004. ***The thought of Sayyid Qutb***. Ashbrook Statesmanship Thesis. Recipient of the 2004 Charles E. Parton Award.
http://www.ashbrook.org/publicat/thesis/loboda/loboda.pdf

وهكذا، تزداد أهمية مقاربة قطب باعتبارها مزيجا لأفكاره مع أفكار أولئك الأعلام المؤثرين والوجوه البارزة، لتضاف إلى رصيده الذاتي الذي يحدثنا عنه أبو ربيع قائلا: "... ومن الضروري أن نسأل من هو سيد قطب! هل كان مؤلفا، أم كاتبا، أم ناقدا، أم مفكرا، أم منظرا، أم هو كل ما ذكر أعلاه؟ وليس ثمة ريب أنه في الخمسينات، كان في الواقع، كل ما ذكر أعلاه"[255].

إضافة لما سبق ايراده حول أهمية الموضوع فإن الباحث لديه قناعة راسخة أنه بالرغم من غزارة ما كتب، فلا يزال مجال كبير لإعادة التحليل والمقارنة لما ورد في مقاربة قطب مع المقاربة المعيارية الأصيلة التي يجب أن تُردّ إليها كل المقاربات باعتبارها الفرقان في معرفة مدى موافقتها للتشريع المعصوم؛ كتابا وسنة.

ويجادل الباحث أن اتهام سيد قطب بأنه داعية إرهاب وقتل للأبرياء، اتهام باطل؛ لا تسنده الأدلة ولا يقوم على بينة ولا برهان. ومنشأ ذلك الاتهام أو ما هو من قبيله ليس إلا بسبب تأويل كلماته أو إيرادها منتزعة عن سياق ورودها سواء في النصوص أو ضمن الأحداث التي أحاطت بها وملابساتها. كما أن العديد من الكتاب المعاصرين قد أغفلوا التحولات والتطورات الحاصلة في أفكاره وآرائه.

والباحث يلتزم بأن يعتمد منهجية نقدية معتدلة، تتوفر على قواعد سليمة في النقد والتحليل، كتلك التي رسم معالمها المستشار سالم البهنساوي الذي خط قواعد النقد في كتابه "فكر سيد قطب في ميزان الشرع". وعلى رأس تلك القواعد اعتبار السياق الذي عايشه سيد قطب، وتأثر به، والتوفيق بين ما يبدو متعارضا من آرائه، وتجنب أي أحكام مسبقة ... إلخ.

---

[255]) Ibrahim M. Abu-Rabi', 1996. ***Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World***, p 163.

كما أن الباحث سيتعامل مع سيد قطب بطبيعته البشرية، بعيدا عن التقديس وادعاء العصمة. ودون استنقاص لقدره، ولا إطراء ومدح مجاني له. وبهذا سيتجنب الباحث الوقوع في فخ القراءة الانتقائية التي تسير خلف نية مبيّتة في نفس القارىء، وغض النظر عما تنطق به النصوص في سياقاتها.

فلستَ براء عيب ذي الود كله ***** ولابعض مافيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ***** ولكن عين السُخط تبدي المساويا[256]

وبدلا عن ذلك سيعرض دراسة نقدية شاملة ودقيقة؛ تحقق وتفحص مقاربة سيد قطب للجهاد كما وردت في أعماله. مع استصحاب تأثر تلك المقاربة بما سبق بيانه في الفصل الثالث من سياق حياته الشخصية، والظروف التي أحاطت به محليا وعالميا.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

2-4 دواعي اختيار النص والتعريف به

سبقت الإشارة في التمهيد إلى أن اختيار النص موضوع الدراسة في هذا الفصل يعود إلى وروده مكررا في تفسير سيد قطب "في ظلال القرآن" وفي كتابه "معالم في الطريق". وهما أكثر كتبه تعبيرا عن خلاصات وعصارة فكره، حيث أن ذلك من آخر ما كتب ونقح وأخرج للناس من وراء القضبان في السجن في آخر مراحل حياته. وهما كذلك، أكثرها تداولا وطبعات، وترجمة إلى معظم لغات العالم[257]. بل ترجمت حتى من قبل علماء غير سنة[258].

[256]) قائل البيتين: عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
[257]) عبد الله عزام، **عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)**، ص 60.
[258]) Zafar Bangash, 1999. Remembering Sayyid Qutb, an Islamic intellectual and leader of rare insight and integrity. [Online]. Available http://www.youngmuslims.ca/online_library/books/milestones/remember.asp

أ- التقديم المادي

إن النص الذي اختاره الباحث ليركز عليه أضواء التحليل والنقد، هو عبارة عن كل مقدمة تفسير سورة الأنفال إلا قليلا[259] من مؤلفه "في ظلال القرآن" بالمجلد الثالث، ويمتد لأكثر من عشرين صفحة من الحجم الكبير(A4)، من الطبعة الشرعية الثالثة والثلاثين، الصادرة سنة 1425هـ / 2004م، عن دار الشروق بمصر ولبنان. كما أنه الفصل الرابع بعد المقدمة من كتابه "معالم في الطريق" تحت عنوان "الجهاد في سبيل الله". ويقع في الصفحات ما بين (62-91)[260] في النسخة العربية لدار الشروق الصادرة سنة 1980م.

وأما "معالم في الطريق" في نسخته الإنجليزية التي نشرها الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية سنة 1397هـ / 1977م، فجاء تحت عنوان "***Milestones***". ويقع فصل "الجهاد في سبيل الله" في أكثر من خمسين صفحة من الحجم المتوسط (حوالي 12سم x 17سم)[261].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ب- التقديم الموضوعي

يعتبر كتاب "معالم في الطريق" منهجا تربويا في منطلقات العمل وخطواته الحركية، موجها إلى البعث الطليعي الذي نادى سيد بقيامه ليقود البشرية. إذ لا بد لهذه الطليعة من معالم في الطريق؛ معالم تعرف منها طبيعة دورها، وحقيقة وظيفتها، وصلب غايتها، ونقطة البدء في الرحلة الطويلة[262].

---

[259]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1429-1453.
[260]) سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص 55-82.
[261]) Sayyid Qutb, 1977. ***Milestones***, pp 93-140.
[262]) Sayyid Qutb, 1977. ***Milestones***, p 17.

لهذه الطليعة المرجوة المرتقبة كتب سيد قطب "معالم في الطريق". وقسمه إلى 12 فصلا بعد المقدمة؛ منها أربعة فصول مستخرجة من كتابه "في ظلال القرآن" مع تعديلات وإضافات مناسبة لموضوع كتاب المعالم. ومنها ثمانية فصول ... مكتوبة في فترات ... وهي في مجموعها تمثل المجموعة الأولى التي كان صاحبها يرجو أن تتبعها مجموعة أخرى أو مجموعات[263].

وقد جاءت فصول المعالم على النحو التالي:

- مقدمة
- جيل قرآني فريد
- طبيعة المنهج القرآني
- نَشأة المُجتَمع المُسْلِم وَخَصَائِصُه
- الجهاد في سبيل الله
- لا إله إلا الله منهج حياة
- شَرِيعَةٌ كـونية
- الإسلام هو الحضارة
- التصور الإسلامي والثقافة
- جنسية المسلم عقيدته
- نقلـــةٌ بعيـــدة
- استعلاء الإيمان
- هذا هو الطريق

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

[263]) Ibid, p 18.

وانظر، سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص 10.

ت- أهم الإشكاليات والمفاهيم

- ❖ الدعوة إلى بعث إسلامي طليعي، وإلى استئناف الحياة على أساس الإسلام.
- ❖ بيان المعنى الحقيقي لِــ "لا إله إلا الله"، ومقتضاها والمواصفات الحقيقية للإيمان.
- ❖ بيان معالم و منطلقات العمل وخطواته الحركية نحو استلام قيادة البشرية.
- ❖ نقل الناس إلى جو القرآن من جديد، بحيث يتذوقونه غضا طريا كما أنزل.
- ❖ الدعوة إلى العزلة الشعورية.
- ❖ التركيز على مسألة الحاكمية والولاء ليكون خالصا لله - تعالى - وحده.
- ❖ مواجهة الجاهلية المعاصرة، وإظهار حقيقتها، وبيان أنها ليست حالة فردية.
- ❖ مطالبة المجتمع المسلم بأن يواجه هذه الجاهلية بذات الخصائص، ولكن بدرجة أقوى وأعمق، حتى لا تقع الفتنة بظهور الفساد في البر والبحر.
- ❖ تقديم تعريف خاص للمجتمع الجاهلي بأنه "كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده، متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي وفي الشعائر التقليدية وفي الشرائع القانونية"[264].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

والباحث ينبه إلى أن سيد قطب قد أعدم رحمه الله قبل أن يبين آراءه حول نقطة خطيرة، ولا شك أنها تمثل نقطة الضعف في نظريته، والتي تكمن في عدم تقديمه إجابة واضحة ودقيقة ومفصلة للسؤال التالي: كيف يمكن إعادة إنتاج تجربة الجيل القرآني الفريد من قبل الطليعة في سياق القرن العشرين؟ وقد أشار الكاتب الفرنسي Gilles Kepel إلى نحو هذه النقطة في كتابه حول الجهاد[265].

---

[264]) Sayyid Qutb, 1977. ***Milestones***, p 148.
وانظر: عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، ص 660.
[265]) Gilles Kepel, 2006. ***Jihad: The Trail of Political Islam***, pp 26 – 27.

3-4 طبيعة الجهاد من طبيعة الدين

يقول سيد قطب في مقدمته الطويلة لسورة الأنفال في تفسيره "في ظلال القرآن"، تلكم المقدمة التي غطت أكثر من أربعين صفحة من الحجم الكبير؛ (الصفحات من1429 وإلى 1469): "هذه السورة نزلت في غزوة بدر الكبرى. وغزوة بدر - بملابساتها وبما ترتب عليها في تاريخ الحركة الإسلامية وفي التاريخ البشري جملة - تقوم معلماً ضخماً في طريق تلك الحركة وفي طريق هذا التاريخ"[266].

والكاتب بهذا يهيئ القارىء ويضعه في الجو العام للسورة ويربط ذهنه بتاريخ الحركة الإسلامية بل بتاريخ البشرية عامة. فيتلقى من ثم مستحضرا لأبعاد هي أبعد من الحديث العابر عن حدث وقع في التاريخ[267]. وربما يقرأ طلبا للتسلية والترفيه أو المران الفكري على أحسن الفروض. فسيد قطب يشحذ ذهن المتلقي من البداية بالربط بين الملابسات في هذه الغزوة وما يترتب عليها؛ فهي قراءة تستهدف ما يترتب عليها حركة وفعلا، بعد فهم عميق ودراسة تتطلب العبر والدروس لتتنزل واقعا، فيكون لذلك الفهم الأثر الملموس في عالم الأفعال. وليس مجرد ترف فكري يقف عند الأقوال لا يتعداها.

ثم يصف غزوة بدر بملابساتها ونتائجها بأنها "تقوم معلما ضخما"، وقد كانت كلمة معلم كافية لوحدها لإبراز قيمتها كمحطة هامة؛ علامة دالة على الطريق ولكنه يسِمُها بالضخامة ليزيد المَعْلم جلالة وعظمة وضخامة.

ثم إنه بهذه التوطئة أوضح أحد معالم نهجه في النقد والتحليل. إنه وضع الأشياء في سياقاتها وتناولها بملابساتها وحيثياتها ضمن مسار عام وشامل. وذلك نهج قد طبقه

---

[266]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1431.

[267]) Ahmad S. Moussalli, 1992. ***Radical Islamic Fundamentalism: The Ideological and Political Discourse of Sayyid Qutb***, p 241.

في كتبه السابقة لهذا النص كـ"العدالة الاجتماعية في الإسلام"؛ الذي ألفه عام 1948م وصدر عام 1949م[268]، كما طبقه في كتبه اللاحقة، بل حتى آخرها وهو كتاب "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته"؛ والذي صدر جزؤه الأول عام 1962م[269]. فاسمع إليه وهو يتحدث عن طبيعة العدالة الاجتماعية في الإسلام حيث يقول: "لن ندرك طبيعة العدالة الاجتماعية في الإسلام حتى ندرك مجملا للتصور الإسلامي عن الألوهية والكون والحياة والإنسان. فليست العدالة الاجتماعية إلا فرعا من ذلك الأصل الكبير الذي ترجع إليه كل تعاليم الإسلام"[270].

فهو هنا يطبق منهجه الأدبي في التحليل والنقد الأدبي الذي "بقي مخلصا لضوابطه إلى نهاية حياته"[271]. حيث دعا إلى "المنهج المتكامل في النقد الأدبي"، وذلك بالجمع بين المنهج الفني والمنهج التاريخي والمنهج اللغوي والمنهج النفسي[272]. فلا يتناول الأحداث والآيات منتزعة من سياقها بما يجعل الاستخلاصات أقرب إلى الفهم المنهجي السليم والحق القويم. وإلا فإن اجتزاء الأحداث والوقائع، ومن ثم الآيات التي تتحدث عن تلكم الوقائع، يؤدي إلى نتائج واستخلاصات ناقصة خاطئة مجانبة للمنهج الأقوم. ذلك إذا لم ينظر إليها حلقة ضمن عقد مترابط، متماسك الوحدات ضمن خيط ونسيج داخلي يؤلف بينها. فتبدوا شتاتا لا ناظم له[273].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

---

[268]) صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 385.

[269]) **المصدر السابق**، ص 427.

[270]) سيد قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، ص 20.

[271]) Ibrahim M. Abu-Rabi', 1996. ***Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World***, p 163.

[272]) عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، ص 659.

[273]) وتلك من طبيعة الإسلام في معالجة القضايا. انظر تفصيل طرف من ذلك؛ سيد قطب، **السلام العالمي والإسلام**، الطبعة الثالثة عشرة، 1422هـ / 2001م، دار الشروق، القاهرة - مصر، ص 15-16. حيث يقول"فهذا الدين لا يعالج مشكلات الحياة الانسانية أجزاء وتفاريق؛ ولا يقيم كلا منها على أصل لا علاقة له بسائر الأصول. إنما هو يرجعها إلى نقطة ارتكاز واحدة؛ ويديرها كلها حول محور جامع واحد، تشدها إلى هذا المحور خيوط ظاهرة أو دقيقة، ولكنها قائمة على كل حال، تؤلف من مسائل الدين وقضاياه وحدة كلية جامعة، مردها إلى نظرته الكلية للكون والحياة والإنسان".

بل إننا لنلحظ الكاتب يوسع ويمدد الدوائر من اليوم الفرد الذي وقعت فيه الغزوة، إلى ما ترتب عليها في تاريخ الحركة الإسلامية. ثم يمددها أخرى لتشمل دائرة أوسع، إنها دائرة التاريخ البشري جملة. حتى إنها لتشمل الآخرة كذلك، ليمتد النظر الفسيح إلى ما بعد الحياة الدنيا للبشرية على هذه الأرض الفانية بعد طول بقاء. وتلكم الأخيرة أزلية، وهي أدوم وأبقى، ممتدة أبدا فلا تفنى. وفي هذا الصدد يقول:

> وقد سمّى الله - سبحانه - يومها [يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ] .. كما أنه جعلها مفرق الطريق بين الناس في الآخرة كذلك لا في هذه الأرض وحدها; ولا في التاريخ البشري على هذه الأرض في الحياة الدنيا وحدها. فقال سبحانه: [هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَا أَرَادُوا أن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ][274]. وقد ورد أن هذه الآيات نزلت في الفريقين اللذين التقيا يوم بدر .. يوم الفرقان .. لا في الدنيا وحدها، ولا في التاريخ البشري على الأرض وحدها; ولكن كذلك في الآخرة وفي الأبد الطويل .. وتكفي هذه الشهادة من الجليل - سبحانه - لتصوير ذلك اليوم وتقديره ...[275].

فمنذ البداية تشعر بأن هم الكاتب ليس منصبا على الكلمات في ذاتها لا يعدوها، بل يتجاوزها لاستخلاص الدروس والعبر وضبط معالم الطريق للسير الصحيح لا عوجا ولا أمتا؛ وهو الطريق الذي انتهجته الحركة الإسلامية سلفا. وذلك ليكون خلفها - الحركة الإسلامية المعاصرة - مستلهمة مقتبسة متدبرة عن وعي عميق ومدارسة لمقتضيات السير وملابساته ومعالمه. ولتكون على بينة من هاديات الطريق فتسترشد بها، ولتكون على بينة من محاذيره كذلك فتنأى بنفسها عنها.

---

[274]) سورة الحج: 19- 24.
[275]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1431.

فيصلح أمر الخلف بما كان صلح عليه أمر السلف.

هذا يحيلنا على طبيعة عمل سيد قطب في تفسيره، حيث خالف الكثير من المفسرين في نمط الكتابة والتعليقات وأطال حتى كان بدعا من المفسرين الذين سبقوه. فكان صاحب مدرسة جديدة في التفسير، هي مدرسة التفسير الحركي لما أضافه من معاني وأفكار حركية وتربوية على تفسيره[276]. وكان متميز المنهج؛ فإنك لا تكاد تقف على تفسير به من التقعيد والتأصيل لمعالم الحركة الإسلامية ومنهاجها ومراحلها مثل ما تجده عند سيد قطب في تفسيره. حتى لم يعده بعض النقاد من التفاسير.

إن هم الكاتب منصب على الوقوف على طبيعة مراحل الطريق وحلقاته ضمن فهم عميق بصير بالبواعث والأهداف ومحطات السير. حلقات يلف بعضها بعضا وتتسع الدوائر حتى تشمل الدين كله وحدة واحدة متجانسة؛ مبادئه ومراحل سيره ووسائله ومعالمه وأهدافه لا شذوذ ولا تصادم ولا تنافر. ضمن فهم شامل يستوعب جميع الأجزاء في تكامل وتناسق تام.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

فطبيعة الحلقات والأجزاء المؤلفة للدين، هي من طبيعة الدين ذاته. ولا يمكن فهم قيمتها وأبعادها وبواعثها وأهدافها إلا إذا ما وضعت في موقعها ضمن البناء الكامل؛ لبنة في حيز محدد بدقة، وضمن مواصفات محددة هي الأخرى، خادمة - في تناسق مع بقية اللبنات الأخرى - عبقرية البناء.

فأهمية الأجزاء واللبنات والحلقات تتضح قيمتها أكثر فأكثر إذا ما فهمت ضمن علاقاتها ودورها في العقد الناظم لها جميعا[277]. يقول سيد قطب مبينا تلك الحقيقة:

---

[276]) عبد الله العقيل، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية** ، ص 659.

[277]) يراجع ما قاله سيد في العدالة الاجتماعية كذلك؛ "لن ندرك طبيعة العدالة الاجتماعية في الإسلام حتى ندرك مجملا للتصور الإسلامي عن الألوهية والكون والحياة والإنسان. فليست العدالة الاجتماعية إلا

ومع كل عظمة هذه الغزوة، فإن قيمتها لا تتضح أبعادها الحقيقية إلا حين نعرف طبيعتها وحين نراها حلقة من حلقات "الجهاد في الإسلام"، وحين ندرك بواعث هذا الجهاد وأهدافه. كذلك نحن لا ندرك طبيعة "الجهاد في الإسلام" وبواعثه وأهدافه، قبل أن نعرف طبيعة هذا الدين ذاته..[278].

فما هي طبيعة هذا الدين ذاته؟ تلك هي المحطة الضرورية الأولى التي سيقف الباحث عندها. وسبب تقديمها مسألة منهجية غير خافية، إذ يتوقف فهم طبيعة الجهاد في الإسلام وبواعثه ومراحله ووسائله وأهدافه على فهم تلك الطبيعة للدين ووظيفته في الحياة.

وبناء على ما سبقت الإشارة إليه في الفقرة السابقة فستكون عناصر البحث عن الجهاد عند سيد قطب وفقا للترتيب التالي:

نقف أولا عند تلمس طبيعة الدين ثم ننتقل من تحديد طبيعة الدين إلى تحديد طبيعة الجهاد ثم نقوم بوقفة مع موقف سيد قطب ممن لا يشاطرونه رأيه في تحديد تلك الطبيعة ويسميهم بالمهزومين. ثم ثانيا نحاول أن نتبين بواعث الجهاد ومبرراته، ونقف على علاقة مقتضيات الحركة بمقررات العقيدة في هذا الشأن. لنتطرق ثالثا بعد ذلك إلى مراحل الجهاد. ثم رابعا نبسط الوسائل المناسبة لكل مرحلة. وخامسا وأخيرا وليس آخرا تحديد الغاية النهائية التي يتطلب هذا الجهاد تحقيقها في حياة البشرية.

أما العنصر السادس والأخير فسنحاول فيه الإجابة على الإشكالية المركزية لهذا البحث ألا وهي: هل تمثل مقاربة سيد قطب للجهاد (استنادا إلى فهمه لطبيعته

فرعا من ذلك الأصل الكبير الذي ترجع إليه كل تعاليم الإسلام" انظر سيد قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، ص 20.

[278]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1431.

وبواعثه ومراحله ووسائله وغايته)، دعوة مشروعة غايتها تحرير البشرية؟ أم أنها دعوة للإرهاب المذموم؟

أ- طبيعة الدين:

الدين الإسلامي عند سيد قطب معناه إزالة مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض. مستشهدا في ذلك بقوله تعالى: [إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ] (يوسف: 40). وقوله: [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] (آل عمران: 64).

وحتى لا يلتبس الأمر على القارئ فإن الباحث يبادر إلى القول بأن مقصود سيد من مملكة الله إنما هو إقامة منهج الله والنظام الإسلامي الذي يحكم وفقا لقوانين الشريعة، ولا يهم بعد ذلك من يتولى مزاولة ذلك. ولقد كان سيد قطب حساسا لقضية الحكم الثيوقراطي فاستهل كلامه بنفي ذلك النمط من الحكم الذي قد يتبادر إلى الذهن ابتداء. ونفى أن يكون الحكم بيد فئة من الناس بأعيانهم تزعم لنفسها النطق باسم الآلهة فتشرع بهواها ما لم يأذن به الله. فلا ريب أن ذلك عنده من حكم العباد للعباد، وهو يريد أن يخلص البشرية من كل أنواع العبودية إلا لله وحده. والعبودية لله وحده هي قمة التحرر والانعتاق والاستغناء عن كل مخلوق، كما أنها الثورة على كل معبود سواه. إن سيد قطب بهذه الدعوة التحريرية قد دخل في مواجهة مع كل من لا يحكم بما أنزل الله، وفتح على نفسه جبهات لا حد لها حينما أعلن وظيفة الدين عنده. وهكذا يكون قد حكم على كل الحكومات والأيديولوجيات واللأنظمة التي كانت قائمة في عصره بعدم شرعيتها. لنصغ إلى عباراته وهو يشرح ثورته على الشرك في التشريع والقوانين والعبادة:

ومملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم ... ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة ... فهو بذلك إعلان عام لتحرير "الإنسان" في "الأرض" من العبودية للعباد - ومن العبودية لهواه أيضاً وهي من العبودية للعباد - وذلك معناه: الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها; والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور ... إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله; وطرد المغتصبين له; الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب; ويقوم الناس منهم مقام العبيد[279]

ولقد كان شديد الوعي بتبعات هذه المقاربة وبمقتضياتها، فهو أعلم الناس بأن المغتصبين لسلطان الله في الأرض لن يستسلموا لدعوته بَلْهَ أن يؤمنوا بها. لأن الإيمان بها يعني انتزاع سلطانهم وملكهم وزوال مملكتهم، وهم مستعدون لدفع أي ثمن منعا لحصول ذلك. ولن يسلموا في سلطانهم بمجرد المواعظ ومرهفات الأقلام وإن جاءت من أديب مفوه مثله، فلن يسحرهم بيانه. وبناء عليه فلا يمكن لدعوة بهذا المضمون أن تتنزل في الواقع ما لم تتحصن بقوة تحميها. ومن ثم فإن المنطق الذي قرره قاده إلى حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف بجانب الجهاد بالبيان. يؤكد ذلك بقوله: "إن هذا الإعلان العام لتحرير "الإنسان" في "الأرض"، لم يكن إعلاناً نظرياً فلسفياً سلبياً[280].

وقد استجلى سيد قطب طبيعة هذا الدين الإسلامي من خلال ما اقتبسه من كتاب "زاد المعاد"، للإمام ابن القيم، عند تلخيصه لسياق الجهاد في الإسلام في الفصل

[279]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1434.
[280]) **المصدر السابق**، ج 3، ص 1434.

الذي عقده باسم: "فصل في ترتيب سياق هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حين لقي الله عز وجل"[281].

فأورد النص كما يلي:

أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق. وذلك أول نبوته. فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ. ثم أنزل عليه: [يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ][282] فنبأه بقوله: [اِقْرَأْ]، وأرسله بـــ [يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ]. ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين. ثم أنذر قومه. ثم أنذر من حولهم من العرب. ثم أنذر العرب قاطبة. ثم أنذر العالمين. فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية; ويؤمر بالكف والصبر والصفح.

ثم أذن له في الهجرة، وأذن له في القتال. ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله. ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله .. ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة. وأهل حرب. وأهل ذمة. فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم، وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد; فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد. وأمر أن يقاتل من نقض عهده .. ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها: فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام. وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم. فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان. وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم .. وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام: قسماً أمره بقتالهم وهم الذين نقضوا عهده، ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم. وقسماً لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم. وقسماً لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه؛ أو

---

[281]) شمس الدين بن القيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، بتحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، 1419هـ / 1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ج 3، ص 143-145.

[282]) سورة المدثر: 1-2.

كان لهم عهد مطلق، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر؛ فإذا انسلخت قاتلهم .. فقتل الناقض لعهده; وأجل من لا عهد له، أو له عهد مطلق، أربعة أشهر. وأمره أن يتم للموفي بعهده عهده إلى مدته؛ فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم. وضرب على أهل الذمة الجزية ..

فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة .. ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين: محاربين وأهل ذمة. والمحاربون له خائفون منه. فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به. ومسالم له آمن. وخائف محارب ..

وأما سيرته في المنافقين فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم; ويكل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة، وأمر أن يعرض عنهم، ويغلظ عليهم، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونهي أن يصلي عليهم، وأن يقوم على قبورهم، وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم .. فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين[283].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ويلاحظ الباحث هنا أن هذا الاقتباس له دلالات هامة فيما يختص باستناد سيد قطب إلى المدرسة السلفية في تفسيره. فابن القيم أحد أقطابها المشاهير فحيثما ذكر أو ذكر شيخه؛ شيخ الإسلام ابن تيمية، فإن ذلك إحالة إلى المدرسة المذكورة. كما أن سيد قطب كثيرا ما يورد نقولا عن ابن كثير إلى درجة دفعت العلامة الدكتور يوسف القرضاوي إلى القول بأنه: "بدأ يهتم بالجانب التفسيري، حتى أحسب أنه أفرغ خلاصة تفسير ابن كثير في ظلاله"[284]. ومعلوم أن ابن كثير هو كذلك من أعلام المدرسة ذاتها.

---

[283]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1431-1432.

[284]) يوسف القرضاوي، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، ج 3، ص 55. وانظر: يوسف القرضاوي، **القرضاوي: كلمة أخيرة حول سيد قطب**. على الرابط التالي:
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173694966860&pagename=Zone-Arabic-Shariah%2FSRALayout

أما أن يصف سيد قطب التلخيص بالجيد، ومن ثم يبني عليه حقائق ذات أهمية بالغة في السمات الأصلية والعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين، يراها جديرة بالوقوف عندها طويلا، فهذا مما يبرز علاقة امتدادية لفكر سيد قطب باتجاه رموز السلفية[285]. وذلك مما يؤكد اتخاذ الفهم السلفي قاعدة للفهم والاستنباط والتأصيل عنده.

فما هي هذه السمات الأصلية والعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين تأسيسا على عرض ابن القيم، الذي تبناه سيد قطب لبيان مراحل الجهاد في الإسلام؟

*__السمة الأولى__: الواقعية[286] الجدية.
*__السمة الثانية__: الواقعية الحركية.
*__السمة الثالثة__: الانتهاء إلى هدف واحد وهو إخلاص العبودية لله وحده.
*__السمة الرابعة__: قيام الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم وباقي المجتمعات على أساس أن الإسلام لله هو الأصل العالمي.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ولنتناول هذه السمات على التوالي حسب ورودها وترتيبها عرضا وتحليلا ونقدا فيما يلي:

فأما **السمة الأولى**؛ فقد أثارت إشكالية وجود الباطل في صورة واقعية تقوم عليه أنظمة عملية وتسنده سلطات ذات قوة مادية.

الكلمة كتبها حول السجال الذي دار حول ذكر سيد في مذكراته. وفيها عقد مقارنة بين حسن البنا وسيد قطب.

[285]) مع أن العديد من السلفيين قد كتبوا انتقادات حادة حول عقيدة سيد وخاصة منهجه في تأويل الصفات.

[286]) الواقعية: الخاصية السادسة من خواص التصور الإسلامي عند سيد قطب وهو يستعمل التعبير مجردا من كل ما علق به من معنى اصطلاحي تاريخي في البيئات الأخرى. انظر سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، الطبعة الثالثة، 1983م، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، السالمية - الكويت، ص 274.

فأما حالة كون الباطل اعتقادا وتصورا في ضمائر الأفراد وعقولهم، فإن منهج هذا الدين إنما هو التعامل معه بوسائل مكافئة لطبيعة وجوده. فلا داعي لاستعمال ما ليس من جنس الأفكار والتصورات والاعتقادات. وإنما على جنود الإسلام - والحالة هذه - البيان باللسان لا غير. لإحقاق الحق ودمغ الباطل بالحجة والدليل.

وأما إذا ما تجلى الباطل حقيقة قائمة عليه أنظمة تستند إلى قوة مادية، فإن الحركة الإسلامية - وفقا لهذه السمة الأولى - عليها مواجهة هذه الأنظمة والسلطات المادية؛ القائمة حاجزا حائلا بين جمهور الناس وبين نفاذ التصحيح بالدعوة والبيان باللسان. فحيث إنها أنظمة لا تستند إلى قوة الحجة، وإنما تستند فقط إلى حجة القوة والقدرة على البطش بمن خالفها، فإن على الحركة الإسلامية أن تواجهها بوسائل مكافئة لطبيعتها المادية المتسلطة على ضمائر الجماهير بالقهر والإكراه، ومن ثم تستبين مشروعية استعمال القوة في مواجهتها. إذ "أن مقاومة السيف المسلول باللسان المعسول لا تجدي، ولا يمكنها أن تهزم باطلا، أو تنصر حقا"[287]. فهذا دواء الداء من كل جاهل. والخلاصة ".. إنها حركة لا تكتفي بالبيان في وجه السلطان المادي. كما أنها لا تستخدم القهر المادي لضمائر الأفراد"[288].

فكما تؤكد السمة الأولى على نهج القوة في مواجهة القوة، فهي وبنفس الشدة والحزم تؤكد على نهج الكلمة والبيان في مواجهة التصورات والاعتقادات. سواء بسواء.

فهذا دواء الداء من كل جاهل *** وهذا دواء الداء من كل عاقل[289].

---

[287]) يوسف القرضاوي، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، ج 3، ص 36.

[288]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1432.

[289]) فما هو إلا الوحيُ أو حدُّ مُرهَـــف *** تـقـيم ظباه أخدعيْ كل مائل
فهذا دواء الداء من كـــــل جاهـــل *** و هذا دواء الداء من كل عاقل
دعا المصطفى دهرًا (بمكة) لم يُجَـــب *** و قـد لان منه جانب وخطاب
فلما دعا والسيف بالكـــف مسلط لـه *** أســـلموا و استسلموا و أنابوا

هذه كتلك في منهج هذا الدين وهو في سيره نحو تحرير الناس - كل الناس- فوق الأرض - كل الأرض- من العبودية للأفكار والمعتقدات أو من السلطات والأنظمة المادية.

فوضع كف الندى في موضع السيف * كوضع السيف في موضع الندى.

فالخلاصة هي أن الجهاد بيان بالحجة واللسان وقيام بالسيف والسنان. وكل يواجه ما يكافئه في المجال، كما سبق في ذلك التفصيل والبيان. غير أن هذا يطرح إشكالية في غاية الخطورة، ألا وهي الخروج على الحكام والحكومات في بلاد المسلمين. فهل أن الذين يقومون بمواجهة هؤلاء الحكام يعد عملهم مشروعا وفقا لرؤية سيد قطب؟ ومن ثم اعتباره المنظر لتلك الجماعات التي تبنت هذا النهج؟ إذ أن بعض النقاد ومنهم أحمد مصلي يرى أن: "شهرته تعود في قسم منها إلى تشكيله لنظرية في العنف السياسي تتمسك بها حركات إسلامية معاصرة. سواء كانت الجهاد الإسلامي أو التكفير والهجرة أو تنظيم الفنية العسكرية أو جند الله، فجميعها تابعة نظريا لسيد قطب"[290]. وذلك المنهج في التغيير داخل البلاد الإسلامية بخلاف منهج العديد من معاصريه من العلماء (كالبوطي والنورسي مثلا)، ومن سبقهم (كالنووي مثلا[291]) الذين يفرقون بين الجهاد الخارجي وطبيعة الجهاد الداخلي في بلاد المسلمين. فبديع الزمان سعيد النورسي - على سبيل المثال - يفرق وبوضوح تام بين طبيعة الجهادين وفقا لعامل الوسائل وكذلك عامل المكان. فها هو ذا يعلن ذلك في صراحة:

> إن العدوان الخارجي يمكن مجابهته بالقوة، فإن ما يملكه الأعداء ومتاعهم بمثابة الغنائم. لكن الحالة داخليا (يعني في مواجهة المجتمع والحكام) ليست كذلك ... إن

[290]) Ahmad S. Moussalli, 1992. ***Radical Islamic Fundamentalism: The Ideological and Political Discourse of Sayyid Qutb***, p 240.

[291]) يحيى بن شرف النووي, **صحيح مسلم بشرح النووي**, دار التقوى, ج12, ص 195.

الجهاد الخارجي والجهاد الداخلي أمران مختلفان تماما ... إن الله قد أعطاني ملايين من الطلبة الصادقين، غير أننا داخليا (في مواجهة المجتمع والحكام) سنعمل بإيجابية لنحفظ النظام والأمن. إن الاختلاف بين الجهاد الداخلي والجهاد الخارجي في زماننا أمر جلل حقا[292].

ويقول في مكان آخر: " ... وكذلك، فالجهاد الداخلي؛ "جهاد الكلمة" ضد التدمير الأخلاقي والروحي"[293].

ويرى الباحث أن سيد قطب لو قدّر له أن يتم المجموعة التالية من المعالم التي وعد بكتابتها، لبين بشكل أوضح وتفاصيل أدق منهج التغيير عنده. غير أنه في غياب ذلك فإن الباحث استنادا إلى عبارات سيد قطب في أهمية المآلات وحرصه على سلامة صورة الإسلام[294]، يدفع تهمة التنظير للخروج على الحكام دون اعتبار النتائج[295] السلبية المنافية لمقاصد الشريعة الإسلامية.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

وأما **السمة الثانية؛** فقد تمركزت حول إشكالية المراحل والتدرج في منهج هذا الدين. ذلك أن هذا الدين وهو يتقدم محققا أهدافه إنما يزحف نحوها في حركة ذات مراحل، تسلم كل مرحلة منه إلى المرحلة التي في عَقِبها في سلاسة وحسن ترتيب. فهو منهج لا تتجمد وسائله وهو يتحول صَعودا في مراحله. كما أنه لا يواجه الواقع

---

[292]) Bediüzzaman S. Nursi, 2004. **"*Jihad of the word" and "Positive Action*"**. Istanbul- Turkey, p 3.

[293]) Ibid. p 7.

[294]) وذلك عندما تحدث عن مبررات عدم الإذن بالقتال في المرحلة المكية قائلا: "... وربما أدى استعمال القوة إلى نشأة ثارات دموية تكون مرتبطة في أذهانهم بالإسلام ... وربما كان ذلك أيضاً، اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت ... ثم يقال: هذا هو الإسلام! ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال!". سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1438.

[295]) انظر نقد عمرو الشوبكي للجماعات الجهادية حيث قال: "والحقيقة أن 'عدم المطالبة بالنتائج' مثل الأزمة أو العنصر الثالث في توجهات تلك الجماعات الجهادية على المستوى العقدي والسياسي، وشكل من ناحية أخرى السبب الرئيسي وراء بقاء هذه الجماعات كنماذج للاحتجاج وليس البناء ...". رفعت السيد أحمد؛ وعمرو الشوبكي، **مستقبل الحركات الإسلامية بعد 11 أيلول (سبتمبر)**، الطبعة الأولى، 1425هـ / 2005م، دار الفكر، دمشق - سوريا، ص 269.

بنظريات مجردة لا تستجيب للمقتضيات والحاجات الواقعية الطارئة والملابسات المختلفة.

وهذه السمة مبعث اختلاف كبير وسجال حاد عنيف. فقد وقع فيها خلط عظيم خطره، لدى الكثير من المستشهدين بالنصوص القرآنية دون مراعاة لهذه السمة ودون ضبط لمراحل المنهج في التغيير. ودون إدراك كذلك لعلاقة النصوص المختلفة بهذه المراحل.

فالذين يسوقون النصوص للاستشهاد بها على غير مراحلها التي تنزلت فيها، يجرهم ذلك إلى خطإ عظيم في فهم النهج الإصلاحي. فكثيرا ما تفسر النصوص ذات الطبيعة المرحلية على أنها نصوص نهائية، وتحمّل من القواعد النهائية ما لا تحتمل. فيقع من ثم اللبس والانحراف عن الجادة؛ فهما وتنزيلا.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

الجدير بالذكر هنا أن نصوص وكتابات سيد قطب نفسه يجري عليها ما قلناه في الفقرة السابقة. فهي وليدة ظروف حاول صاحبها إيجاد حلول مرحلية مكافئة لها في الوسائل ومنهجية التغيير. و"قطب نفسه يقر بالعلاقة بين البيئة السياسية وتأثيرها على الكاتب. حيث لا يعتقد في جدوى الكتابات النظرية إذا كانت بمعزل عن مشاكل المجتمع والواقع"[296]. وبعبارة أخرى فإن إنتاجه الفكري ليس مطلقا عن الزمان والمكان والأحوال، وإنما يستمد بقاءه من بقاء الظروف التي ولدته.

والخلاصة: إن الجهاد بيان بالحجة واللسان، وقيام بالسيف والسنان، ودفع للصائل فهو الدفاع. وانطلاق لتحرير الإنسان فهو اندفاع مشروع. ولكلٍ مرحلة وزمان. وبعد الانتهاء من عرض السمات الأربع إجمالا سيأتي مزيد بيان.

---

[296]) Ahmad S. Moussalli, 1992. ***Radical Islamic Fundamentalism: The Ideological and Political Discourse of Sayyid Qutb***, p 239.

فلنستمر مع عرض السمة التالية مع إرجاء الحديث عن القائلين أن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع! ! لنناقش ذلك لاحقا فإلى السمة الثالثة.

وأما **السمة الثالثة؛** فقد عرضت إشكالية التغيّر والتبدل والتلون بلون المرحلة، فهل ذلك يمس ويلحق الأهداف النهائية مساومةً وليناً؟

إن هذا الدين وهو يسير نحو ما رسم له من أهداف وبنى له من قواعد في حركة دءوب وبوسائل متنوعة متكافئة مع الواقع والمراحل. إنه يسير دون أن يغفل - تحت وطأة حركته الدءوب أو تجدد الوسيلة - هدفه الواحد الأوحد الذي يريد أن ينتهي إليه أمر البشرية. فهذا الدين "منذ اليوم الأول - سواء وهو يخاطب العشيرة الأقربين، أو يخاطب قريشاً، أو يخاطب العرب أجمعين، أو يخاطب العالمين، إنما يخاطبهم بقاعدة واحدة; ويطلب منهم الانتهاء إلى هدف واحد .. هو إخلاص العبودية لله، والخروج من العبودية للعباد"[297].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

نعم إن إخلاص العبودية لله والخروج من العبودية للعباد، كان هدفا واضحا في نفوس من تلقوا منهج هذا الدين عذبا طريا. إنه هدف هذا الدين، كما أنه هدف الخروج للجهاد في سبيل هذا الدين وتحقيق أهدافه. فقد كان جواب ربعي بن عامر، وحذيفة بن محصن، والمغيرة بن شعبة، جميعاً لرستم قائد جيش الفرس في القادسية، وهو يسألهم واحداً بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية، قبل المعركة: ما الذي جاء بكم? فيكون الجواب: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده. ومن ضيق الدنيا إلى سعتها. ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[298]. لا مساومة في هذه القاعدة ولا لين. ثم يمضي إلى تحقيق هذا الهدف الواحد، في خطة

[297]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1433.
[298]) **المصدر السابق**، ج 3، ص 1440.

مرسومة؛ ذات مراحل محددة؛ لكل مرحلة وسائلها المتجددة. على نحو ما أسلفنا في الفقرة السابقة[299].

وأما **السمة الرابعة؛** فتتمثل في تلك القواعد التشريعية التي جاء بها الدين الإسلامي ليحدد طبيعة العلاقة بين المجتمع الإسلامي - أو الدولة الإسلامية بالتعبير الحديث - وباقي مجتمعات العالم ودوله وكياناته. مع عدم اغفال علاقة تلك التشريعات المنظمة للعلاقات الدولية بالهدف النهائي الذي جاء الإسلام ابتداء لإقامته على الأرض كلها ما استطاع لذلك سبيلا. وهذا الهدف النهائي عند سيد قطب إنما هو الإسلام لله وتسليم قياد البشرية لشريعته، أو بعبارات سيد ذاته في السمة الثالثة: إخلاص العبودية لله، والخروج من العبودية للعباد. إذن فوفقا لكلمات سيد قطب في هذا السياق فإن على سائر المجتمعات غير الإسلامية أن تدخل في الإسلام وتفيء إليه أو أن تسالمه فلا هي تحاربه ولا هي تقاومه إذ أن:

> الإسلام لله هو الأصل العالمي الذي على البشرية كلها أن تفيء إليه; أو أن تسالمه بجملتها فلا تقف لدعوته بأي حائل من نظام سياسي، أو قوة مادية. وأن تخلي بينه وبين كل فرد، يختاره أو لا يختاره بمطلق إرادته. ولكن لا يقاومه ولا يحاربه! فإن فعل ذلك أحد كان على الإسلام أن يقاتله حتى يقتله أو حتى يعلن استسلامه![300].

وفقا لمقاربة سيد قطب لهذه السمة نلاحظ أنه جعل العلاقة بين المجتمع المسلم مع باقي المجتمعات الأخرى، قائمة على طبيعة تعامل تلك المجتمعات مع دعوة الإسلام. فإما أن تسالم فتَسلم. وإما أن تقاوم وتحارب ولا تُخلي بين هذه الدعوة وبين الناس، فإن على الإسلام حينئذ أن يقاتلها، لوقوفها حائلا دون الاختيار الحر للناس حتى وإن لم يختاروا عقيدته. فليس قتالهم مبنيا على علة الكفر فيهم ولا لحملهم على العقيدة الإسلامية.

---

[299]) سيد قطب، **في ظلال القرآن** ، ج 3، ص 1433.
[300]) **المصدر السابق** ، ج 3، ص 1433.

ب- طبيعة الجهاد

سبق أن بينا في الفقرة السابقة أن بواعث الجهاد في الإسلام عند سيد قطب ينبغي تلمسها في طبيعة "الإسلام" ذاته، ودوره في هذه الأرض، وأهدافه العليا التي قررها الله; وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة، وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات ..

وقلنا إن هذا الدين إعلان عام لتحرير "الإنسان" في "الأرض" من العبودية للعباد - ومن العبودية لهواه أيضاً وهي من العبودية للعباد - وقلنا أن ذلك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان، النظري الفلسفي السلبي.

إنما كان إعلاناً حركياً واقعياً إيجابياً ... ومن ثم لم يكن بد من أن يتخذ شكل "الحركة" إلى جانب شكل "البيان" .. ذلك ليواجه "الواقع" البشري بوسائل مكافئة لكل جوانبه .

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

والواقع الإنساني، أمس واليوم وغداً، يواجه هذا الدين - بوصفه إعلاناً عاماً لتحرير "الإنسان" في "الأرض" من كل سلطان غير سلطان الله - بعقبات اعتقادية تصورية، وعقبات مادية واقعية. وتختلط هذه بتلك وتتفاعل معها بصورة معقدة شديدة التعقيد[301].

وإذا كان "البيان" يواجه العقائد والتصورات، فإن "الحركة" تواجه العقبات المادية الأخرى - وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية، والعنصرية والطبقية، والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة .. وهما معاً - البيان والحركة - لا بد منهما لانطلاق حركة التحرير للإنسان في الأرض ..

[301]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1434، (بتصرف).

"الإنسان" كله في "الأرض" كلها[302]. ويبين سيد قطب مقتضيات هذا الفهم لطبيعة الدين ويتفانى في الدفاع عن تحرير البشرية بالبيان والسنان معا. ويحاول حشد كل دفاعاته أمام المقاربات التي حصرت الجهاد في مجرد المعنى الدفاعي لاغير. والباحث يورد هنا تلخيصا مجملا لذلك من "الظلال" و"المعالم" لنقف على حجج سيد وأدلته على ما تمسك به على النحو التالي:

إن الذي يدرك طبيعة هذا الدين - على النحو المتقدم - يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف - إلى جانب الجهاد بالبيان - ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية - بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح "الحرب الدفاعية" - كما يريد المهزومون[303] أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين الماكر أن يصوروا حركة الجهاد في الإسلام - إنما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير "الإنسان" في "الأرض".. بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري; وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة. إذا لم يكن بد من أن نسمي حركة الإسلام الجهادية حركة دفاعية، فلا بد أن نغير مفهوم كلمة "دفاع". ونعتبره "دفاعاً عن الإنسان" ذاته، ضد جميع العوامل التي تقيد حريته وتعوق تحرره .. والتي ما تزال أشكال منها سائدة في الجاهلية الحاضرة في هذا الزمان! وبهذا التوسع في مفهوم كلمة "الدفاع" نستطيع أن نواجه حقيقة بواعث الانطلاق الإسلامي في "الأرض" بالجهاد; ونواجه طبيعة الإسلام ذاتها"[304]. (انتهى بتصرف).

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

---

[302]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1434، (بتصرف).

[303]) انظر قائمة بأسماء الكتاب المقصودين بذلك من الإسلاميين والعلمانيين، فقد سمى القرضاوي نحو عشرين منهم في معرض اختلافه مع سيد قطب في هذا الصدد: يوسف القرضاوي، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، ج 3، ص 61.

[304]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1435-1436، (بتصرف).

"إن الجهاد ضرورة للدعوة. إذا كانت أهدافها هي إعلان تحرير الإنسان إعلاناً جاداً يواجه الواقع الفعلي بوسائل مكافئة له في كل جوانبه؛ ولا يكتفي بالبيان الفلسفي النظري السلبي!"[305].

وهكذا يدافع سيد قطب عن فهمه باصطفافه إلى جانب بسط حرية الاعتقاد والتعبير لكل الناس، وينتقد في الوقت نفسه مخالفيه ويصفهم بالانهزامية وقابلية الانخداع. ويوسع من دائرة أهداف الدين في مقابل مخالفيه لتشمل بسط السلام والأمن وحرية العقيدة حتى لغير معتنقيه. والعبرة عنده بالنصوص والمراحل النهائية لحركة الجهاد في الإسلام. وفي هذا الصدد يقول:

> فالإسلام حين يسعى إلى السلم، لا يقصد تلك السلم الرخيصة; وهي مجرد أن يأمن على الرقعة الخاصة التي يعتنق أهلها العقيدة الإسلامية. إنما هو يريد السلم التي يكون الدين فيها كله لله ... والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت إليها الحركة الجهادية في الإسلام - بأمر من الله - لا بأوائل أيام الدعوة ولا بأوسطها .. ولقد انتهت هذه المراحل كما يقول الإمام ابن القيم: "فاستقر أمر الكفار معه - بعد نزول براءة - على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة .. ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام .. فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة. والمحاربون له خائفون منه.. فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به. ومسالم له آمن [وهم أهل الذمة كما يفهم من الجملة السابقة] وخائف محارب"[306].

وهذه الحالة الأخيرة لأهل الأرض في نهاية حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هي التي لطالما حاول سيد قطب عرضها على أنها الأمر المنطقي الذي ينسجم مع طبيعة هذا الدين وأهدافه. لا كما يفهم المهزومون أمام الواقع الحاضر، وأمام هجوم المستشرقين الماكر!

---

[305]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1436.
[306]) **المصدر السابق**، ج 3، ص 1436.

ت- موقف سيد ممن يدعوهم "المهزومون"

لقد بلغ انكار سيد قطب على أصحاب النهج الاعتذاري مبلغا اندهش له يوسف القرضاوي، وتعجب كيف تفلت من سيد رحمه الله هذه العبارات في وصف مخالفيه؟ وهم من هم في العلم والفقه والاخلاص للدين والعمل لنصرته. والحق أن الباحث يشعر بأن عبارات سيد كانت جارحة وقاسية في حق أعلام لا يمكن التشكيك في جهادهم وبذلهم (كرشيد رضا والأفغاني ومحمد الغزالي)[307]. وتلك إحدى خصائص كتابات سيد قطب النقد اللاذع والتهكم على المخالفين وشدة في بعض المواقف رغم أنه عف اللسان وقاف على الحق جريء في قول ما يؤمن به. ونجمل في ما يلي نقده الموجه لهم وما ينكره عليهم بايجاز شديد في النقاط الثلاث التالية:

أولا: إنها سذاجة منهم أن يتصوروا دعوة تعلن تحرير "الإنسان" .. نوع الإنسان .. في "الأرض" .. كل الأرض .. ثم تقف أمام هذه العقبات تجاهدها باللسان والبيان! .. إنها تجاهد باللسان والبيان حينما يخلى بينها وبين الأفراد، تخاطبهم بحرية، وهم مطلقو السراح من جميع تلك المؤثرات .. فهنا [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ][308]. أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية، فلا بد من إزالتها أولا بالقوة، للتمكن من مخاطبة قلب الإنسان وعقله؛ وهو طليق من هذه الأغلال!

ثانيا: إنهم يقولون - وهم مهزومون روحياً وعقلياً تحت ضغط الواقع اليائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان -: "إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع!" ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلاً بتخليه عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً، وتعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية

---

[307]) انظر بقية قائمة أسماء الكتاب المقصودين بذلك من الإسلاميين والعلمانيين، فقد سمى القرضاوي نحو عشرين منهم في معرض اختلافه مع سيد قطب في هذا الصدد: يوسف القرضاوي، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، ج 3، ص 61.

[308]) [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] (سورة البقرة: 256).

للعباد إلى العبودية لرب العباد! لا بقهرهم على اعتناق عقيدته. ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة"[309] ... بعد تحطيم العقبات التي تقف أمامها.

ثالثا: إنهم يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه; والتي تعبد الناس للناس; وتمنعهم من العبودية لله .. وهما أمران لا علاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما .. ومن أجل هذا التخليط - وقبل ذلك من أجل تلك الهزيمة!- يحاولون أن يحصروا الجهاد في الإسلام فيما يسمونه اليوم: "الحرب الدفاعية" .. والجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم، ولا بواعثها، ولا تكييفها كذلك ...[310]. (انتهى بتصرف).

وهكذا، فالمهزومون عند سيد قطب يسيئون من حيث يحسبون أنهم يحسنون صنعا. ذلك بالإضافة إلى أنهم يخلطون بين عدم الإكراه في الدين والعقيدة من جهة، وبين الانطلاق لتحطيم العقبات المادية التي تحول دون اعتناق حر للعقيدة - حتى وإن لم تكن الإسلام - من جهة أخرى. ويُرجع سيد ذلك إلى الهزيمة الروحية والعقلية وضغط الواقع اليائس ومكر أعداء الأمة. بل يسمهم بالسذاجة وقلة فهم طبيعة الدين وأهدافه ومنهجه في تحقيق أهدافه. كل ذلك مع قلة فهم طبيعة الصراع المفروض بين الحق والباطل.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

4-4 مبررات الجهاد ودوافعه

أ- مقتضيات الحركة

[309]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1432.
[310]) **المصدر السابق**، ج 3، ص 1433. (بتصرف).

يرى سيد قطب أن الذين يبحثون عن مبررات للجهاد الإسلامي في حماية "الوطن الإسلامي" يغضون من شأن "المنهج" ويعتبرونه أقل من "الموطن"! وهذه ليست نظرة الإسلام إلى هذه الاعتبارات .. ويعتبر ذلك نظرة مستحدثة غريبة على الحس الإسلامي[311]، فلا قيمة للأرض مقارنة بحماية العقيدة والمنهج الذي تتمثل فيه والمجتمع الذي يسود فيه هذا المنهج. أما الأرض - بذاتها - فلا اعتبار لها ولا وزن! وكل قيمة للأرض في التصور الإسلامي إنما هي مستمدة من سيادة منهج الله وسلطانه فيها. وبهذا تكون محضن العقيدة وحقل المنهج و"دار الإسلام" ونقطة الانطلاق لتحرير "الإنسان ..". ولذلك فهو يبرر حماية الوطن والأرض بسبب العقيدة والمنهج والمجتمع الإسلامي الذي يعيش عليها، على أنه مجرد وسيلة لقيام الدين بوظيفته في حياة البشرية. وذلك واضح في قوله:

> وحقيقة أن حماية "دار الإسلام" حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج. ولكنها هي ليست الهدف النهائي. وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي. إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها. ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها، وإلى النوع الإنساني بجملته. ... يجب ألا تخدعنا أو تفزعنا حملات المستشرقين على مبدأ "الجهاد"، وألا يثقل على عاتقنا ضغط الواقع وثقله في ميزان القوى العالمية، فنروح نبحث للجهاد الإسلامي عن مبررات أدبية خارجة عن طبيعة هذا الدين، في ملابسات دفاعية وقتية، كان الجهاد سينطلق في طريقه سواء وجدت هذه الملابسات أم لم توجد! ويجب ونحن نستعرض الواقع التاريخي ألا نغفل عن الاعتبارات الذاتية في طبيعة هذا الدين وإعلانه العام ومنهجه الواقعي .. وألا نخلط بينها وبين المقتضيات الدفاعية الوقتية"[312].

ب- مقررات العقيدة

---

[311]) Paul Brykczynski, 2005. Radical Islam and Nation: The relationship between Religion and Nationalism in the political thought of Hassanal-Banna and Sayyid Qutb. ***History of Intellectual Culture***, 5(1)http://www.ucalgary.ca/hic.

[312]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1440-1441، (بتصرف).

في حين يستمسك كثير من الإسلاميين بربط مبررات الجهاد ودوافعه بمجرد ملابسات دفاعية محدودة، وموقوتة. يرى سيد قطب أن المد الإسلامي ليس في حاجة إلى مبررات أدبية له أكثر من المبررات التي حملتها النصوص القرآنية والمتمثلة في ما يلي:

- تقرير الألوهية.
- إنقاذ الإنسان والانتصار للمستضعفين.
- تحقيق منهج الله في حياة الناس.
- مطاردة الشياطين ومناهج الشياطين.
- تحطيم سلطان البشر الذي يتعبد الناس.
- التحرير العام للإنسان في الأرض.
- كل ما سبق مع تقرير مبدأ: ([لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين]).

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

فبعد إيراده للآيات التاليات يبين سيد قطب أن الدافع الذي كان وراء حركة الجهاد لم يكن ليقتصر على رد العدوان فقط. فهذا أمر مفروغ منه، ولكنه الانطلاق لتحقيق المعاني التي تضمنتها الآيات.

[وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ۝ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً] (النساء: 75-76).

[قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ۝ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ] (الأنفال: 38-40).

[قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] (التوبة: 29-32).

يقول سيد تعليقا:

> إنها مبررات تقرير ألوهية الله في الأرض; وتحقيق منهجه في حياة الناس. ومطاردة الشياطين ومناهج الشياطين; وتحطيم سلطان البشر الذي يتعبد الناس .. ! وهذا يكفي .. مع تقرير مبدأ: [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ] .. أي لا إكراه على اعتناق العقيدة، بعد الخروج من سلطان العبيد; والإقرار بمبدأ أن السلطان كله لله. أو أن الدين كله لله. بهذا الاعتبار. إنها مبررات التحرير العام للإنسان في الأرض. بإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك .. وهذه وحدها تكفي .. وإنه ليكفي أن يخرج المسلم مجاهداً بنفسه وماله .. (في سبيل الله). في سبيل هذه القيم التي لا يناله هو من ورائها مغنم ذاتي; ولا يخرجه لها مغنم ذاتي.

والخلاصة أن الهدف من الجهاد هو إقامة منهج الله في كل الأرض. وتحرير كل الناس، وإنقاذ كل المستضعفين. باعتماد كل الوسائل المكافئة للواقع. ولا يرتبط بالدفاع عن أرض معينة فقط، ولا بالدفاع عن مجتمع معين فقط، ولا عن عنصر

دون باقي عناصر البشرية. وبعبارة سيد نفسه "انطلاق إلى الأرض كلها، وإلى النوع الإنساني بجملته. فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين، والأرض هي مجاله الكبير!"[313].

*** الجهاد بين مقتضيات الحركة ومقررات العقيدة**

إذا كانت المعركة مفروضة على الإسلام في جميع الأحوال سواء انطلق أم لم ينطلق نحو الآخر، فما الفرق بعد ذلك في تبني إحدى النظرتين للجهاد دفاعا وفقا لمقتضيات الحركة وملابساتها، أو انطلاقا وفقا لمقررات العقيدة ولوازمها؟

ألا يكون الجهر بالعزم على الانطلاق ذريعة لاتخاذه دليلا أخلاقيا ضد المسلمين وأنهم متعطشون للاعتداء؟ ثم أليس الأجدى والأنفع لصورة الإسلام التمسك بحصر الجهاد في الدفاع ورد العدوان ؟

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

فهل يقبل سيد هذا المنطق؟ أم أن لسيد منطق آخر؟

> حقاً إنه لم يكن بد لهذا الدين أن يدافع المهاجمين له. لأن مجرد وجوده، في صورة إعلان عام لربوبية الله للعالمين، وتحرير الإنسان، وتمثل هذا الوجود في تجمع تنظيمي حركي، وميلاد مجتمع مستقل متميز لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمية، لأن الحاكمية فيه لله وحده .. إن مجرد وجود هذا الدين في هذه الصورة لا بد أن يدفع المجتمعات الجاهلية من حوله، القائمة على قاعدة العبودية للعباد، أن تحاول سحقه، دفاعاً عن وجودها ذاته. ولا بد أن يتحرك المجتمع الجديد للدفاع عن نفسه.. هذه ملابسة لا بد منها. تولد مع ميلاد الإسلام ذاته. وهذه معركة مفروضة على الإسلام فرضاً، ولا خيار له في خوضها. وهذا صراع طبيعي بين وجودين لا

[313]) **المصدر السابق**، ج 3، ص 1441.

يمكن التعايش بينهما طويلاً .. هذا كله حق .. ووفق هذه النظرة يكون لا بد للإسلام أن يدافع عن وجوده. ولا بد أن يخوض معركة دفاعية مفروضة عليه فرضاً[314].

ومع إقرار سيد بتلك الحقيقة فإنه أشد إصرارا على توكيد حقيقة أخرى يراها أشد أصالة من تلك. إذ هي من طبيعة الدين ووظيفته في الحياة. فما تلك الحقيقة؟ وما مقتضياتها؟ يقول سيد مبينا ذلك:

لكن هناك حقيقة أخرى أشد أصالة من هذه الحقيقة .. إن من طبيعة الوجود الإسلامي ذاته أن يتحرك إلى الأمام ابتداء; لإنقاذ "الإنسان" في "الأرض" من العبودية لغير الله. ... إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم الإسلام، إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية; ورضي أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريري العام! .. ولكن الإسلام لا يهادنها[315]. وفرق بين تصور الإسلام على هذه الطبيعة، وتصوره قابعا داخل حدود إقليمية أو عنصرية، لا يحركه إلا خوف الاعتداء! إنه في هذه الصورة الأخيرة يفقد مبرراته الذاتية في الانطلاق! ... إن الباحثين الإسلاميين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر، وتحت الهجوم الاستشراقي الماكر، يتحرجون من تقرير تلك الحقيقة. لأن المستشرقين صوروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة[316].

وحيثما وجد التجمع الإسلامي، الذي يتمثل فيه المنهج الإلهي، فإن الله يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام. مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان .. فإذا كف الله أيدي الجماعة المسلمة فترة عن الجهاد، فهذه مسألة خطة لا مسألة مبدأ. مسألة مقتضيات حركة لا مسألة مقررات عقيدة. وعلى هذا الأساس الواضح يمكن أن نفهم النصوص القرآنية المتعددة، في المراحل التاريخية

---

[314]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1441-1442، (بتصرف).

[315]) قارن مع رأي القرضاوي، وانظر نقده لسيد في اعلان الحرب المفتوحة على كل الجبهات. انظر: يوسف القرضاوي، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، ج 3، ص 57-62.

[316]) Mark Hartwig, no date. ***Spread by the Sword?*** http://www.answering-islam.org/Terrorism/by_the_sword.html

المتجددة. ولا نخلط بين دلالاتها المرحلية، والدلالة العامة لخط الحركة الإسلامية الثابت الطويل"[317].

لكن هذا الاعتقاد لدى سيد قطب بحق التجمع الإسلامي في التحرك ابتداء، وليس نتيجة لظروف دفاعية مؤقتة، يثير تساؤلات مهمة نسوق بعضها الآن، ثم نحاول تحسس الإجابة عنها في المبحث التالي:

لماذا لم ينطلق الرسول والصحابة منذ اليوم الأول بإعلان الجهاد والقتال؟ ألم يكونوا أعلم الناس بهذا الدين وطبيعته؟؟ فلماذا تأخر انطلاقهم الحركي بالسيف قتالا بضعة عشر سنة من البعثة؟ وما مبررات ذلك؟ وكيف يفهم سيد النصوص المرحلية؟ وكيف يرتبها وصولا للنصوص النهائية؟

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

5-4 مراحل الجهاد

شغلت فلسفة المراحل حيزا كبيرا من حديث سيد قطب حول الجهاد فقد أسس لها تأريخيا وربطها بالتكافئ بين كل مرحلة ووسائلها الخاصة. ودافع عن فكرة السعي إلى المرحلة الأخيرة والهدف النهائي للخطة المرسومة ابتداء للجهاد. وانتقد اعتماد بعض النصوص المرحلية على أنها الأحكام النهائية عند بعض الإسلاميين.

فمجاهدة النفس التي تعد عند البعض الجهاد الأكبر، في مقابل اعتبار القتال الجهاد الأصغر، هي عند سيد قاعدة الانطلاق والتأسيس حتى لا تميل النفس عند النصر والمغنم للشهوات والنزوات. غير أن ما يميز نظرته لهذا التقسيم هو عدم بخسه لأيّ نوع من الجهاديْن حقه من الاهتمام ومراحل التربية والإعداد له. فلم يؤجل أو يهمل

[317]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1442-1443، (بتصرف).

الحديث عن الجهاد القتالي بحجة الإنشغال بجهاد النفس أو العكس. وهو أمر بين في مثل قوله إن:

> المسلم قبل أن ينطلق للجهاد في المعركة يكون قد خاض معركة الجهاد الأكبر في نفسه مع الشيطان. مع هواه وشهواته .. مع مطامعه ورغباته .. مع مصالحه ومصالح عشيرته وقومه .. مع كل شارة غير شارة الإسلام .. ومع كل دافع إلا العبودية لله، وتحقيق سلطانه في الأرض وطرد سلطان الطواغيت المغتصبين لسلطان الله ..[318]

فتلك مرحلة التربية والإعداد إذا انتصر فيها المسلم فقد نال الكفاءة لخوض مراحل الجهاد التالية.

وقد قسم سيد مراحل الجهاد إلى أربع، اعتمادا على تقسيم ابن القيم[319]:

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

- محرماً.
- مأذوناً به.
- مأموراً به لمن بدأهم بالقتال.
- ثم مأموراً به لجميع المشركين.

غير أن هذه المراحل إنما كانت ظرفية فأما الأصل فهو التدافع الذي بدونه تكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

> لقد بين الله للمؤمنين في أول ما نزل من الآيات التي أذن لهم فيها بالقتال أن الشأن الدائم الأصيل في طبيعة هذه الحياة الدنيا أن يدفع الناس بعضهم ببعض، لدفع الفساد عن الأرض: [أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ

[318]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1441.
[319]) شمس الدين بن القيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج 3، ص 143.

لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ] (الحج:39-40).

وإذن فهو الشأن الدائم لا الحالة العارضة. الشأن الدائم أن لا يتعايش الحق والباطل في هذه الأرض. وأنه متى قام الإسلام بإعلانه العام لإقامة ربوبية الله للعالمين، وتحرير الإنسان من العبودية للعباد، رماه المغتصبون لسلطان الله في الأرض ولم يسالموه قط; وانطلق هو كذلك يدمر عليهم ليخرج الناس من سلطانهم ويدفع عن "الإنسان" في "الأرض" ذلك السلطان الغاصب .. حال دائمة لا يكف معها الانطلاق الجهادي التحريري حتى يكون الدين كله لله[320].

لكن يبقى السؤال قائما لماذا لم ينطلق المسلمون الأولون منذ البداية في هذا التدافع؟ ولماذا لم يعلن الرسول والصحابة الجهاد القتالي في الفترة المكية؟ لماذا اكتفوا بجهاد الدعوة السلمية؟ ألم يفهموا - حاشاهم - طبيعة الصراع وضرورة التدافع، واستحالة التعايش بين الحق والباطل!!؟ أم أن الأمر تأجيل مرحلي له ما يبرره؟

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

فلنعرض ما يراه سيد قطب مبررات للرد على هذه التساؤلات والإشكاليات. حيث يقول في معرض هذا السياق:

وكف أيدي المسلمين في مكة عن الجهاد بالسيف مفهوم. لأنه كان مكفولاً للدعوة في مكة حرية البلاغ .. ! فلا ضرورة - في هذه المرحلة - لاستخدام القوة[321]. وذلك إلى أسباب أخرى لعلها كانت قائمة في هذه المرحلة .. ربما كان ذلك لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد. وربما كان ذلك أيضاً، لأن الدعوة السلمية كانت أشد أثراً و أنفذ وربما أدى استعمال القوة إلى نشأة ثارات دموية تكون مرتبطة في أذهانهم بالإسلام. ... وربما كان ذلك أيضاً، اجتناباً لإنشاء معركة

[320]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1437.
[321]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1438 وما يليها. وفيها سرد لأسباب أخرى لعلها كانت قائمة في تلك المرحلة.

ومقتلة في داخل كل بيت ... ثم يقال: هذا هو الإسلام! ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال![322].

وإذا كانت تلك مبررات الكف عن الجهاد في مكة. فلماذا تأخر إعلان الجهاد في المدينة كذلك إلى حين؟ أم أن ذلك أيضا له ما يبرره عند سيد؟

فأما في المدينة - في أول العهد بالهجرة - فقد كانت المعاهدة التي عقدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع اليهود من أهلها ومن بقي على الشرك من العرب فيها وفيما حولها، ملابسة تقتضيها طبيعة المرحلة كذلك .. **أولاً**: لأن المجال أمام الدعوة مفتوح، والتخلية بين الناس وحرية الاعتقاد قائمة. **ثانياً**: أن الرسول [ص] كان يريد التفرغ - في هذه المرحلة - لقريش; التي تقوم معارضتها لهذا الدين حجر عثرة في وجه القبائل الأخرى; الواقفة في حالة انتظار[323].

وإنه من المهم بمكان أن نذكر هنا أن سيد قطب يؤمن بالمرحلية وضغط الظروف المحيطة والملابسات الواقعية، سواء داخل الصف الإسلامي أوخارجه على اختيار الوسيلة المناسبة لمواجهة الواقع، حتى وإن كانت الوسيلة نصوصا مرحلية عنده وليست نهائية.

وبعبارة أخرى أنه لا يرى أن النصوص النهائية المتعلقة بالجهاد قد نسخت ما قبلها من نصوص مرحلية ومن ثم فلا يجوز العودة إليها كما قد يفهم من ظاهر كلامه. وإنما تقدر الضرورات بقدرها وفق مبدأ الاجتهاد لجلب أكثر المصالح والمنافع للمسلمين ودرء المفاسد قدر الوسع والاستطاعة.

وحري بنا هنا أن نسجل أن هذه أحد المواضع التي يرى الباحث أن بعض من يدّعون أنهم على نهج سيد سائرون لم يفقهوها جيدا. فقد أغفل البعض النظر إلى

[322]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1438.
[323]) **المصدر السابق** ، ج 3، ص 1439.

نتائج الوسائل المعتمدة في تغيير المنكر وإحقاق الحق والمعروف. في حين أن عبارات سيد قطب في أهمية المآلات والنتائج واضحة، وضوح الشمس في رابعة النهار، عندما تحدث عن مبررات كف أيدي المسلمين في المرحلة المكية، قائلا:

> وربما كان ذلك أيضاً، لأن الدعوة السلمية كانت أشد أثراً وأنفذ، وربما أدى استعمال القوة إلى نشأة ثارات دموية تكون مرتبطة في أذهانهم بالإسلام. ... وربما كان ذلك أيضاً، اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت ... ثم يقال: هذا هو الإسلام! ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال![324].

6-4 وسائل الجهاد

يمكن تلخيص الوسائل المطلوبة في حركة الجهاد الإسلامي عند سيد قطب إلى قسمين رئيسيين وهما : الحركة والبيان. وإذا كان "البيان" يواجه العقائد والتصورات، فإن "الحركة" تواجه العقبات المادية الأخرى - وهما معاً - البيان والحركة - لا بد منهما لانطلاق حركة التحرير للإنسان في الأرض .. "الإنسان" كله في "الأرض" كلها.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

والباحث يرى أن هنالك خللا كبيرا في قراءة وسائل ومنهجية التغيير عند سيد قطب، من قبل المتحمسين لفكرة الجهاد بالسيف التي دعا إليها، مع زهدهم في اعتماد وسائل الجهاد السلمي، أو ازدراء من تبنوه (أعني الجهاد السلمي) نهجا في مقارباتهم للتغيير. إنهم يغفلون عن أن سيد قطب نفسه مثل ما أكد على ضرورة مواجهة العقبات المادية بالحركة والقوة ووسائل مكافأة لها، جديرة بدحر تلك العقبات بأنواعها، فقد أكد وبنفس عبارات التوكيد وبنفس الدرجة على أن لا مجال لاستعمال تلك القوة في مواجهة العقائد والتصورات والفلسفات والأيدولوجيات

[324]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1438.

طالما أنها تمثلت في هذه الطبيعة النظرية ولم تتحول إلى عقبات مادية. وذلك ما تعبر عنه نصوص كتاباته في أكثر من مكان[325] حيث يقول:

> وكف أيدي المسلمين في مكة عن الجهاد بالسيف مفهوم. لأنه كان مكفولاً للدعوة في مكة حرية البلاغ .. ! فلا ضرورة - في هذه المرحلة - لاستخدام القوة[326].

وأكد ذلك مرة أخرى حينما ساق فكرة دوران الوسائل المعتمدة في دحر الباطل وإقامة النظام الإسلامي، مع طبيعة الواقع الذي تواجهه وتستهدف تغييره. وقد ساقها بعبارات المسلم العظيم أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان. وقد اقتبس سيد قطب فقرات طويلة مما كتبه المودودي تحت عنوان "الجهاد في سبيل الله" واصفا إياه بالمبحث القيم ويرى في الفقرات التي اقتبسها أن "لا غنى عنها لقارئ يريد رؤية واضحة دقيقة" حول الجهاد، ومما جاء فيها قوله :

> وتحقيقاً لهذه الغاية السامية يريد الإسلام أن يستخدم جميع القوى والوسائل التي يمكن استخدامها لإحداث انقلاب علمي شامل; ويبذل الجهد المستطاع للوصول إلى هذه الغاية العظمى; ويسمي هذا الكفاح المستمر، واستنفاد القوى البالغ واستخدام شتى الوسائل المستطاعة "بالجهاد". فالجهاد كلمة جامعة تشتمل جميع أنواع السعي وبذل الجهد. وإذا عرفت هذا فلا تعجب إذا قلت: إن تغيير وجهات أنظار الناس وتبديل ميولهم ونزعاتهم، وإحداث انقلاب عقلي وفكري بواسطة مرهفات الأقلام نوع من أنواع الجهاد، كما أن القضاء على نظم الحياة العتيقة الجائرة بحد السيوف، وتأسيس نظام جديد على قواعد العدل والنصفة أيضاً من أصناف الجهاد. وكذلك بذل الأموال، وتحمل المشاق، ومكابدة الشدائد أيضاً فصول وأبواب مهمة من كتاب "الجهاد" العظيم[327].

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

---

[325]) يراجع ما نقلناه عن سيد قطب وتعليقنا عليه عند الحديث عن طبيعة الدين والسمة الأولى في هذا الخصوص، ص 141 من هذا البحث؟

[326]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1438 وما يليها. وفيها سرد لأسباب أخرى لعلها كانت قائمة في هذه المرحلة.

[327]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1447.

يلاحظ الباحث هنا أن الإستشهادات التي ذكرها نقلا عن المودودي تؤكد للباحث تأثر سيد بمقاربة المودودي. غير أن الأخير كان يكتب من أطراف العالم الإسلامي ويأخذ في اعتباره حساسية الأقليات المسلمة في عرضه لمقاربته، لكن سيد قطب كان يكتب من قلب العالم الإسلامي فصدعه بآرائه بكل جرأة.

وبمناسبة الحديث عن القضاء على نظم الحياة الجائرة بحد السيوف، وتأسيس نظام جديد على قواعد العدل والنصفة، وبذل الأموال، وتحمل المشاق، ومكابدة الشدائد واعتبار كل ذلك من أصناف الجهاد، ترد هنا قضية العمليات "الاستشهادية" ومدى مشروعية اعتبارها أحد وسائل الجهاد في الواقع الفلسطيني. فتلك قضية حيوية تجدر مناقشتها، وتلمس اختلاف وجهات النظر حولها بين اعتبارها "إرهابية" أو "انتحارية" أو "استشهادية". وفي ما يلي بسط ونقاش موجز لها.

* العمليات "الاستشهادية"

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

يرى بعض العلماء[328] أن العمليات التي تقوم بها فصائل المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال عمليات "استشهادية"، والسلاح الوحيد أمام الفلسطينيين في مواجهة العدو الإسرائيلي. واعتبروها غير داخلة في دائرة الإرهاب المجرّم والمحظور بحال من الأحوال، وإن كان من ضحاياها بعض المدنيين، وذلك لعدة أسباب:

أولا: المجتمع الإسرائيلي - بحكم تكوينه الاستعماري الاستيطاني الاحلالي العنصري الاغتصابي - مجتمع عسكري لحما ودما ... وهؤلاء الذين يسمونهم (مدنيين) هم في حقيقة أمرهم (عساكر).

[328]) كالدكتور القرضاوي في بحوثه وما أفتى به حول هذه القضية, وحسن أيوب. انظر أيوب، حسن، **فقه الجهاد في الإسلام**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر, ص 91.

ثانيا: من حق المغزو أن يحارب غزاته بكل ما يستطيع من وسائل، ليخرجهم من داره، ... ولا عليه أن يصيب دفاعه رجالهم أو نساءهم، كبارهم أو صغارهم. ومن سقط من الأطفال الأبرياء فليس مقصودا، إنما سقط تبعا لا قصدا، ولضرورة الحرب.

ثالثا: الشريعة الإسلامية ـ التي هي مرجعنا الأوحد في شؤوننا كلها ـ تصف غير المسلمين بأحد وصفين لا ثالث لهما، وهما: مسالم ومحارب. فأما المسالم، فالمطلوب منا أن نبره ونقسط إليه، وأما المحارب فالمطلوب منا أن نحاربه، ونقابل عدوانه بمثله، فقد أسقط بحربه وعدوانه على المسلمين عصمة دمه وماله.

رابعا: اتفق جمهور فقهاء المسلمين على جواز قتل المسلمين إذا تترس بهم الجيش المهاجم للمسلمين، وهو من باب (فقه الموازنات) بين المصالح والمفاسد بعضها وبعض. فإذا جاز قتل المسلمين الأبرياء المكرهين للحفاظ على جماعة المسلمين الكبرى، فأن يجوز قتل غير المسلمين، لتحرير أرض المسلمين من محتليها الظالمين: أحق وأولى.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

خامسا: أن الحرب المعاصرة تجند المجتمع كله، فكل مواطن في المجتمع عليه دور يؤديه في إمداد المعركة، وهو في مكانه، فالجبهة الداخلية كلها ـ بما فيها من حرفيين وعمال وصناع ـ تقف وراء الجيش المحارب، وإن لم تحمل السلاح.

سادسا: أن الأحكام نوعان: أحكام في حالة السعة والاختيار، وأحكام في حالة الضيق والاضطرار، والمسلم يجوز له في حالة الاضطرار ما لا يجوز له في حالة الاختيار. والفلسطينيون في حالة ضرورة ماسة وقاهرة، للقيام بهذه العمليات الاستشهادية، لإقلاق أعدائهم وغاصبي أرضهم، حتى يعزموا على الرحيل. ولولا ذلك لكان عليهم أن يستسلموا لما تفرضه عليهم الدولة الصهيونية من مذلة وهوان.

في مقابل تلك المبررات التي قدمها المجيزون فإن الذين يعارضون[329] العمليات "الاستشهادية" يعارضونها لأسباب ثلاثة:

أولا: أنها تدخل في دائرة (الانتحار) أي قتل النفس، وإلقائها في التهلكة، والانتحار من أكبر المحرمات في الإسلام.

ثانيا: أنها كثيرا ما تصيب المدنيين الذين لا يحاربون من النساء والأطفال، وهؤلاء يحرم قتلهم في الإسلام، حتى في حرب المواجهة في الجيوش، وحتى الرجال الذين يُقتلون هم من المدنيين الذين لا يحملون السلاح.

ثالثا: أنها أدت إلى إلحاق الأذى والضرر بالفلسطينيين، بسبب عمليات الانتقام الفظيعة التي تقوم بها دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل) من قتل وتدمير وإحراق واستباحة للمحرمات. فلو كانت مشروعة أصلا لأصبحت محظورة بنتائجها وآثارها. والنظر إلى (مآلات الأفعال) مطلوب شرعا، إذ أن "الشرائع كلها وبخاصة شريعة الإسلام جاءت لما فيه صلاح البشر في العاجل والآجل، أي في حاضر الأمور وعواقبها"[330].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

* الرد على شبهات المعارضين

وأورد الدكتور القرضاوي رده على شبهات المعارضين، إذ قال فأما الذين يعارضون العمليات الاستشهادية بأنها نوع من (الانتحار) أو (قتل النفس) فهم جد مخطئين، فإن الهدف مختلف تماما بين (الاستشهادي وبين المنتحر) من ناحية

---

[329]) كالدكتور حسن سفر الذي يرى تحريم العمليات الفدائية الاستشهادية، آخذا بقواعد السياسة الشرعية، ومستشهدا ببعض ما أورده الشيخ أحمد بن تيمية في هذا الخصوص.

[330]) محمد الطاهر ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، الطبعة الأولى، 1425هـ / 2004م، بتحقيق ومراجعة: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ج 3، ص 36.

أخرى: من يحلل نفسية (الاستشهادي) ونفسية (المنتحر) يجد بينهما بونا شاسعا. فإذا كان المنتحر يموت فارا منسحبا، فإن الاستشهادي يموت مقداما مهاجما.

أما شبهة إصابة المدنيين ممن لا يحملون السلاح، فالرد على هذه الشبهة هو أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري كله، وأنه مجتمع من الغزاة. وبالنسبة للأطفال، فإن الاستشهاديين لا يتعمدون قتل الأطفال، ولا يقصدون ذلك أصلا، ولكن هذا يأتي تبعا، وبحكم الضرورة التي لا يمكن تخطيها.

وأما شبهة الإضرار بالفلسطينيين، وأنها عادت عليهم بالقتل والتدمير والإحراق، بسبب عمليات الانتقام الصهيونية، فان ذراع إسرائيل أطول، وقدرتها على الانتقام أقوى، وهي تكيل بالصاع صاعين، بل عشرة أصوع.

فنجيب بما يلي:

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

أولا: إن إسرائيل كانت دائما هي البادئة بالشر والأذى، والمقاومة هي التي تحاول أن ترد وتدافع عن نفسها. ويكفي أن إسرائيل بحكم الشرعية الدولية تعتبر دولة محتلة لأرض الغير، وأن الفلسطينيين يدافعون عن وطنهم المحتل، ويقاومون عدوا غازيا لهم.

ثانيا: إن هذا العدوان طبيعة في إسرائيل، منذ قامت وإلى اليوم. فلو أغمد الفلسطينيون أسلحتهم الخفيفة القليلة لاستمر الإسرائيليون يقتلون ويذبحون ويدمرون.

ثالثا: لا ينبغي أن نضخم في أثر الضربات الإسرائيلية على الفلسطينيين، ونغفل آثار الضربات الاستشهادية في الكيان الغاصب.

7-4 أهداف الجهاد وغاياته

جاء بسط غايات الجهاد في الإسلام عند العديد من الكتاب والهيآت مركزا على المعاني المشتركة بين الإنسانية كاعتباره شرع لنصرة الحق، ودفع الظلم، وبسط العدل والسلام والأمن، "وللدفاع عن الوطن ضد احتلال الأرض ونهب الثروات، وضد الاستعمار الاستطاني الذي يخرج الناس من ديارهم، وضد الذين يظاهرون ويساعدون على الإخراج من الديار، وضد الذين ينقضون عهودهم، ولدفع فتنة المسلمين في دينهم، أو سلب حريتهم في الدعوة السلمية إلى الإسلام"[331].

ومن ثم فقد وقع إخراج غايات الجهاد غير متلبسة بأي شيء من الإرهاب والإكراه على العقيدة، حيث لا يمكن بأي حال التسوية بين إرهاب أولئك الطغاة المعتدين على الأوطان والكرامة الإنسانية، والجائرين على المقدسات والثروات من جهة، وبين ممارسة من يتمسك بالحق في الدفاع المشروع، فيجاهد مع المستضعفين في الأرض لاستخلاص حقوقهم المشروعة ودفع المظالم المسلطة عليهم. وذلك مما يقضي على الإرهاب بكل صوره، كما يؤسس لعلاقات بين الشعوب تسودها معاني البر والقسط كما دعا لذلك القرآن السلمين في قوله تعالى: [لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] (الممتحنة: 8-9).

وركزت العديد من الكتابات الإسلامية على أن تجاهل العدالة في حل المشكلات الإنسانية وانتهاج أسلوب القوة والاستعلاء في العلاقات الدولية، قد أدى إلى كثير

---

[331]) رابطة العالم الإسلامي، الأمانة العامة - مكة المكرمة، **موقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب**، انظر بيان مكة المكرمة الصادر عن الدورة السادسة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي، بالقسم العربي من الكتاب، ص 12-13. وبالقسم الإنجليزي، ص 14.

من الويلات والحروب. كما أكدت على أن دين الإسلام يحرم الإرهاب ويمنع العدوان، ويؤكد على معاني العدالة والتسامح وسمو الحوار والتواصل بين الناس.

بل إن المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي دعا كل الشعوب والمنظمات والهيآت الدولية إلى "التعرف على الإسلام من مصادره الأساسية، لمعرفة ما فيه من حلول لمشكلات البشرية، وأنه دين للناس جميعا، وأنه يمنع العدوان، قال تعالى: [وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ] (البقرة: 190)[332].

وفي مقابل تلك المقاربات التي اتجهت إلى التركيز على القيم الإنسانية المشتركة، معتبرة الهدف الأساسي للجهاد إنما هو على حد تعبير الغنوشي: "الدفاع عن الحرية ومقاومة الاستبداد بكل أشكاله"[333]، فإن سيد قطب قد بنى مقاربته لأهداف الجهاد وغاياته في الإسلام على نظرة هذا الدين وتصوره الخاص لغاية الوجود الإنساني. وفيما يلى يبسط الباحث مقاربته تلك.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

غاية الجهاد من غاية الوجود الإنساني في التصور الإسلامي

مثلما بنى سيد قطب حديثه عن طبيعة الجهاد على أساس طبيعة الدين ذاته فهو هنا يعيد تطبيق ذات المنهج؛ فها هو ذا يتحسس غاية الجهاد في الإسلام من خلال بسطه لغاية الوجود الإنساني، بل غاية الوجود كله وفقا للتصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة. فقد اهتبل أول فرصة سانحة، لدى أول آية في القرآن تتعلق بموضوع الجهاد وفقا لترتيب المصحف، ليسوق تأطيره لمفهوم الجهاد وأهدافه عند تفسيره لقوله تعالى: [وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ

---

[332]) رابطة العالم الإسلامي، الأمانة العامة - مكة المكرمة، **موقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب**، انظر بيان مكة المكرمة الصادر عن الدورة السادسة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي، بالقسم العربي من الكتاب، ص 14. وبالقسم الإنجليزي، ص 15.

[333]) راشد الغنوشي، **حوارات قصي صالح الدرويش**، 1992م، Khalil Media Service، لندن - بريطانيا، ص 36.

الْمُعْتَدِينَ ۝ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ] (البقرة 190-191). حيث أردف ذلك بقوله:

"ولعله يحسن أن نقول كلمة مجملة عن الجهاد في الإسلام، تصلح أساسا لتفسير آيات القتال هنا، وفي المواضع القرآنية الأخرى، قبل مواجهة النصوص القرآنية في هذا الموضع بصفة خاصة:

لقد جاءت هذه العقيدة في صورتها الأخيرة التي جاء بها الإسلام; لتكون قاعدة للحياة البشرية في الأرض من بعدها، ولتكون منهجا عاما للبشرية جميعها; ولتقوم الأمة المسلمة بقيادة البشرية في طريق الله وفق هذا المنهج، المنبثق من التصور الكامل الشامل لغاية الوجود كله ولغاية الوجود الإنساني، كما أوضحهما القرآن الكريم، المنزل من عند الله. قيادتها إلى هذا الخير الذي لا خير غيره في مناهج الجاهلية جميعا، ورفعها إلى هذا المستوى الذي لا تبلغه إلا في ظل هذا المنهج، وتمتيعها بهذه النعمة التي لا تعدلها نعمة، والتي تفقد البشرية كل نجاح وكل فلاح حين تحرم منها، ولا يعتدي عليها معتد بأكثر من حرمانها من هذا الخير، والحيلولة بينها وبين ما أراده لها خالقها من الرفعة والنظافة والسعادة والكمال.

ومن ثم كان من حق البشرية أن تبلغ إليها الدعوة إلى هذا المنهج الإلهي الشامل، وألا تقف عقبة أو سلطة في وجه التبليغ بأي حال من الأحوال.

ثم كان من حق البشرية كذلك أن يترك الناس بعد وصول الدعوة إليهم أحرارا في اعتناق هذا الدين; لا تصدهم عن اعتناقه عقبة أو سلطة. فإذا أبى فريق منهم أن يعتنقه بعد البيان، لم يكن له أن يصد الدعوة عن المضي في طريقها. وكان عليه أن يعطي من العهود ما يكفل لها الحرية والاطمئنان ; وما يضمن للجماعة المسلمة المضي في طريق التبليغ بلا عدوان..

فإذا اعتنقها من هداهم الله إليها كان من حقهم ألا يفتنوا عنها بأي وسيلة من وسائل الفتنة. لا بالأذى ولا بالإغراء. ولا بإقامة أوضاع من شأنها صد الناس عن الهدى وتعويقهم عن الاستجابة. وكان من واجب الجماعة المسلمة أن تدفع عنهم بالقوة من يتعرض لهم بالأذى والفتنة. ضمانا لحرية العقيدة، وكفالة لأمن الذين هداهم الله، وإقرارا لمنهج الله في الحياة، وحماية للبشرية من الحرمان من ذلك الخير العام.

وينشأ عن تلك الحقوق الثلاثة واجب آخر على الجماعة المسلمة; وهو أن تحطم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس في حرية، أو تهدد حرية اعتناق العقيدة وتفتن الناس عنها. وأن تظل تجاهد حتى تصبح الفتنة للمؤمنين بالله غير ممكنة لقوة في الأرض، ويكون الدين لله.. لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان. ولكن بمعنى استعلاء دين الله في الأرض، بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول; ولا يخاف قوة في الأرض تصده عن دين الله أن يبلغه، وأن يستجيب له، وأن يبقى عليه. وبحيث لا يكون في الأرض وضع أو نظام يحجب نور الله وهداه عن أهله ويضلهم عن سبيل الله. بأية وسيلة وبأية أداة.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

وفي حدود هذه المباديء العامة كان الجهاد في الإسلام. وكان لهذه الأهداف العليا وحدها[334]، غير متلبسة بأي هدف آخر، ولا بأي شارة أخرى.

إنه الجهاد للعقيدة. (1) لحمايتها من الحصار; وحمايتها من الفتنة; (2) وحماية منهجها وشريعتها[335] في الحياة; (3) وإقرار رايتها في الأرض بحيث يرهبها من

---

[334]) قارن ما أورده سيد قطب من أهداف ومبررات للجهاد، مع الأغراض الأساسية الخمسة التي سجلها حسن البنا في رسائله. وهي بإيجاز:
[1 - رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين. 2 - تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاول الكافرون أن يفتنوهم عن دينهم. 3- حماية الدعوة حتى تبلغ إلى الناس جميعا ويتحدد موقفهم منها تحديدا واضحا. 4 - تأديب ناكثي العهد من المعاهدين أو الفئة الباغية على جماعة المؤمنين التي تتمرد على أمر الله وتأبى حكم العدل والإصلاح. 5 - إغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا والانتصار لهم من الظالمين.] وانظر تفاصيلها في: حسن البنا، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، ص 399-401. (طبعة غانا).

[335]) يلفت الباحث الانتباه إلى تركيز شريعتي على دفع الظلم، بينما لا يعير ذات الإهتمام الذي يوليه سيد قطب لتطبيق الشريعة. وللوقوف على ذلك انظر:
Yasien Mohamed, 1996. Fitrah and Jihad in the Thought of Shari`ati and Qutb. ***Journal for Islamic Studies***, p 10.

يهم بالاعتداء عليها قبل الاعتداء; وبحيث يلجأ إليها كل راغب فيها لا يخشى قوة أخرى في الأرض تتعرض له أو تمنعه أو تفتنه.

وهذا هو الجهاد الوحيد الذي يأمر به الإسلام، ويقره ويثيب عليه; ويعتبر الذين يقتلون فيه شهداء; والذين يحتملون أعباءه أولياء"[336].

لقد ظهر للباحث من خلال دراسته لأهداف الجهاد عند سيد قطب وبالأخص عند وقفته مع الآية 190 من سورة البقرة أنه اعتمد مقاربة مبنية على أساس عقيدي، وهذا وإن كان مفهوما باعتباره يكتب لقارئ مسلم، يتفق معه في العقيدة ويبغي الوقوف على تفسير آيات القرآن التي يؤمن بها ابتداء كما يؤمن بعصمة كلام الله، فإنه قد تجاهل في مقاربته الآخر الذي يختلف معه في العقيدة والدين. فقد وجه حديثه للقارئ المسلم فقط دون غيره، مما أثر على قدرة هذه المقاربة على إقناع غير المسلم بفائدة تلك الأهداف، باستثناء تلك القيم المشتركة بين كل الناس كالحرية في العقيدة والدين وحرية الدعوة لهما.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

كما يلاحظ الباحث أن سيد قطب قد اتخذ هذه الآية بداية لبسط حجته في اثبات الغاية من الوجود ككل، ومن الوجود الإنساني خاصة ومن ثم من الدين الإسلامي والغاية من الجهاد. وذلك ما أعطى الباحث انطباعا على تحفزه للحديث عن الجهاد، إذ اهتبل أول آية متعلقة بالجهاد في ترتيب المصحف لبسط وتأطير الجهاد ضمن التصور الإسلامي للكون والإنسان ووظيفته في الحياة.

وعندما تحدث عن مبدأ الجهاد للعقيدة استخدم كلمة " الأرض" و"البشرية جميعا"، وفي التعبيرين وغيرهما معان شمولية لإطلاق هدف الجهاد في سائر الكرة الأرضية وكل الشعوب، بغض النظر عن أن تلك الأرض أو الشعوب إسلامية أو

[336]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 1، ص 207-206، (بتصرف).

غير ذلك. ولعل ذلك ما استدعى الإشكالية التي ترد على مقاربته أنه أطلق عنان الكلام حتى أساء البعض فهمها، خاصة في البلاد ذات الأقليات المسلمة، مما دفعهم إلى اجتهادات فردية قائمة على تفسيرات خاطئة فبدؤوا باستخدام العنف كنوع من أنواع الجهاد في ظنهم، وإن هم إلا يخرصون. وذلك مما انعكس سلبا على صورة الإسلام والمسلمين.

أ- الانقلاب العالمي

اعتمد سيد قطب على فكرة الانقلاب العالمي التي بشر بها المودودي وملخص الفكرة كما وردت نقلا عنه هي أن:

> الإسلام فكرة انقلابية [Revolutionary] ومنهاج انقلابي يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره ويأتي بنيانه من القواعد، ويؤسس بنيانه من جديد حسب فكرته ومنهاجه العملي .. ومن هناك تعرف أن لفظ" المسلم" وصف للحزب الانقلابي العالمي [International Revolutionary] الذي يكونه الإسلام، وينظم صفوفه، ليكون أداة في إحداث ذلك البرنامج الانقلابي الذي يرمي إليه الإسلام، ويطمح إليه ببصره. والجهاد عبارة عن الكفاح الانقلابي [Revolutionary Struggle] عن تلك الحركة الدائبة المستمرة التي يقام بها للوصول إلى هذه الغاية، وإدراك هذا المبتغى[337].

وفقا لما تراه Armstrong فإن المودودي، الذي ألهم سيد قطب كان المفكر المسلم الأول الذي أكد على "الجهاد العنيف"، وابتدع فكرة مركزية الجهاد. فقد كتبت في هذا الصدد قائلة:

> وحتى وقت قريب، لم يزعم أي مفكر مسلم في أي وقت مضى أنه (الجهاد) كان عقيدة في الإسلام. إن أول من ادعى هذا الزعم المثير للجدل - والمبتدَع الذي يبلغ

[337]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1446.

حد الهرطقة - كان المنظر الباكستاني أبو الأعلى المودودي في عام 1939م. ومثل قطب، فقد كان شديد الوعي بأن هذا الابتداع لا يمكن تبريره، إلا بوحشية الحداثة الملحدة[338].

وقد صاغ سيد قطب الفكرة في مصطلحات من نحته مع الحفاظ على جوهرها ومضمونها. فأخرجها على النحو التالي تأسيسا على ألفاظ قرآنية:

ب- أن يكون الدين كله لله

ومعنى أن يكون الدين لله بعبارات تفسيرية أخرى؛ أي أن الدينونة لله بلا إكراه على العقيدة. ولنبين هذا بعبارات سيد نفسه حيث يقول في شرح ذلك:

إنه لم يكن من قصد الإسلام قط أن يكره الناس على اعتناق عقيدته .. ولكن الإسلام ليس مجرد "عقيدة" .. إن الإسلام كما قلنا إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد. فهو يهدف ابتداء إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان[339] .. ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً - بالفعل - في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم - بعد رفع الضغط السياسي عنهم وبعد البيان المنير لأرواحهم وعقولهم - ولكن هذه الحرية ليس معناها أن يجعلوا إلههم هواهم; أو أن يختاروا بأنفسهم أن يكونوا عبيداً للعباد! وأن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله! .. إن النظام الذي يحكم البشر في الأرض يجب أن تكون قاعدته العبودية لله وحده؛ وذلك بتلقي الشرائع منه وحده[340]. ثم ليعتنق كل فرد - في ظل هذا النظام العام - ما يعتنقه من عقيدة! وبهذا

---

[338]) Karen Armstrong, 2006. Violent Islamic radicals know they are heretical: Extremists are proud of their deviance, and moderate Muslims can't be held responsible. ***The Guardian***, 8 July 2006.

[339]) للمقارنة والوقوف على استعمال ذات الأفكار وأحيانا العبارات عينها، انظر بيان الناطق باسم تنظيم القاعدة تعليقا على أحداث 9/11؛ سليمان أبو غيث، تحت ظلال الرماح، في كتاب:
David Cook, 2005. ***Understanding Jihad***, pp 189-195.

[340]) نشير هنا إلى أن سيد قطب لم يكن مبتدعا جديدا في القول بالحاكمية، انظر للتدليل على ذلك كتب الأصوليين (علماء أصول الفقه) مثل: محمد (أبو حامد) الغزالي، **المستصفى**، الطبعة الثالثة, 1414هـ

يكون "الدين" كله لله. أي تكون الدينونة والخضوع والإتباع والعبودية كلها لله .. إن مدلول "الدين" أشمل من مدلول "العقيدة " .. إن الدين هو المنهج والنظام الذي يحكم الحياة وهو في الإسلام يعتمد على العقيدة. ولكنه في عمومه أشمل من العقيدة .. وفي الإسلام يمكن أن تخضع جماعات متنوعة لمنهجه العام الذي يقوم على أساس العبودية لله وحده ولو لم يعتنق بعض هذه الجماعات عقيدة الإسلام"[341].

8-4 سيد قطب: داعية تحرير أم إرهاب

في هذا العنصر نحاول الإجابة على إشكالية البحث ألا وهي: هل تمثل مقاربة سيد قطب للجهاد دعوة متميزة أو ترويجا للإرهاب، باعتبارها قاعدة أيديولوجية لموجة الأعمال الموسومة بالإرهابية، والتي غالبا ما تنسب للجماعات الجهادية الدولية؟ أم أن كتاباته تمثل حقا دعوة لتحرير البشرية من القيود والأغلال التي ترسف فيها، في جميع أشكالها؛ طغيانا وظلما واضطهادا، ومن ثم فهي دعوة لتسليم قِيادِ تلك البشرية للسلطان العادل؛ سلطان الله وحده؟

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

إن إلقاء نظرة ولو عابرة على المواقف المختلفة للكتاب والمحللين الذين خاضوا في سيرة سيد قطب وعلاقته بالإرهاب وجماعاته، تظهر أن أكثرها متراوحة بين الإفراط والتفريط منتصرة له أو متجنية عليه من أجل ذلك رغبت عنها. ومن ثم فقد يممت وجهي نحو غيرها مما اتسم بالنقد على بصيرة وبالموضوعية مع حسن العرض والدقة والقوة في التحليل والتجرد في الأحكام والنتائج سواء اتفقت معها أو اختلفت.

/ 1993م, دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان, ج 1، ص 8. انظر تقريره أن لا حكم إلا لله حيث يقول: "وأن لا حكم للرسول، ولا للسيد على العبد، ولا لمخلوق على مخلوق، بل كل ذلك حكم الله تعالى ووضعه، لا حكم لغيره".

[341]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 3، ص 1435.

فمن تلك الكتابات التي تعكس ذلك الاختلاف الذي يبلغ - أحيانا - حد التناقض في تحليلها وأحكامها، والصادرة عن مختلف الكتاب، نذكر على سبيل المثال، مقارنة بين آراء راشد الغنوشي، زعيم حركة النهضة التونسية، والرجل المعاصر لسيد قطب، وبين قراءة المؤرخة كارين أرمسترونغ (Karen Armstrong).

إذ يبدو للباحث أن أرمسترونغ (Armstrong)، لا تبدي تفهما للسياق والملابسات التي أدت إلى تشكيل أفكار سيد قطب وآرائه. كما أن كارين أرمسترونغ تعتبر سيد قطب أبا الجهاد المعاصر، بل إنها تمضي أقصى من ذلك قائلة: إن جهاد اليوم يجب أن يطلق عليه الجهاد القطبي (Qutbian Jihad). في حين أن الغنوشي، يحتفظ باحترام وتقدير عميقين لمساهمة سيد قطب في الفكر الإسلامي. ويرى أن جماعات الجهاد الدولي أساؤوا فهمه وجانبوا الحق في تأويل نصوصه. وأكد الغنوشي على أن دعوة سيد قطب للجهاد إنما هي دعوة لتحرير البشرية.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ويبدو للباحث أن كتابات الغنوشي حول سيد قطب تعكس بوضوح كامل أنه قد أَلِفَ التعاطي مع أعماله وله دراية دقيقة بمؤلفاته، بل تنم في مواضع كثيرة من كتاباته عن هضم جيد لها. وربما زاده قربا منها أنهما عاشا في الخندق ذاته، وقاد كل منهما نحت فكر الحركات الإسلامية، وواجه مثل قطب التعذيب وذاق طعم الظلم والطغيان وحوكم بالسجن والإعدام.

فالغنوشي يتطرق لأعمال سيد قطب في سياقها الذي كتبت فيه؛ ظروف القمع والتعذيب والانتهاكات والسجون التي تعرض لها في ظل وطأة قمع النظام الناصري[342]. كما أن تحليلات وتقويمات وأحكام الكاتب السعودي الشيخ الدكتور سلمان العودة، جاءت في عمومها، لتعكس كذلك اعتبار السياق في الأحكام على الأشياء. فكأنها كانت رجع صدى بعيد لآراء رئيس حركة النهضة التونسية.

[342]) Gilles Kepel, 2006. ***Jihad: The Trial of Political Islam***, p 31.

وقد ركز العديد من المتهمين لسيد قطب بالتطرف وترويج الإرهاب على كتابه "معالم في الطريق"، الذي ضمنه شرح مفاهيم الحاكمية والجاهلية والجهاد، واستشهدوا بمقاطع منه على ذلك. حتى أن الكاتب (Appleby) - في سياق تعليقه على أحداث 2001/9/11م وعلاقتها بفكر سيد قطب - أورد الزعم القائل بأن كتابه "معالم في الطريق" أصبح يمثل "بيان التطرف السني، والمبرر للإرهاب"[343]، على الرغم من عدم وجود أي نص في كتاباته يشير إلى استباحته قتل الأبرياء. ووفقا لهذا المؤلف سالف الذكر (Appleby)، فإن سيد "قطب نفسه تبرأ من أي نية في إلحاق الضرر بالأشخاص، زاعما أن الإسلاميين لا يهاجمون إلا المؤسسات فقط، في حين أن أحد العلماء المتعاطفين وصفه بأنه 'الفيلسوف الذي تحاشى العنف'"[344].

والباحث يتفق مع وجهة النظر التي تفرق بين الحديث عن الجهاد ضد الأهداف المشروعة وبالضوابط الشرعية التي حددتها الشريعة الإسلامية من جهة، وبين الدعوة في مقابل ذلك لقتل الأبرياء وإزهاق الأرواح المسالمة التي لم تعلن عداءها للإسلام والمسلمين ولم تظاهر عليهم أحدا. حيث أنه من الأهمية بمكان أن يسجل الباحث هنا أنه "ينبغي أن يكون واضحا في هذه المرحلة، أنه على الرغم من أن "معالم في الطريق" قد دعا إلى الجهاد المسلح، فإن ذلك الجهاد لم يكن موجها إلى المدنيين الأبرياء، وإنما إلى نظم الحكم الفاسدة"[345] والبغاة المعتدين على حق أي إنسان في الأرض في الإختيار الحر، حتى وإن كان ذلك الاختيار غير عقيدة الإسلام.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

---

[343]) R. Scott Appleby, 2003. History in the Fundamentalist Imagination. In Meyerowitx, J (ed). ***History and September 11th***, Philadelphia: Temple University Press, pp167-168.

[344]) Ibid. pp 169-170.

[345]) Yasien Mohamed, 2006. 'Muslim Fundamentalism: The Case Of Sayyid Qutb'. Presented at the conference 'Defining fundamentalism and religious conservatism in South Africa', Department of Religion and Theology, University of the Western Cape.

أما التذرع بأن سيد قطب إنما يصدر في مقاربته للجهاد عن حقد على الغرب وحضارته ومكتسباته فهو تعليل فاسد حتى لدى بعض المنصفين الغربيين. فهذه المؤرخة (Karen Armstrong) تعبر عن تهافت تلك الفرضية، حيث تؤكد أنه بالرغم من أن سيد قطب "ليس لديه أي حب للغرب"، فإن الجهاد الذي دعا إليه كان موجها أساسا ضد الحكام المحليين (داخل بلاد المسلمين). "ولم يحدث - إلا في وقت لاحق -، أن حول الأصوليون [أتباع إيديولوجيته]، غضبهم ضد عدو أجنبي"[346].

ولا يزال قطب في أعين بعض رجال الصحافة الغربيين؛ "فيلسوف الإرهاب الإسلامي"[347]، والرجل "الذي ألهم بن لادن"[348]، وعددا من كبار أعضاء تنظيم القاعدة. ففيما يختص بشأن الرجل الثاني في القيادة في تنظيم القاعدة، الدكتور أيمن الظواهري، فقد "انطلق وقد علم معالم الطريق من سيد قطب رحمه الله.."[349]، وفقا لهاني السباعي مدير مركز الدراسات التاريخية بلندن. وفي الواقع، فإن الرأس المطلوب في المرتبة الثانية بعد ابن لادن من قبل رئيس إدارة البيت الأبيض ليس إلا الدكتور الظواهري، الذي يفخر بارتباطه بسيد قطب، ويؤكد ذلك في كتاباته من مخبئه في جبال أفغانستان قائلا:

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

> إن إعدام قطب، أكسب كلماته بعدا لم يكتسبه كثير من كلمات غيره، فقد أصبحت هذه الكلمات «معالم طريق» طويل للأصوليين، ونموذجا للصدق في القول وقدوة للثبات على الحق. ... وظن الحكم الناصري أن الحركة الإسلامية قد تلقت ضربة

---

[346]) Karen Armstrong, 2006. 'Violent Islamic radicals know they are heretical: Extremists are proud of their deviance, and moderate Muslims can't be held responsible'. ***The Guardian***, 8 July 2006.

[347]) Paul Berman, 2003. 'The Philosopher of Islamic Terror'. ***New York Times***, 23 March 2003.

[348]) Robert Irwin, 2001. 'Is this the man who inspired Bin Laden?'. ***The Guardian***, 1 November 2001.
http://www.guardian.co.uk/g2/story/0,3604,584478,00.html

[349]) هاني السباعي، تعليق على كتاب (أيمن الظواهري كما عرفته) للأستاذ منتصر الزيات، **جريدة الشعب**، 25 جانفي 2002م، مصر. الرابط:
http://www.alshaab.com/old/GIF/25-01-2002/A5.HTM

قاضية بقتل سيد قطب ورفاقه واعتقال الآلاف من أبناء الحركة الإسلامية، ولكن الهدوء الظاهري على السطح كان يخفي تحته تفاعلاً فواراً مع أفكار سيد قطب ودعوته، وبداية تشكل نواة الحركة الجهادية المعاصرة في مصر. وهكذا تكونت النواة التي انتمى إليها كاتب هذه السطور، جماعة «الجهاد»[350].

ويشدد الباحث على ضرورة التفريق بين الفكرة ومن يدعي اتباعها، فكثيرون هم الذين يدعون دعاوى لا نصيب لها من الصدق. والأمور ليست بالتمني والأماني والأحلام وإنما الفيصل في الدعاوى إقامة الدليل والبرهان؛ كما في قوله تعالى: [قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين] (البقرة: 111). وقوله - صلى الله عليه وسلم -: (البينة على من ادعى).

ومما لا شك فيه أن العديد ممن يزعمون اتباع نهج سيد وفكره هم في الحقيقة ليسوا كذلك وهو منهم براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب. وقد استغرب وهو حي من فهم عنه من تلاميذه أنه يقول بتكفير أفراد المجتمع بمجرد وصفه له في كتاباته بالجاهلي. فقد ذكرت زينب الغزالي إجابة على سؤال وجهته لها مجلة المجتمع الكويتية مفاده: هل حقا أن الفكر الذي كان يتبناه سيد قطب ويدرّسه للإخوان، هو تكفير أفراد المجتمع؟ قائلة:

هذا وهم، توهمه بعض تلاميذ الشهيد سيد .. لقد جلست مع سيد في منزلي عندما سمعت بتلك الشائعة. وقلت له: إن منزلتي عند "السيدات المسلمات" تجعلهم يحترمونني احتراما عظيما، ولكنهم مستعدون أن ينسفوا كل هذا الاحترام إذا علموا أنني أقول عنهم - أو عن أحد من أقاربهم - أنهم كفار!

[350]) أيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي، **جريدة الشعب**، 28 ديسمبر 2001م، مصر. الرابط: http://www.alarabnews.com/alshaab/GIF/28-12-2001/Zawahri.htm

واستغرب (سيد قطب) نفسَه هذا القول! وبين أن هذا فهم خاطئ لما كتبه ... وبين أنه سيوضح هذا في الجزء الثاني من " المعالم ..[351]

وقد روى عبد الحليم خفاجي كذلك عن سيد قطب نفسه تبرأه من فكرة التكفير قائلا: "لقد وضعت حملي على حصان أعرج!!"[352]

وتلك شهادات ثمينة تزيل اللبس أولا: لأنها صادرة عن سيد نفسه، وثانيا: لأنها بشهادة أقرب المقربين منه حتى آخر حياته في السجن، وثالثة الأثافي لأنها أبطلت القول بالتكفير وهو مقدمة لاستباحة الدماء البريئة ومن ثم الإرهاب.

والخلاصة التي نخرج بها مطمئنين بناء على ما سبق تحليله ونقده وبعد عرض الأدلة والبراهين وعقد المقارنات والتمحيص، هي أن انحراف بعض أتباع المفكرين في فهم أو تنزيل فكر المتبوعين لا يعد انحرافا في فكر أولئك المفكرين، ولا يمكن اعتبار ذلك دليل إدانة ضدهم. ومن ثم فلا مسوغ لاعتبار سيد قطب داعية إرهاب أو مدانا بالترويج لقتل الأبرياء، أو بالتحريض على قتل الآمنين، إذ لا وجود لأي نص في أعماله يبرر شيئا من تلكم التهم أو يدعو إليها. إذ اليقين الذي لا ريب معه أن الجهاد في الإسلام كما فهمه سيد قطب لا علاقة له بقتل الأبرياء وترويع الآمنين. بل إنه قد تبرأ من ذلك كله بقول واضح عند تعليقه على قوله تعالى: [وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ] حيث قال معقبا:

.. **والعدوان يكون بتجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الآمنين المسالمين** الذين لا يشكلون خطرا على الدعوة الإسلامية ولا على الجماعة المسلمة، كالنساء والأطفال والشيوخ والعباد المنقطعين للعبادة من أهل كل ملة

---

[351]) زينب الغزالي, **مجلة المجتمع**, عدد 565, بتاريخ 12 جمادى الآخرة 1402هـ, ص 21.

[352]) عبد الحليم خفاجي, **عندما غابت الشمس**, الطبعة الأولى, 1399هـ / 1979م, مكتبة الفلاح, الكويت, ص 446-447. ومما قاله الخالدي عن كتاب "معالم في الطريق": "وليس فيه تكفير سيد للمسلمين ولا للمجتمعات المسلمة". انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الأديب الناقد. والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص 483.

ودين .. كما يكون بتجاوز آداب القتال التي شرعها الإسلام، ووضع بها حدا للشناعات التي عرفتها حروب الجاهليات الغابرة والحاضرة على السواء .. تلك الشناعات التي ينفر منها حس الإسلام، وتأباها تقوى الإسلام[353].

كما نستخلص أن مقاربة سيد حول الجهاد كانت عالمية إنسانية تسعى لتحرير كل الناس في كل الأرض، ولا غرابة في ذلك البتة؛ فمثلما استفتح كتاباته الإسلامية بأن دعا إلى عدالة إجتماعية للجميع ودون استثناء في كتابه "العدالة الاجتماعية في الإسلام"، ثم دعا كذلك إلى سلام عالمي شامل في كتابه "السلام العالمي والإسلام"، فقد أكد على ضمان التحرير وحرية الاعتقاد للجميع كذلك في كاتبه "معالم في الطريق". أما وسيلة ضمان ذلك التحرر من القيود التي تعيق انعتاق البشرية كلها فهو الجهاد بالوسائل المكافئة للعقبات. إذن فهو الجهاد "لإنقاذ الإنسان في الأرض من العبودية لغير الله، ولا يمكن أن يقف عند حدود جغرافية، ولا أن ينزوي داخل حدود عنصرية، تاركا الإنسان .. نوع الإنسان .. في الأرض .. كل الأرض .. للشر والفساد والعبودية لغير الله"[354].

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

أما الحديث عن مدى مسؤوليته عن ظهور الجماعات الجهادية الحديثة، واستخدامها لأفكاره ومقارباته في الخطاب والجدل الجاري في هذه الأيام حول الجهاد والإرهاب، فلا شك أن للرجل بصماته الواضحة في أدبياتها ونهجها في التغيير. فقد تميزت بمحورية الاستناد إلى الجهاد وسيلة في تحقيق التغيير تحطيما للعراقيل المادية وإقامة للنظام الإسلامي على أنقاض تلك التي تعمل على الإجهاز عليه. غير أن نقاط الالتقاء بينه وبين تلك الجماعات لا تحجب عن الباحث رؤية نقاط التمايز والاختلاف. فنقول نعم لقد نَحَتَ العديد من الأساسيات للحركات الجهادية ولغيرها من الحركات الإسلامية المعتدلة، ولكن لا يمكن بأي حال أن نعتبره مسئولا عن أفعال غيره التي خالفت دعوته ومنهجه في التغيير، خاصة مع اعتبار تغير الزمان

---

[353]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 1، ص 204.
[354]) سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص 78.

والمكان والأحوال. فلا مبرر لاتهامه بأنه داعية إرهاب لمجرد أن غيره قد اتُّهم بتنفيذ أعمال توصم بالإرهابية. فالرجل قد نظّر للواقع والملابسات والسياقات التي عايشها هو، ولم يكن تنظيره مطلقا عن الزمان والمكان وطبيعة المرحلة، وذلك ما اعترف به شخصيا حين بين مبررات عدم القتال في مكة. فقد تكون ذات المبررات متوفرة في سياقات مختلفة من بقاع العالم في أزمنة مختلفة (كأجواء الحريات في الغرب مثلا وحرية الدعوة فيه)، فاتباع روح دعوته إنما هو اعتبار السياقات.

إن الجهاد في مقاربة سيد قطب ليس إلا أداة لتحقيق رسالة هذا الدين الذي جاء إعلانا عاما لتحرير البشرية من كل مظاهر العبودية للنظم والتشريعات المغتصبة لحق الله في الحكم والتشريع. وقد أكد في مقاربته على حتمية الانطلاق لتحرير الإنسان من أغلال تلك العبودية وتقرير ألوهية الله وربوبيته للعالمين بلا شريك. فمشروعية الجهاد عنده إنما تقوم على قاعدة إعادة (الحاكمية) والسيادة لله وحده، وتحرير العالم من الطغيان والظلم.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

وهذه المقاربة للجهاد أشمل بكثير من غيرها، حيث أضافت إليها وظيفة التحرر من كل أشكال العبودية للعباد ومن الاستبداد والظلم ومن القهر، واتخذت من ذلك مبررا شرعيا كافيا لوحده لإعلان الجهاد.

الفصل الخامس

الخاتمة ونتائج البحث

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

يمكن في الختام تسجيل الاستخلاصات والتوصيات التالية:

بناء على ما سبق تحليله ونقده من إشكاليات وبعد عرض الأدلة والبراهين وعقد المقارنات والتمحيص وتقديم المقترحات تبين لنا أن كلمة جهاد في اللغة العربية تدور معانيها حول بذل الوسع والطاقة والمشقة في مدافعة العدو باليد واللسان، أو ما أطاق من شيء سواء كان ذلك العدو داخليا كالنفس والهوى، أو خارجيا كالشيطان والمعتدي. وقد ركزت هذه الدراسة اهتمامها في المقام الأول على الجانب العسكري من هذا المفهوم. وخلصت إلى أن القتال ضد الأعداء باستعمال وسائل وأدوات الحرب ليس حكرا على الإسلام دون غيره من الأديان والمجتمعات. وكذلك فإن الإرهاب ليس حكرا على مجتمع ولا دين، بل هو ظاهرة مشتركة بين كل الشعوب والمجتمعات، ومن ثم فليس من الإنصاف حصره في المسلمين.

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

إن **الإرهاب يعني الاستعمال غير المشروع للعنف أو التهديد به بقصد إزهاق الأرواح البريئة** فهو حرام شرعا، ولا وجود لأي دليل في النصوص الشرعية قرآنا وسنة يبرر الدعوة للإرهاب. إذن فاليقين الذي لا ريب معه أن الجهاد في الإسلام لا علاقة له بقتل الأبرياء وترويع الآمنين. ومن هنا يوصي الباحث بتعرية كل من يريد استغلال مفهوم الجهاد في الإسلام لتبرير القتل المتعمد للأبرياء، إذ الإسلام منه براء. كما يوصي بالعمل على تجاوز خطر التعميم والاطلاق عند تعريف الجهاد بعبارة "قتال الكفار" دون تقييد بعلة الإعتداء والظلم.

ونستخلص من المقارنة الموجزة بين مفهوم الجهاد في الإسلام وضوابطه وغاياته وأساليبه في مقابل التشريعات الواردة ضمن مبادئ الأمم المتحدة، أهمية

الوقوف عند مدى تطابق تشريعات الدين الإسلامي مع العديد من التشريعات الدولية. وذلك ما يؤسس لوجود فرصة كبيرة لإمكانية التعايش المنشود بين الأمم والشعوب، في مقابل نظرية تصادم الحضارات التي بشر بها البعض (Samuel Huntington). فقد نادى الإسلام بالجنوح للسلم وعدم الوهن والاستسلام، كما حرص على العدل وعدم الظلم والتعدي في رد العدوان، حتى وإن ملك المسلمون القدرة على ذلك، كما أرشد الإسلام المسلمين إلى التحالف مع قوى الحق والمستضعفين أخذا لحقهم المغصوب من الطغاة الغاصبين.

تعد مقاربة سيد قطب نقطة تحول مقارنة بخطاب القادة المجددين والمصلحين مثل الأفغاني وعبده ورشيد رضا وحسن البنا، الذين غلب عليهم النهج الاعتذاري عند الحديث عن الجهاد. فقد اعتبر سيد خطابهم نهجا استسلاميا انهزاميا لا يتفق مع طبيعة الدين وأهدافه، وعزاه إلى الروح المهزومة لديهم، نتيجة الهجمات الشرسة التي تواجههم من الكتاب والمستشرقين على الجهاد، وكذلك إلى حالة الضعف المهين التي تمر بها الأمة الإسلامية في ذلك الوقت.

ومن خلال تتبعنا لسيرة سيد قطب من القرية وحتى حبال المشنقة وكشفنا عن موقع مقاربة سيد قطب حول الجهاد ضمن السياق الوطني والدولي الذي تشكلت فيه، نستخلص أنها جاءت لتعكس بشكل واضح العديد من العوامل التي شكلتها على هيأتها التي أخرجها عليها صاحبها في آخر سني عمره، ولم تولد من فراغ. فقد ساهمت في نحتها كل من السمات الشخصية للكاتب مع الظروف السياسية والإجتماعية والفكرية والإقتصادية وانتهاء بظروف التعذيب في السجون تحت وطأة قمع وظلم النظام الناصري الذي أعدمه. فقد شهد واقع الاستعمار والحربين العالميتين وسقوط الخلافة وقيام الكيان الصهيوني، كما كان لزيارته لأمريكا ولإطلاعه على المجتمع الأمريكي بالغ الأثر في تبلور قناعته بالإفلاس الروحي

والأخلاقي للمجتمع الغربي. وعند عودته إلى مصر، شهد العجز العربي عن صد العدوان عن فلسطين، وتشتت الشعب الفلسطيني، وظهور الدعوات القومية والشيوعية، والعدوان الثلاثي على مصر، كما شهد فساد الأنظمة العربية التي خلفت الاستعمار الأجنبي، وتواطأ بعض علماء الدين مع تلك الحكومات. فرأى في تلك الأوضاع انحرافا عن العدل وأسباب السلم ومن ثم فقد "دعا بصراحة إلى إزالة تلك الجاهلية. ووسيلة تلك الإزالة هي الجهاد".

يؤكد الباحث أن المحاكمة العادلة المنصفة والتقويم الموضوعي البناء لمقاربة سيد قطب إنما تتم ضمن وضعها في سياقها، وظروف نشأتها والعوامل التي شكلتها. مع الأخذ في الاعتبار الأهداف التي كانت تسعى إليها مع طبيعة التحديات التي واجهتها. فلكأن الباحث ينظر إلى سيد قطب وهو يقول أعطيتموني حرية التعبير والكلمة فكتبت، فلما منعتمونيها تحولتُ إلى وسائل مكافئة للعوائق المادية التي وضعتموها في طريقي. ولا يمكن أن أواجه عوائقكم المادية بوسائل نظرية فلسفية مجردة.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

بناء على ما سبق عرضه وتحليله ونقده يمكن تلخيص مقاربة سيد قطب للجهاد في الإسلام على أنها ترتكز على أن دعوة الإسلام لا تكتفي بالبيان في وجه السلطان المادي القائم على الظلم والجور. كما أنها لا تستخدم القهر المادي لضمائر الأفراد وإكراههم في الدين. ومفهوم الجهاد عند سيد قطب لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح "الحرب الدفاعية"، بل كان "دفاعاً عن الإنسان" ذاته، ضد جميع العوامل التي تقيد حريته وتمنع تحرره.

إن الجهاد في الإسلام وفقا لمقاربة سيد قطب - إنما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير "الإنسان" في "الأرض".. بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري;

وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة، ولكن بدون تسويغ ولا تبرير لتعمد قتل الأبرياء والمسالمين. والمعركة في نظر سيد قطب مفروضة على الإسلام في جميع الأحوال،- سواء انطلق أم لم ينطلق نحو الآخر- لمجرد وجوده، في صورة إعلان عام لربوبية الله للعالمين، وتحرير الإنسان .. ويُحاجّ سيد قطب بأن مجرد وجود هذا الدين في هذه الصورة لا بد أن يدفع المجتمعات "الجاهلية" من حوله، القائمة على قاعدة العبودية للعباد، أن تحاول سحقه، دفاعاً عن وجودها ذاته. ولا بد أن يتحرك المجتمع الجديد للدفاع عن نفسه .. هذه ملابسة لا بد منها. تولد مع ميلاد الإسلام ذاته.

وقال إنه "متى قام الإسلام بإعلانه العام لإقامة ربوبية الله للعالمين، وتحرير الإنسان من العبودية للعباد، رماه المغتصبون لسلطان الله في الأرض ولم يسالموه قط، وانطلق هو كذلك يدمر عليهم ليخرج الناس من سلطانهم ويدفع عن "الإنسان" في "الأرض" ذلك السلطان الغاصب".

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

وإن مبررات الانطلاق الإسلامي عند سيد قطب تبرز بوضوح وعمق عند تذكر أن هذا الدين هو منهج الله للحياة البشرية، وليس منهج إنسان، ولا مذهب شيعة من الناس، ولا نظام جنس من الأجناس! .. والقضية عنده هي قضية ألوهية الله وعبودية العباد .. إذ لا يمكن أن يستحضر إنسان ما هذه الحقيقة الهائلة ثم يبحث عن مبرر آخر للجهاد الإسلامي.

إن الإسلام كما يفهمه سيد قطب حين يسعى إلى السلم، لا يقصد تلك السلم الرخيصة; وهي مجرد أن يأمن على الرقعة الخاصة التي يعتنق أهلها العقيدة الإسلامية. وإنما يبحث ناصبا عن السلم والأمن والعدل والحرية للجنس البشري أجمع؛ سواء كانوا من معتنقيه أو من غيرهم. فلا عجب أن يكون الجهاد ضرورة

للدعوة، خاصة إذا كانت أهدافها هي إعلان تحرير الإنسان إعلاناً جاداً يواجه الواقع الفعلي بوسائل مكافئة له في كل جوانبه; ولا يكتفي بالبيان الفلسفي النظري السلبي في مواجهة العقبات المادية!

فالجهاد لدى سيد قطب حق شرعه الله ليكون بيد جميع الشعوب والأمم، تستخدمه كلما واجهت من يريد تقييد حريتها أو إعاقة تحريرها. فالحق حق في كل حال وفي كل مكان! ظله وارف، وخيره عام شامل، لا يختص ببيئة دون بيئة، ولا قطر دون قطر. فأينما وجد "الإنسان" مقهوراً فالحق من واجبه أن يدركه ويأخذ بحقه وينتصر له.

وبناء على ما سبق بيانه فإن الباحث يؤكد أن مقاربة سيد للجهاد لم تكن ترويجا للإرهاب بل دعوة إنسانية تسعى لتحرير كل الناس في كل الأرض، وتلك الروح الإنسانية تسري في جل مؤلفاته؛ فمثلما استفتح كتاباته الإسلامية بأن دعا ودون استثناء إلى عدالة إجتماعية للجميع في كتابه "العدالة الاجتماعية في الإسلام"، ثم دعا كذلك إلى سلام عالمي شامل في كتابه "السلام العالمي والإسلام"، فقد أكد كذلك على ضمان حرية الاعتقاد للجميع في كاتبه "معالم في الطريق". أما وسيلة ضمان ذلك التحرر من القيود التي تعيق انعتاق البشرية كلها فهو الجهاد بالوسائل المكافئة للعقبات المادية.

كما تبين لنا بطلان اعتبار سيد قطب داعية إرهاب أو مدانا بالترويج لقتل الأبرياء، أو بالتحريض على قتل الآمنين، إذ لا وجود لأي نص في أعماله يبرر شيئا من تلكم التهم أو يدعو إليها.

أما في ما يتعلق بمستقبل أعمال سيد قطب وأفكاره عامة ومقاربته للجهاد خاصة، فإن الباحث يرى أن بقاءها واستمرارها مرهون بعاملين؛ يتمثل الأول في بقاء الظروف والملابسات التي ترعرعت فيها. فقد تغذت تلك المقاربات على ملابسات الواقع المحلي والدولي القائم آنذاك - ولا يزال للأسف - على الظلم والتعدي والمعالجات الأمنية، ومنطق امرأة العزيز [ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين]. والعامل الثاني هو مدى قناعة كل القارئ بصواب تلك المقاربات ونسبة الإخلاص فيها. ولا ريب أنه في أعين العديد من المطلعين على أعماله شهيد فكر قد سقاه بدمه وغذاه وأطعمه من وقته وأعصابه وراحته، ودفع حياته ثمنا لما آمن به. لقد أعدم سيد قطب ولكن آثاره ما زالت حية لم تمت، فقد ترك خلفه آثارا ستبقى إلى حين لأنه كتبها مرتين: مرة بمداد العالم، ومرة بدم الشهيد. ويسجل الباحث هنا أن سيد قطب قد مارس في النصف الثاني من القرن الماضي ولا يزال يمارس تأثيرا قل نظيره في العالم الإسلامي، لا يدانيه في ذلك إلا نفر معدودة أسماؤهم كالمودودي والخميني.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

ومن خلال تتبع أعمال سيد قطب حول الجهاد ومتعلقاته يستنتج الباحث أن هناك مجالا للحديث عن وجود علاقة تأثير لمقاربة سيد قطب للجهاد على تنظيم القاعدة. غير أنه لا يكمن اتهام الرجل بالترويج لقتل الأبرياء عمدا، إذ لا أثر لهذا الادعاء في أي من أعماله كما سبق بيانه. ومن الخطإ الفاحش القول بأن "ثمة مسوّغا وجيها لدعوة أعمال العنف التي يرتكبها البعض بـالإرهاب القطبي 'Qutbian jihad'".

أما الحديث عن مدى مسؤوليته عن ظهور الجماعات الجهادية الحديثة عامة، واستخدامها لأفكاره ومقارباته في الخطاب والجدل الجاري في هذه الأيام حول الجهاد والإرهاب، فلا شك أن للرجل بصماته الواضحة في أدبياتها ونهجها في

التغيير؛ فقد تميزت بمحورية الاستناد إلى الجهاد وسيلة في تحقيق التغيير تحطيما للعراقيل المادية وإقامة للنظام الإسلامي. غير أن نقاط الالتقاء بينه وبين تلك الجماعات لا تحجب عنا رؤية نقاط التمايز والاختلاف. فنقول نَعَم لقد نَحَتَ العديد من الأساسيات للحركات الجهادية ولغيرها من الحركات الإسلامية المعتدلة، ولكن لا يمكن بأي حال أن نعتبره مسئولا عن أفعال غيره التي خالفت دعوته ومنهجه في التغيير، خاصة مع اعتبار تغير الزمان والمكان والأحوال. فلا مبرر لاتهامه بأنه داعية إرهاب لمجرد أن غيره قد اتُّهم بتنفيذ أعمال توصم بالإرهابية. فالرجل قد نظّر للواقع والملابسات والسياقات التي عايشها هو، ولم يكن تنظيره مطلقا عن الزمان والمكان وطبيعة المرحلة، وذلك ما اعترف به شخصيا حين بين مبررات عدم القتال في العهد المكي. فقد تكون ذات المبررات متوفرة في سياقات مختلفة من بقاع العالم في أزمنة مختلفة (كأجواء الحريات في الغرب مثلا وحرية الدعوة فيه)، فاتباع روح دعوته إنما هو اعتبار السياقات في اختار الوسيلة. ولعل هذا ما يفسر لدى الباحث تباين وجهات النظر في مقاربات الجهاد لدى الإسلاميين، فالذين يُنَظِّرون للدعوة في أجواء تكفل حريتها وانديا حها دون عوائق مادية، كانت مقارباتهم أكثر اعتذارية من مقاربات أولئك الذين يكتبون في مواجهة الأنظمة التي تحاصر الدعوة ولها سياسات تتبجح بتجفيف ينابيع الإسلام وتمارس أبشع أساليب القمع والترهيب المنظم لمواطنيها.

وهكذا فإن الباحث يؤكد أن هناك سوء فهم كبير لأعمال سيد قطب، وأنه قد نُسب إليه الكثير مما لم يقم - هو ذاته - بالترويج له في كتاباته.

ووقفنا مع مقاربة سيد قطب التي اعتبرت الجهاد أداة لتحقيق رسالة هذا الدين الذي جاء إعلانا عاما لتحرير البشرية من كل مظاهر العبودية للنظم والتشريعات المغتصبة لحق الله في الحكم والتشريع. وأكد في مقاربته حتمية الانطلاق لتحرير

الإنسان من أغلال تلك العبودية وتقرير ألوهية الله وربوبيته للعالمين بلا شريك. فمشروعية الجهاد عنده إنما تقوم على قاعدة إعادة (الحاكمية) والسيادة لله وحده، وتحرير العالم من الطغيان والظلم.

وهذه المقاربة للجهاد أشمل بكثير من غيرها، حيث أضافت التخلص والتحرر من الظلم ومن القهر باعتباره قضية مشروعة وسببا شرعيا لإعلان الجهاد. وذلك الشق من المقاربة مسلم به قانونا وخلقا ودينا. وعدّت الاعتداء على حاكمية الله، وتشريع ما لم يأذن به الله، والحكم بغير ما أنزل الله، هو ذاته وضع جاهلي أو اعتداء وانتهاك لسلطان الله وحاكميته، إذ أن هذه الأخيرة يجب ألا تكون إلا للخالق وحده. وهذا الشق الثاني من المقاربة هو موضع التميز، ومدعاة النقاش، ومحل النزاع لدى المخالفين.

كما نرجو أن نكون قد وفقنا إلى رفع مستوى الوعي بمفهوم الجهاد والقضايا المرتبطة به، لدى ضحايا الإعلام المضلل، سواء بين المسلمين وغير المسلمين. وسد الهوة الناجمة عن محاولات القضاء على مفهوم الجهاد أو تهميشه، والمساهمة في إزالة سوء الفهم الذي نشأ حول أعمال سيد قطب.

وعسى أن يكون هذا البحث قد ساهم في تجلية مفهوم الجهاد مما علق به - وهو حقيقة منه براء - كاعتباره إرهابا أو إكراها في الدين. وذلك من خلال تحليل ما ورد في المصادر الأولية للتشريع الإسلامي؛ القرآن الكريم، والسنة النبوية؛ قولية وفعلية وإقرارية. وكذلك من خلال تطرقنا لمختلف الآراء حول الجهاد ضمن أهم المذاهب الفقهية الإسلامية الأربعة، بالإضافة إلى مناقشتنا لآراء العلماء البارزين حول الموضوع.

وعسى أن يكون هذا البحث قد لفت نظر الباحثين إلى مدى التوافق بين التشريع الإسلامي حول الجهاد مع تلك المبادئ والتشريعات الواردة ضمن مبادئ الأمم المتحدة. ولعل ذلك أن يكون مجال بحث مستقل لمن يروم ذلك من الباحثين.

ويحسن أن نختتم بهذا السؤال الذي كثيرا ما سأله الباحث نفسه: ماذا لو كتب لأفكار سيد قطب وأتباعها العيش في ظل دولة لم تعمل على قمعها وجنبتها نتوءاتها بمناخ من الحرية؟ بل ماذا لو عملت الدولة الناصرية على توجيهها نحو العدو المشترك لدى الإسلاميين والقوميين العرب خاصة، وباقي شعوب المنطقة عامة؟ هل كنا بذلك سنكون أمام حزب الله السني في مصر وحزب الله الشيعي في لبنان ويكون العدو المشترك بين فكي رحاهما؟

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

قائمة المصادر والمراجع

القسم الأول: المصادر والمراجع العربية (ترتيب أبجدي دون اعتبار جذور الكلمة)

أ- الكتب:

القرآن الكريم.

ابن أنس، مالك، **موطأ مالك**، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية**، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

ابن حبيب، الربيع، **الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب**، بتحقيق محمد إدريس وعاشور بن يوسف، الطبعة الأولى، 1415هـ، دار الحكمة - بيروت، مكتبة الاستقامة - سلطنة عمان.

ابن حزم، علي بن أحمد، **المحلى بالآثار**، بتحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، 1408هـ / 1988م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، مصر.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، بتحقيق ومراجعة محمد الحبيب ابن الخوجة، الطبعة الأولى، 1425هـ / 2004م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

ابن عطية، عبد الحق، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، بتحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد ابراهيم ومحمد الشافعي صادق العناني، الطبعة الأولى، 1404هـ / 1984م، مؤسسة دار العلوم، الدوحة - قطر.

ابن قدامة، موفق الدين عبد الله، **المغني**، الطبعة الرابعة، 1419هـ / 1999م، دار عالم الكتب، الرياض - السعودية.

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، 1401هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان.

ـــــــــ ، **مختصر تفسير القرآن العظيم** المسمى **عمدة التفاسير** عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر، أتمه أنور الباز، الطبعة الأولى، 1424هـ / 2003م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - مصر.

ابن منده، محمد بن إسحاق، **الإيمان**، بتحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الثانية، 1406هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت - لبنان.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

أبو طالب، صوفي حسن، **الكفاح المشروع للشعوب**، مؤسسة الفلاح للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.

أبوعوانة، يعقوب بن إسحاق، **مسند أبي عوانة**، بتحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، الطبعة الأولى، 1998م، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

أحمد، رفعت السيد؛ والشوبكي، عمرو، **مستقبل الحركات الإسلامية بعد 11 أيلول (سبتمبر)**، الطبعة الأولى، 1425هـ / 2005م، دار الفكر، دمشق - سوريا، ص269.

الأصفهاني، الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، بتحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الثانية، 1418هـ / 1997م، دار القلم، دمشق - سوريا / الدار الشامية، بيروت - لبنان.

أيوب، حسن، **فقه الجهاد في الإسلام**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، **الجامع الصحيح المختصر**، الطبعة الثالثة، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، 1407هـ / 1987م، دار ابن كثير، بيروت - لبنان.

البعلبكي، منير، **المورد**، الطبعة السابعة والثلاثون، 2003م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، **معالم التنزيل (تفسير البغوي)**، الطبعة الثانية، 1407هـ / 1987م، بتحقيق خالد العك - مروان سوار، بيروت - لبنان.

البنا، حسن، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، الطبعة الأولى، 2002م، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية- مصر.

ـــــــــ ، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، الطبعة الأولى، 1428هـ / 2007م، أفريقيا للنشر والتوزيع، أكرا- غانا.

البهنساوي، سالم، **فكر سيد قطب في ميزان الشرع**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - مصر.

البوطي، محمد سعيد رمضان، **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟** الطبعة الخامسة، 2006م، دار الفكر، دمشق - سورية.

ـــــــــ ، **فقه السيرة النبوية**، الطبعة الرابعة عشر، 1424هـ / 2004م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر.

البيضاوي، ناصر الدين، **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، 1416هـ / 1996م، بتحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت - لبنان.

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، بتحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، 1410هـ،، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

الترابي، حسن عبد الله، **السياسة والحكم: النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع**. الطبعة الأولى، 2003م، دار الساقي، بيروت - لبنان.

الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، بتحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

التلمساني، عمر، **ذكريات لا مذكرات**، 1985م، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، 1405هـ، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

الجزري، المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 1399هـ / 1979م، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

الجوزية، شمس الدين ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، بتحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، 1419هـ / 1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، 1411هـ / 1990م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

حوّى، سعيد، **جند الله ثقافة وأخلاقا**، الطبعة الثانية، 1418هـ / 1998م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب**، الطبعة الثامنة، 1423هـ / 2002م، دار القلم، دمشق- سوريا. والدار الشامية، بيروت- لبنان.

ـــــــــ ، **سيد قطب الأديب الناقد، والداعية المجاهد، والمفكر المفسر الرائد**، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2000م، دار القلم، دمشق- سوريا.

الخراساني، سعيد بن منصور، **كتاب السنن**، بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، 1982م، الدار السلفية، الهند.

الخطيب، شمس الدين محمد، **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، بدراسة وتحقيق وتعليق علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، 1421هـ / 2000م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

خفاجي، عبد الحليم، **عندما غابت الشمس**، الطبعة الأولى، 1399هـ / 1979م، مكتبة الفلاح، الكويت.

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، **سنن الدارمي**، الطبعة الأولى، 1407هـ، بتحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

داماد، عبد الله بن الشيخ محمد بن سليمان، **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

رابطة العالم الإسلامي، الأمانة العامة - مكة المكرمة،**موقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب**، دون تاريخ. مكة - السعودية.

الزمخشري، محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، 1399هـ / 1979م، دار صادر، بيروت - لبنان.

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

ـــــــــ ، **الفائق في غريب الحديث**، الطبعة الثانية، بتحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد، **شرح السير الكبير**، الطبعة الثانية، 1971م، بتحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر.

السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، **الدر المنثور**، 1993م، دار الفكر، بيروت - لبنان.

الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت - لبنان.

ـــــــــ ، **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار**، 2005م، دار الحديث، القاهرة- مصر.

الشيباني (ابن أبي عاصم)، أبو بكر، **كتاب الجهاد**، بتحقيق مساعد الحميد، الطبعة الأولى، 1989م، دار القلم، دمشق- سوريا.

الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**،الطبعة التاسعة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

الصاوي، أحمد، الخلوتي (الشهير بالصاوي)، **بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك**، دار المعارف، مصر.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل، **سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام**، بتحقيق عصام الصبابطي وعماد السيد، 1994م، دار الحديث، القاهرة - مصر.

الضحاك، أحمد بن عمرو، **الجهاد**، بتحقيق مساعد بن سليمان الراشد الجميد، الطبعة الأولى، 1409هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - السعودية.

الضحيان، عبد الرحمان بن إبراهيم، **وثائق المنظمات الدولية والإسلامية والعربية (المجموعة الأولى)**، الطبعة الأولى، 1411هـ / 1991م، دار العلم للطباعة والنشر، جدة - المملكة العربية السعودية

ضميرية، عثمان بن جمعة، **الإرهاب نظرات لغوية، وشرعية، وقانونية مقارنة**. سلسلة كتاب البيان: 73، [2006م، دار الكتب المصرية]. مكتب مجلة البيان، الرياض - السعودية.

الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 1405هـ، دار

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

الفكر، بيروت - لبنان.

عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، 1999م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

عبد المجيد، أحمد، **الإخوان وعبد الناصر: القصة الكاملة لتنظيم 65**، الطبعة الأولى، 1412هـ / 1991م، الزهراء للإعلام العربي.

عزام، عبد الله، **إلحق بالقافلة**، 1992م، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ومكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن.

ـــــــــ ، **عملاق الفكر الإسلامي (الشهيد سيد قطب)**، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، مركز شهيد عزام الإعلامي، بيشاور - باكستان.

ـــــــــ ، **مجددون معاصرون**، مقال ورد - دون إحالة مفصلة - ملحقا لكتاب عملاق الفكر الإسلامي للدكتور عبد الله عزام، (نقلا عن مجلة البيان).

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، 1379هـ، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

العظم، يوسف، **رائد الفكر الإسلامي المعاصر، الشهيد سيد قطب**، الطبعة الأولى، 1400هـ / 1980م، دار القلم، دمشق - سورية.

العقيل، عبد الله، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية**، الطبعة الأولى، 1423هـ / 2002م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر.

الغزالي، محمد (أبو حامد)، **المستصفى**، الطبعة الثالثة، 1414هـ / 1993م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

الغنوشي، **حوارات قصي صالح الدرويش**، 1992م، Khalil Media Service، لندن - بريطانيا.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، الطبعة الثانية، 1407 هـ / 1987م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

القرضاوي، يوسف، **ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة**، الطبعة الأولى، 2006م، دار الشروق، مدينة نصر - مصر.

القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الثانية، 1372هـ،

بتحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب ، القاهرة - مصر.

قطب، سيد، **السلام العالمي والإسلام**، الطبعة الثالثة عشرة، 1422هـ / 2001م، دار الشروق، القاهرة - مصر.

ـــــــــ ، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، الطبعة الشرعية الثالثة عشرة، 1413هـ / 1993م، دار الشروق، القاهرة - مصر/ بيروت - لبنان.

ـــــــــ ، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، الطبعة الثالثة، 1983م، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية. السالمية - الكويت.

ـــــــــ ، **في ظلال القرآن**، الطبعة الشرعية الثالثة والثلاثون، 1425هـ / 2004م، دار الشروق، القاهرة - مصر/ بيروت - لبنان.

ـــــــــ ، **معالم في الطريق**، الطبعة الثالثة، 1983م، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، السالمية - الكويت.

قطب، سيد، وإخوته، **الأطياف الأربعة**، الطبعة الثانية، 1967م، بدون ناشر.

المدخلي، ربيع بن هادي، **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره**، الطبعة الأولى، 1414هـ / 1993م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة - السعودية.

ـــــــــ ، **مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله** - صلى الله عليه وسلم -، الطبعة الأولى، 1414هـ / 1993م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة - السعودية.

الندوي، أبو الحسن، **مذكرات سائح في الشرق العربي**، الطبعة الثانية، 1975م، مؤسسة الرسالة.

النسائي، أحمد بن شعيب، **المجتبى من السنن**، بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، 1406هـ / 1986م، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب - سورية.

ـــــــــ ، **السنن الكبرى**، بتحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، 1411 هـ / 1991م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، الطبعة الرابعة،

1423هـ / 2002م، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت.

يازجي، أمل؛ و شكري، محمد عزيز، **الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن،** الطبعة الأولى، 2002م، دار الفكر، دمشق- سورية.

ب- الجرائد ومجلات:

السباعي، هاني، تعليق على كتاب (أيمن الظواهري كما عرفته) للأستاذ منتصر الزيات، **جريدة الشعب،** 25 جانفي 2002م، مصر.

الغزالي، زينب، **مجلة المجتمع،** عدد 565، بتاريخ 12 جمادى الآخرة 1402هـ.

قطب، محمد، **مجلة الشهاب اللبنانية،** العدد 5،السنة 9، بتاريخ 25 شعبان 1395هـ. لبنان.

ت- المواقع الإلكترونية:

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

الخطيب، معتز، سيد قطب فوق الاتهام .. ولكن!، على الرابط:
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695074162&pagename=Zone-Arabic-Shariah%2FSRALayout

ـــــــــ ، معتز، سيد قطب.. وجماعات العنف، 2004م، على الرابط:
http://www.islamonline.net/arabic/contemporary/2004/07/article01b.shtml

السباعي، هاني، **تعريف الإرهاب في المنظومة الغربية،** على الرابط:
http://www.almaqreze.net/articles/artcl005.html

الظواهري، أيمن، فرسان تحت راية النبي، **جريدة الشعب،** 28 ديسمبر 2001م، مصر. على الرابط: http://www.alarabnews.com/alshaab/GIF/28-12-2001/Zawahri.htm

عبد العزيز، حمدي، سيد قطب .. الأديب والمصلح الاجتماعي، على الرابط:
http://www.islamonline.net/arabic/famous/2000/12/article3.shtml

الغنوشي، راشد، أما آن الأوان لوضع حد لهذا الخلط المدمر بين الإسلام والإرهاب على الرابط: http://www.nahdha.info/arabe/Sections-artid-87.html

ـــــــــــ ، ما مدى مسؤولية قطب عن حركات التكفير والعنف؟ على الرابط:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9A535641-9367-460B-938C-25C137D1EF5D.htm

ـــــــــــ ، انعكاسات 11 سبتمبر على الإسلام في الغرب. 2003م. على الرابط:
http://www.islamonline.net/Arabic/Daawa/2003/09/article09.shtml

القرضاوي، يوسف، كلمة أخيرة حول سيد قطب. على الرابط:
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173694966860&pagename=Zone-Arabic-Shariah%2FSRALayout

النهضة نت، نقلا عن إخوان أون لاين، 2003/08/29م. على الرابطين:
http://www.hamasna.com/SS.HTM، و http://nahdha.net/library/qutb.htm

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الصفحة العربية. 17 أبريل 2006م. على الرابط:
http://ar.Wikipedia.org/Wiki/

القسم الثاني: المصادر والمراجع الأجنبية

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

A- Books:

Abu-Rabi', I.M. (1996). ***Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World***. New York: SUNY Press.

Appleby, R.S. (2003). History in the Fundamentalist Imagination. In Meyerowitx, J. (ed.), ***History and September 11th***. Philadelphia: Temple University Press.

Cook, D. (2005). ***Understanding Jihad***. Los Angeles: University of California Press.

Encyclopedia Britannica, (1977). ***The New Encyclopedia Britannica***. Chicago: The University of Chicago, 15th Ed, Vol 9.

Kepel, G. (2006). ***Jihad: The Trial of Political Islam***. London: I.B. Tauris & Co Ltd, 4th Ed.

Lane, E.W. (1865). ***An Arabic-English Lexicon***. London: Williams and Norgate. Book 1: Vol. 2.

Lewis, B. (1993). ***Islam and the West***. New York: Oxford University Press.

Makdisi, U. (2003). "Anti-Americanism" in the Arab World. In Meyerowitx, J. (ed.), ***History and September 11th***. Philadelphia: Temple University Press.

Milton-Edwards, B. (2005). ***Islamic Fundamentalism Since 1945***. London and New York: Routledge Taylor & Francis Group.

Moussalli, A.S. (1992). ***Radical Islamic Fundamentalism: The Ideological and Political Discourse of Sayyid Qutb***. Beirut-Lebanon: American University of Beirut.

Noorani, A.G. (2002). ***Islam & Jihad: Prejudice versus Reality***. London: Zed Books.

Nursi, B.S. (2004). "***Jihad of the word" and "Positive Action***". Istanbul-Turkey.

Oxford University Press Inc, (1999). ***The Concise Oxford Dictionary***. New York: Oxford University Press Inc, 10th Ed.

Qutb, S. (1977). ***Milestones***. Kuwait: International Islamic Federation of Student Organizations.

Sibā'ī, M. (2004). ***The Life of Prophet Muhammad: Highlights and Lessons***. Saudi Arabia: International Islamic Publishing House.

Zubaida, S. (1993). ***Islam, the People and the State, Essays on Political Ideas and Movements in the Middle East***. London: I.B. Tausus & Co. Ltd.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

B- CONFERENCE PAPERS, NEWSPAPER AND JOURNAL ARTICLES:

Abdel-Latif, O. (1999). Sayyid Qutb: 'the right to revolt'. ***Al-Ahram Weekly***, 459, 9 - 15 December.

Akhavi, S. (1997). The Dialectic in Contemporary Egyptian Social Thought: The Scripturalist and Modernist Discourses of Sayyid Qutb and Hasan Hanafi. ***International Journal of Middle East Studies***, 29(3): 377-401.

Armstrong, K. (2005). The label of Catholic terror was never used about the IRA. ***The Guardian***, 11 July.

_____ . (2006). Violent Islamic radicals know they are heretical: Extremists are proud of their deviance, and moderate Muslims can't be held responsible. ***The Guardian***, 8 July.

Berman, P. (2003). "The Philosopher of Islamic Terror". ***New York Times***, 23 March.

Gould, M. (2005). Understanding Jihad. ***Policy Review***, 129.

Hadar, L.T. (1992). The "Green Peril": Creating the Islamic Fundamentalist Threat. ***Cato Policy Analysis***, 177.

Irwin, R. (2001). Is this the man who inspired Bin Laden? ***The Guardian***, 1 November.

Khatab, S. (2002). Citizenship Rights of Non-Muslims in the Islamic State of *Hakimiyya* Espoused by Sayyid Qutb. ***Islam and Christian-Muslim Relations,*** 13(2):151-161.

Mohamed, Y. (1996). Fitrah and Jihad in the Thought of Shari`ati and Qutb. ***Journal for Islamic Studies***, 16:3-32.

_____. (2006). 'Muslim Fundamentalism: The Case of Sayyid Qutb'. Presented at the conference '*Defining fundamentalism and religious conservatism in South Africa*', Department of Religion and Theology, University of the Western Cape, 20 October. Unpublished paper.

Shepard, W. (1992). The Development of the Thought of Sayyid Qutb as Reflected in Earlier and Later Editions of Social Justice in Islam. ***Die Welt Des Islams***, 32(2):196-236.

C- INTERNET SOURCES:

Bangash, Z. (1999). *Remembering Sayyid Qutb, an Islamic intellectual and leader of rare insight and integrity*. [Online]. Available
http://www.youngmuslims.ca/online_library/books/milestones/remember.asp

Britannica Online Encyclopedia. [Online]. Available
http://www.britannica.com/eb/article-9071797/terrorism

Brykczynski, P. (2005). Radical Islam and Nation: the relationship between Religion and Nationalism in the political thought of Hassanal-Banna and Sayyid Qutb. ***History of Intellectual Culture***, 5(1). [Online]. Available
http://www.ucalgary.ca/hic.

CNN, (2006). Bush: A war unlike any we have fought before**.** 11 September. [Online]. Available
http://www.cnn.com/2006/POLITICS/09/11/bush.transcript/

Hartwig, M. (no date). ***Spread by the Sword?*** [Online]. Available
http://www.answering-islam.org/Terrorism/by_the_sword.html

Keller, N. (1995). ***Who or what is a Salafi? Is their approach valid?*** [Online]. Available
http://www.masud.co.uk/ISLAM/nuh/salafi.htm

Khan, S. (2004). ***The War on Terror***. [Online]. Available

http://www.newcivilisation.com/index.php/main

Loboda, L. (2004). ***The thought of Sayyid Qutb***. Ashbrook Statesmanship Thesis. Recipient of the 2004 Charles E. Parton Award. [Online]. Available http://www.ashbrook.org/publicat/thesis/loboda/loboda.pdf

Out There News, (2002). *'Under the shadow of spears*' by al-Qaeda spokesman Sulaiman Abu Ghaith. [Online]. Available http://www.megastories.com/modules.php?op=modload&name=News&file=article&sid=55&mode=thread&order=0&thold=0

Tamimi, A. (2006). 'Jihad: The Most Misunderstood Word' Presented at the Conference, 'Jihad in Islam: Theology and Politics'. Muslim Educational Centre of Oxford, Oxford University, 13 May. Unpublished paper. [Online]. Available http://www.meco.org.uk/conference.htm.

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE

الفهرس

الكلمات المفاتيح ii
تعريف بعض الكلمات المفاتيح iii
خلاصة البحث vi

تمهيد 1

1- الفصل الأول: الجهاد والإرهاب في المصادر الأولية للتشريع الإسلامي 13

1-1 تعريف الجهاد 14
أ- لغة 14
ب- اصطلاحا 14
2-1 تعريف الإرهاب 16
أ- لغة: 16
ب- اصطلاحا 18
3-1 الجهاد في الكتاب: نماذج من حديث القرآن عن الجهاد 22
4-1 الإرهاب في الكتاب: نماذج من حديث القرآن عن الإرهاب ... 38
5-1 الجهاد في السنة: نماذج من حديث السنة عن الجهاد 44
6-1 الإرهاب في السنة: نماذج من حديث السنة عن الإرهاب 54

2- الفصل الثاني: الجهاد والإرهاب في المقاربات التقليدية والمعاصرة ... 58

2-1 الجهاد في الفقه: نماذج من حديث الفقهاء والعلماء 59
2-2 الإرهاب في الفقه: نماذج من حديث الفقهاء والعلماء 72
2-3 الجهاد في الفكر العالمي: مبادئ الأمم المتحدة 76

3- الفصل الثالث: سيد قطب من النشأة إلى المشنقة 84

3-1 عصره 85
أ- الواقع والظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية 85
ب- مدى تأثير الواقع على شخصيته وموضوع البحث 86

2-3 مولده ونشأته 90
أ- مولده 90
ب- نشأته 91
3-3 أهم مراحل حياته 92
أ- التعليم 92
ب- الوظيفة 94
ج- التوجه الأدبي 94
د- التوجه الفكري والدعوة للإصلاح 95
4-3 مؤلفاته 100
5-3 وفاته 107

4- الفصل الرابع: الجهاد عند سيد قطب 109

1-4 توطئة 110
2-4 دواعي اختيار النص والتعريف به 119
أ- التقديم المادي 120
ب- التقديم الموضوعي 120
ت- أهم الإشكاليات والمفاهيم 122
3-4 طبيعة الجهاد من طبيعة الدين 123
أ- طبيعة الدين 128
ب- طبيعة الجهاد 139
ت- موقف سيد ممن يدعوهم "المهزومون" 142
4-4 مبررات الجهاد ودوافعه 143
أ- مقتضيات الحركة 143
ب- مقررات العقيدة 144
5-4 مراحل الجهاد 149
6-4 وسائل الجهاد 153
7-4 أهداف الجهاد وغاياته 159
أ- الانقلاب العالمي 164
ب- أن يكون الدين كله لله 165
8-4 سيد قطب: داعية تحرير أم إرهاب 166

5- الفصل الخامس: الخاتمة ونتائج البحث 174

قائمة المصادر والمراجع 184
الفهرس 196

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE

UNIVERSITY of the
WESTERN CAPE